



فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

من إصدارات

دار النوادر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الأولى

من إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة قطر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ردمك : ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ - ISBN



9789933418168

دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية - ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص.ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : (٠٠٩٦٣١١) ٢٢٢٧٠١١

لبنان - بيروت - ص.ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : (٠٠٩٦١١) ٦٥٢٥٢٩

الكويت - حولي - ص.ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : (٠٠٩٦٥) ٢٢٦٣٠٢٢٧

أسرارة : ٢٠٠٦م
نور الدين طالب

المدير العام والرئيس التنفيذي

فتح الحبيب

في

نفسه القديس

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمة الله تعالى

المجلد السادس

اعتقابه

تحقيقاً وضبطاً وتحريراً

نور الدين ظالم

دار التوابع





مكية بإجماع من المفسرين ، وأيها : ثمان وثمانون آية ، وحروفها : ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفاً ، وكلمها : سبع مئة واثنان وثلاثون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ .

[١] ﴿ ص ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت ، فيقف على ص ، والقراء العشرة متفقون على أن قراءة (صَادٌ) بسكون الدال^(١) ؛ لأنها لا تستحق حركة بناء ؛ لأن سكونها عارض ؛ لأنها لفظ محكي^(٢) كألفاظ الأعداد ، ولا إعراب ؛ لعدم مقتضيتها ، والجمهور على أنه حرف المعجم المعروف ، ويدخله ما يدخل سائر السور من الأقوال .

واختلف في معناه على وجوه ، منها : أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صمد ، وصادق الوعد ، ومنها : أن معناه صدق الله ، ومنها : أنه إشارة

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤١٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٣) .

(٢) «لأنها لفظ محكي» زيادة من «ت» .

إلى صدود الكفار عن القرآن، وعن ابن عباس: معناه: «صدق محمد»^(١)،
وقيل غير ذلك.

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: ذكر البيان، وهو قسم جوابه محذوف،
تقديره: إنه لكلام معجز. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرْآنِ) بالنقل، والباقون:
بالحمز^(٢).

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٢).

[٢] ثم قال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة.

﴿فِي عِزَّةٍ﴾ تكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ عداوة للنبي ﷺ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَّاتِ حِينِ مَنَاصٍ﴾^(٣).

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من الماضين ﴿فَنَادَوا﴾ استغاثة عند
حلول النعمة، ﴿وَوَلَّاتِ﴾ بمعنى ليس، واسمها تقديره: ولات الحين.

﴿حِينِ مَنَاصٍ﴾ والمناص: المفر، ناص ينوص: إذا فات، المعنى: ليس
وقت فرار. ووقف الكسائي: (وَوَلَّاهُ) بالهاء^(٣).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٨٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٤٩١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/٢٥٤).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٤).

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾﴾ .

[٤] ولما قال النبي ﷺ للكفار: إن إلهكم إله واحد، نفروا ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ فيما يقوله على الله .

﴿أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَحِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴿٥﴾﴾ .

[٥] ﴿أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَحِدًا﴾ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد .

﴿اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾ بليغ في العجب .

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرٰدُ ﴿٦﴾﴾ .

[٦] ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ وهم أشرف قريش بعد اجتماعهم في مجلس أبي طالب، وشكواهم إليه: أن رسول الله ﷺ يسب آلهتهم، فبكتهم النبي ﷺ، وأمرهم بالتوحيد، فنفروا من ذلك، وانطلقوا من ذلك^(١) الجمع قائلين بعضهم لبعض:

﴿أَنْ آمَسُوا﴾ سيروا على طريقكم ﴿وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِكُمْ﴾

ولا تلتفتوا إلى قول محمد .

﴿اِنَّ هٰذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ .

(١) «وانطلقوا من ذلك» زيادة من «ت» .

﴿ لَشَيْءٍ يُرَادُ ﴾ أي: لأمر يريدُه الله، وقيل: يريدون: ظهورَ محمد ﷺ وعلوه بالنبوة؛ أي: يراد الانقياد منا إليه، وذلك أن عمر - رضي الله عنه - لما أسلم، وحصل للمسلمين قوة بمكانه، قالوا ذلك.

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ التوحيد ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ أي: دين قريش.

﴿ إِنْ هَذَا ﴾ القول بالتوحيد والبعث ﴿ إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ كذب، اختلقه محمد من تلقاء نفسه.

﴿ أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُفُّوْا عَذَابٍ ﴾ [٨].

[٨] ﴿ أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أخصَّ بالقرآن من دوننا؟ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَنْزَلَ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، واختلف عن أبي عمرو وقالون، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٢)، و«الكشف» لمكي (١/٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٦).

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ من القرآن، فلم يؤمنوا ﴿ بَلْ لَمَّا ﴾ أي: بل^(١) لم.
﴿ يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴾ فلذلك شكوا، فإذا عذبوا، زال شكهم، وآمنوا، فلا
ينفعهم إيمانهم. قرأ يعقوب: (عَذَابِي) بإثبات الياء^(٢).

﴿ أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾^(٩).

[٩] ﴿ أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ المعنى: أيملكون مفاتيح
النبوة يعطونها من شاؤوا؟!!

﴿ أَمْرٌ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾^(١٠).

[١٠] ﴿ أَمْرٌ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ فإن زعموا ذلك.
﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ أي: ليصعدوا في الطرق التي توصلهم إلى
السماء، وليأتوا منها بالوحي لمن يختارون.

﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَّالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾^(١١).

[١١] ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَّالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (ما) زائدة بمعنى
النفي، و(هُنَّالِكَ) إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر ومعاداة

(١) «أي: بل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/٢٥٦).

رسول الله ﷺ، المعنى: ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ مكسورٌ عن قريب، فمن أين لهم التدابير الإلهية؟! فلا يضيق صدرك، فإني ناصرك.

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ (١٢) ﴾.

[١٢] ثم ذكر المتحزبين قبلهم فقال: ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴾ أي: البناء المحكم، وكان أيضاً يعذب الناس بالأوتاد.

﴿ وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) ﴾.

[١٣] ﴿ وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴾ وهم قوم شعيب، وتقدم تفسير (الأيكة)، واختلاف القراء فيها في سورة الشعراء.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ المذكورون ﴿ الْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء.

﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) ﴾.

[١٤] ﴿ إِنْ كُلُّ ﴾ أي: ما كل واحد من الأحزاب ﴿ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدهم، فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة. ﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ وجب عليهم عذاب. قرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء^(١).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٧).

﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءٍ إِلَّا صِيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ وَمَا يَنْظُرُ ﴾ أي: ينتظر ﴿ هَتُّوْلَاءٍ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ إِلَّا صِيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ تحل بهم العذاب سريعاً، وهي النفخة الأولى. واختلاف القراء في الهمزتين من (هَتُّوْلَاءٍ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من (عَلَى الْبِغَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية: ٣٣] ﴿ مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي: ليس بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَوَاقٍ) بضم الفاء، والباقون: بفتحها^(١)، وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم.

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [١٦].

[١٦] ولما نزل في الحاقة: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الآية: ٢٥]، استهزأ المشركون ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَّلْ لَنَا قِطْنَآ ﴾ كتابنا^(٢) في الدنيا. ﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ والقط: الصحيفة التي أحصت كل شيء.

﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [١٧].

[١٧] قال الله تعالى: ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يا محمد فيك مما يؤذيك، فإني ناصرك، ولما أمر بالصبر، أمر بذكر داود - عليه السلام -، وما جرى

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٧-٢٥٨).

(٢) «كتابنا» زيادة من «ت».

له؛ ليعلم الكفار أن داود وإن كان عظيماً عند الله تعالى، لما صدرت عنه المعصية^(١)، لم يزل مستغفراً إلى أن فارق الدنيا، فلعلهم يؤمنون؛ لأن كفرهم أعظم من ذنب داود، فقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة في الدين والعبادة.

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيَفْطِرُ يَوْمًا، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، وَيَقُومُ ثَلَاثَةَ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(٢) مع سياسته الملك، وكان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يومًا: يقضي فيه بين الناس، ويومًا يخلو في عبادة ربه، ويومًا لنسائه وأشغاله ﴿إِنَّهُ أَوْأَبُ﴾ رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١٨).

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وقت العشاء.

﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ حين تشرق الشمس.

(١) انظر ما سيأتي من التعليق (ص ١٧-١٨) لتعلم أن الأخبار الواردة في شأن سيدنا داود - عليه السلام - غير ثابتة، وليس لها من الصحة أدنى نصيب، ومعلوم أن من أسباب وضعها واختلافها أن يبرَّر واضعوها - وهم بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى - لأنفسهم المعاصي والآثام، وأما الذي نصَّ عليه القرآن في قصته: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٨)، كتاب: الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ومسلم (١١٥٩)، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾ عطف على الجبال .

﴿ مَحْشُورَةً ﴾ حال ؛ أي : مجموعة إليه .

﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ مطيع رجّاع بصوته ، فكان إذا سبح ، سبحت الجبال ، وجمعت له الطير ، فسبحت معه .

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثِنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (٢٠) .

[٢٠] ﴿ وَشَدَدْنَا ﴾ قَوَيْنَا ﴿ مُلْكَهُ ﴾ بالعدل والتأييد .

﴿ وَءَاثِنَهُ الْحِكْمَةَ ﴾ النبوة ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ علم القضاء ، والخطاب : قول يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْحَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (٢١) .

[٢١] روي أن داود لما صار له ثمان وخمسون سنة ، وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه ، كانت قصته مع أوريا وزوجته ، وملخصها : أنه رأى في الكتب ما أعطي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء - صلوات الله عليهم - ، فقال : يا رب ! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأوحى الله إليهم أنهم ابتلوا فصبروا ، فقال : يا رب ! لو ابتليتني ، لصبرت ، فأوحى إليهم أنك تتلى في شهر كذا في يوم كذا ، فاحترس ، فلما جاء الموعد ، دخل محرابه ، وأغلق عليه بابه ، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، فوقعت بين رجله ، فأراد أخذها

ليري بني إسرائيل قدرة الله تعالى، فذهبت إلى كوة هناك، فأراد أخذها، فذهبت، فنظر في الكوة، فإذا بامرأة من أجمل النساء تغتسل، فعجب داود من حسننها، فالتفتت فأبصرت ظله، فنقضت شعرها، فغطى جميع بدنها، فزاد عجباً، فسأل عنها، فقيل: هي تشارع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة في اللقاء مع أيوب بن سوريا ابن أخت داود، فكتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت^(١)، وكان من قدم على التابوت، لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه، أو يستشهد، فبعثه وقدمه، ففتح عليه [ثم أرسل إليه أن قدمه إلى جيش كذا، أعظم من الأول، فقدمه، ففتح عليه]^(٢)، فأمره أن يقدمه ثالثة إلى جيش أعظم من الأولين، ففعل، فقتل، وانقضت عدتها، فتزوجها داود، وهي أم سليمان - عليه السلام -، فلما دخل بها، لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، وهما جبريل وميكائيل، فطلبوا أن يدخلوا عليه، فمنعهما الحرس، ففسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُ نَبْؤُا الْحَصْمِ﴾ مفرد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، والمراد: الملكان ﴿إِذْ نَسْرُوا﴾ تصعدوا سور ﴿الْمِحْرَابِ﴾ صدر المسجد. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (الْمِحْرَابِ) بالإمالة^(٣)، والاستفهام هنا بمعنى الإخبار، المعنى: قد وصل إليك خبرهما.

(١) «التابوت» ساقطة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٩/٥).

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ ﴾ بغتة من غير الباب .

﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ حين هجما عليه بغير إذنه، فقال : ما أدخلكما علي؟

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ نحن .

﴿ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ جنناك لتقضي بيننا، فرضا ذلك فرضاً .

﴿ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ لا تجز في حكمك .

﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أرشدنا إلى طريق الصواب .

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (٢٣) .

[٢٣] فقال داود: تكلما، فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي ﴾ أي: في

الدين .

﴿ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً ﴾ تمييز، يعني: امرأة ﴿ وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ والعرب

تكني بالنعجة عن المرأة . قرأ حفص عن عاصم (ولي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) .

﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ ضمَّها إلي^(٢)؛ أي: طلقها لأتزوجها

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦١) .

(٢) «ضمها إلي» زيادة من «ت» .

﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخُطَابِ﴾ أي: في القول، المعنى: له الغلبة علي بكل حال، وإن كان الحق لي؛ لضعفي، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود؛ حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، فضمَّها إلى نسائه.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالَ نَجْعِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤).

[٢٤] فبعد اعتراف المدعى عليه ﴿قَالَ﴾ داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَقَدْ ظَلَمَكَ) بإدغام الدال في الظاء، واختلف عن هشام في هذا الحرف، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿سُؤَالَ نَجْعِكَ﴾ أي: بسؤاله إياها ليضيفها.

﴿إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء.

﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يظلم بعضهم بعضاً^(٢).

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء من (بَعْضُهُمْ)؛ أي:

لا يظلمون أحداً.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقي (ص: ٣٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٢).

(٢) «يظلم بعضهم بعضاً» زيادة من «ت».

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليلاً، و(ما) زائدة، فلما قضى بينهما داود، تحولوا في صورتيهما، وصعدا إلى السماء وهو ينظر، ويقولان: قضى الرجل على نفسه.

﴿وَوَظَنَ﴾ أي: أيقن.

﴿دَاوُدُ إِنَّمَا فَنَنَّهُ﴾ أنا ابتليناه بالذنوب، ونبهناه على خطئه بتلك الحكومة.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ لذنبه ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾ [حال؛ أي: ساجداً، على تسمية السجود ركوعاً، لأنه مبدؤه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع^(١)].

﴿وَأَنَابَ﴾ رجع عن جميع المخالفات، ثم مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ضرورية، أو لصلاة مكتوبة، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو يجهد نفسه بالبكاء الدائم، والتضرع والاستغفار حتى كاد يهلك^(٢)، وهذه السجدة من عزائم السجود

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨٥/٢١-١٨٦)، وانظر: «تفسير البغوي» (٦٩٨-٦٩٦/٣)، وحيثما وقعت هذه القصص وأمثالها، فعقيدة أهل السنة والجماعة تنزيه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عمّا يخلُ بعصمتهم. قال العلامة الألوسي في «روح المعاني» (١٨٥/٢٣): وللقصاص كلام مشهور، لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه - عليه السلام -، وقال أبو حيان: «الذي نذهب إليه ما دلّ عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب، كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم؛ ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومة... فاستغفر من ذلك الظن وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله، وأنه =

عند أبي حنيفة ومالك، وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة، ومالك يقول: هي فضيلة؛ كما تقدم ذكره عند سجدة مريم، وعند الشافعي وأحمد: هي سجدة شكر تستحب في غير الصلاة، فلو سجد بها في الصلاة، بطلت عندهما.

﴿ فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] فلما مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، نودي: يا داود! أجاجع فتطعم، أو ظمآن فتسقى، أو عار فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب، فنحب نحية هاج العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة، وأتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا رب! كيف وأنت^(١) لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا، فناده، وأنا أسمع نداءك، فتحلل منه، فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى أوريا، فقال: لبيك، من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما حاجتك يا نبي الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عرّضتك للقتل، قال: عرضتني للجنة، فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود! ألم تعلم أنني حكم عدل، لا أقضي بالتعنت؟ ألا أعلمته أنك قد

= سبحانه غفر له ذلك الظن، فإنه - عز وجل - قال: ﴿ فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ ولم يتقدم سوى قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾، انظر: «البحر المحيط» (٧/٣٧٧).

وانظر: ما سيذكره المصنف قريباً بعد ذكره لهذه القصص المكذوبة.

(١) «وأنت» ساقطة من «ت».

تزوجت امرأته؟ فرجع إليه فناداه، فأجابه، فقال: من هذا الذي قطع علي لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله! أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك لمكان امرأتك، وتزوجتها، فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعائك، وأقلت عثرتك، قال: يا رب! كيف وصاحبي لم يعف عني؟ قال: يا داود! أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه، وما لم تسمع أذناه، فأقول له: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! أنى لهذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي، قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا﴾ بعد المغفرة يوم القيامة ﴿لُزْفَى﴾ لقربي ومكانة.

﴿وَحَسَنَ مَتَابٍ﴾ حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة.

ولما تاب الله على داود، قال: يا رب! قد غفرت لي، فكيف لي ألا أنسى خطيئتي، فأستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع طعاماً ولا شرباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحته، فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته، واستغفر للخطائين قبل نفسه، وكان إذا ذكر عقاب الله، تخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله، تراجعت.

وقد أنكر القاضي عياض - رحمه الله - ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، ووهى قولهم فيها، ونقل عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالوا: «ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأكفليها»، فعاتبه الله على ذلك^(١)، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، قال: وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره، وحكى قولاً أنه خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، ونقل عن الداودي أنه ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، انتهى^(٢).

﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾^(٢٦).

[٢٦] ﴿ يَدَاوُدُ ﴾ في الكلام حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: يا داود ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ تدبر أمر العباد بأمرنا، والخليفة: من استخلف مكان من كان قبله، مأخوذ من أنه خلف لغيره،

(١) «ذلك» ساقطة من «ت».

(٢) قال الشيخ محمد أبو شهبه بعد ذكره لهذه الأقوال من أنه - عليه السلام - «خطبها أو أحب بقلبه أن يستشهد...»: وهذه الأقوال ونحوها لست منها على ثلج ولا اطمئنان؛ فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة، لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء...، وقال الشيخ الساعاتي: بل لا يصح وقوعها من المتسمين بالصلاح فضلاً عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -: انظر: «الإسرائيليات» (ص: ٢٦٩-٢٧٠)، و«الأحاديث الصحيحة في أخبار الأنبياء» لإبراهيم العلي (ص: ١٨٠).

يقوم مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فأما الإمام، فمأخوذ من التقدم على غيره في سائر الأمور الشرعية، وعلى الرعية كلها أن يطيعوه في أمره، ويتدبروا بتدبيره، فهو المقدم عليهم إذا انعقد له ذلك بالحجة التي يجب على الجماعة التسليم لها، والانقياد لمن دعا إليها.

﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل، والحكم لغة: الفصل، وشرعاً: أمر ونهي يتضمن إلزاماً ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾ هوى النفس ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ نصب جواب، أو جزم جواب النهي، وفتحت اللام للساكنين ﴿ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عن الدلائل الدالة على الوحداية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ أي: بتركهم الإيمان به، والإعداد له.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ خلقاً.

﴿ بَطْلًا ﴾ إلا لغرض صحيح.

﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني أهل مكة، ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه

لا بعث ولا حساب.

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾.

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ
الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ولما قال الكفار^(١) للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل أجركم،

نزل:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ ﴾ أي: لا نجعل الصالحين كاطالحين، ولا المتقين كالكافرين.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ كَتَبَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا كتاب.

﴿ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ ﴾ لينظروا في معانيها فيؤمنون. قرأ
أبو جعفر: (لِتَدَّبَّرُوا) بالخطاب بقاء واحدة مع تخفيف الدال، وقرأ الباقون:
بالغيب وتشديد الدال؛ أي: ليتدبروا، فأدغمت التاء^(٢).

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ويتعظ ذوو العقول السليمة.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ ﴾ سليمان؛ لأنه المخصوص

بالمدح.

(١) في «ت»: «ولما قال كفار قريش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٧٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٤).

﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ رَجَّاعٌ عَنِ الْمَخَالَفَاتِ .

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ ﴾ (٣١) .

[٣١] ولفظة (أَوَّاب) هي العامل في: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ﴾ وهو ما بعد الزوال، وكان لسليمان ألف فرس، فصلى الظهر، وكان يريد جهاداً، فجلس على سريره، فأمر أن تُعرض عليه ﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ جمع صافن من الخيل، وهو القائم على ثلاثة قوائم، ويشي الرابعة، والصفون يختص به عِتَاقُ الخيل .

﴿ الْخِيَادُ ﴾ جمع جواد، وهو الخيار، إن استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت .

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحَبَابِ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] فعرضت عليه تسع مئة، فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت، ولم يُعلم بذلك هيبةً له، فندم ﴿ فَقَالَ ﴾ اعترافاً بذنبه: ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ أي: آثرت حبَّ الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام، وسميت بذلك؛ لأن الخير معقود بنواصيها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)، المعنى اشتغلت بنظري إلى الخيل .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٤) .

﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ عن صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ الشمس .
﴿بِالْحِجَابِ﴾ ظلمة الليل .

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] ثم قال : ﴿رُدُّوْهَا﴾ أي : الخيل ﴿عَلَيَّ﴾ فردُّوها .

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يقطع سوقها وأعناقها بالسيف ، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته ، فذبحها وتصدق بلحومها ، فأبدله الله خيراً منها الريح .

روي أنه قتلها إلا مئة ، فجميع خيل الدنيا من تلك المئة . قرأ قبل عن ابن كثير : (بِالسُّوقِ) بهمز الواو مضموماً ، وعنه وجه ثان بالهمز مجزوماً ، وقرأ الباقر : بإسكان الواو بغير همز (١) .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه (٢) ، وسببه أنه

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٨) ، و«الكشف» لمكي (٢/١٦٠-١٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٤) .

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/٣٨١) : نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها ، وهي ممَّا لا يحل نقلها ؛ وهي من أوضاع اليهود والزنادقة ، ولم يبين الله الفتنة ما هي ، ولا الجسد الذي ألقاه على =

غزا مدينة حصينة في البحر يقال لها: صيدون، فقتل ملكها، وأخذ ابنته جراحة، فاصطفاها لنفسه لحسنها، فعملت تمثال أبيها في بيتها بإذن سليمان لتأنس به، فجعلت هي وجواريتها يسجدون له بكرة وعشياً أربعين يوماً، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً، وكان مقرباً عند سليمان، فقال: يا نبي الله! كبرت سني، ورق عظمي، ونفد عمري، ولقد حان مني ذهابه، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثنى عليهم بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه^(١)، فذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأفضلك في صغرك^(٢)، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك! ثم انصرف، فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأه غيظاً، فلما دخل سليمان داره، أرسل إليه، فقال: يا آصف! ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثنت عليهم خيراً في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني، جعلت تثني علي بخير

= كرسى سليمان، وأقرب ما قيل فيه أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن بالحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة.. فلم تحمل إلا امرأة واحدة وجائته بشق رجل»، فالفتنة هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شقَّ رجل اه، ولتمام الفائدة انظر التعليق في نهاية هذه القصة المختلقة.

(١) «بما فيه» زيادة من «ت».

(٢) «وأفضلك في صغرك» ساقطة من «ت».

في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدث في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهدم التمثال، وعاقب النساء، ثم أتى الخلاء ووضع خاتمه عند امرأته الأمانة، وكان ملكه في خاتمه، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، فأتاها الشيطان صاحب البحر، واسمه صخر، على صورة سليمان، فأعطته الخاتم، فلبسه، وجلس على كرسي سليمان يحكم بين الناس، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، فخرج سليمان فأتى الأمانة، وقد غيرت حاله وهيبته عند كل من رآه، فقال: يا أمانة! خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت، فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج، فكان يقول لمن مر به: أنا سليمان بن داود، فيهرؤون منه، ويحثون التراب في وجهه، فعمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان^(١) لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى، باع إحدى سمكته بأرغفة، وشوى الأخرى فأكلها، فمكث كذلك أربعين صباحاً عِدَّة ما كان عبد الوثن في داره، فأنكر آصف بن برخيا وعظماء بني إسرائيل حكم^(٢) عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، ثم استخبر آصف نساء سليمان، فأخبرنه بأمور قبيحة يعتمدها ذلك الشيطان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل، وأخبرهم بالحال، فاجتمع القراء والعلماء، وأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة

(١) في «ت»: «الحيات».

(٢) «حكم» ساقطة من «ت».

فقرؤها، فطار من بين أيديهم، وألقى الخاتم في البحر، فابتلعه حوت، فأخذه بعض الصيادين، وقد عمل له سليمانُ صدرَ يومه ذلك، حتى إذا كان العشي، أعطاه سمكته، فباع إحداهما بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فوجد الخاتم في جوفها، فلبسه، وخر ساجداً شكراً لله تعالى، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وعاد إلى حسنه وبهائه وملكه كحاله الأول، ثم جلس على كرسيه، وطلب صخرًا، فجاء به، فجعله في صخرة، وأطبق عليه أخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه، وألقاه في البحر، وكانت فتنته بعد عشرين سنة من ملكه، وملك بعدها عشرين سنة^(١).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/١٩٧-١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٧٠٤-٧٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٣٧).

قال الإمام ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام -؛ فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء... وقد رويت القصة مطولة عن جماعة من السلف... وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ

يقول الشيخ محمد أبو شهبة - رحمه الله - ما ملخصه: قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأخبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب؛ فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء... والحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله (سليمان)، فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسَلِّطُ اللهُ الشيطان على نساء نبيه سليمان، وهو أكرم على الله من ذلك؟! وأيُّ ملك ونبوة يتوقف أمرهما على (خاتم) يدومان بدوامه ويزولان بزواله!!؟ وإذا =

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرددته خاسئاً»^(١).

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهائه، وحامت عليه الطير، وعرف الناس أنه سليمان، قاموا يعتذرون إليه مما صنعوا، فقال: ما أحمدمكم على عذرکم، ولا ألوهمكم على ما كان منكم، هذا أمر كان لا بد منه.

وأطاع سليمان جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر على ذلك حتى توفي، وتقدم ذكر وفاته في سورة سبأ، ومحل قبره في سورة البقرة، ومعنى الآية: اخترنا سليمان بن داود بزوال ملكه.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه، وجلس على كرسيه، وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل، وسمي جسداً؛ لأنه قد تمثل في جسد سليمان، وليس به.

= كان (خاتم سليمان) - عليه السلام - بهذه المثابة، فكيف يُغفلُ اللهُ شأنه في كتابه، فلم يذكره بكلمة! وهل غيرُ اللهُ خَلْقَةَ سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته؟! إذن آثار الكذب والاختلاق باقية على نسج القصة. انظر: «الإسرائيليات» (٢٧٠-٢٧٤).

(١) رواه البخاري (٣٢٤١)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾، ومسلم (٥٤١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وقد أنكر^(١) القاضي عياض - رحمه الله - هذه القصة، وقال: إن معنى ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه، وابتلاؤه ما حكى عن النبي ﷺ: «أنه قال: لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين امرأة، كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقِّ رجل»، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله»^(٢)، قال أصحاب المعاني: والشقُّ: هو الجسد الذي أُلقي على كرسیه حين عرض عليه، وهي عقوبته ومحنته، قال القاضي عياض^(٣) - رحمه الله -: «وإن سئل: لِمَ لَمْ يَقُلْ سليمانُ في القصة المذكورة: إن شاء الله؟ فعنه أجوبة، أسدُّها ما روي في الحديث الصحيح: أنه نسي أن يقولها، وذلك لينفذ مراد الله، والثاني: أنه لم يسمع صاحبه، وشغل عنه.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٣٥).

[٣٥] فلما رجع ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ لا يكون.

(١) جاء على هامش «ت»: «وقد ذكر الزمخشري عن صاحب «المدارك» أنه من الأباطيل كما ذكرنا، وأنها مما لا يصح نقلها كما في «النهر».

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٢)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾، ومسلم (١٦٤٥)، كتاب الأيمان، باب: الاستثناء، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) انظر: «الشفاء» للقاضي عياض (١٦٦/٢-١٦٧).

﴿لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ المراد: أراد أن يفرد في البشر؛ ليكون خاصة له وكرامة، ولم يفعل هذا غيراً على الدنيا، ولا نفاساً بها.

قال ابن عطية: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، وقيل: أراد: لا ينبغي لأحد من بعدي مدة حياتي؛ أي: لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني^(١). قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِن بَعْدِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٣٦).

[٣٦] ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ فذللتها لطاعته إجابةً لدعوته. قرأ أبو جعفر: (الرِّيحَ) بألف بعد الياء على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد^(٣).

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ﴾ حال من ضمير (تجري)؛ أي: رخوة لينة.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: قصد.

- (١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٥٠٥).
- (٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٥).
- (٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٥).

﴿ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ﴿ وَالشَّيْطِينَ ﴾ عطف على ﴿ بَنَّاءٍ ﴾ وتبدل من الشياطين .

﴿ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴾ فكانوا يبنون له الأبنية العجيبة ، ويغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ .

﴿ وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) .

[٣٨] وتعطف على ﴿ وَعَوَّاصٍ ﴾ : ﴿ وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ بالقيود، فكان يأخذ مَرْدَةَ الشياطين، فيجمع أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع، ويتركهم كذلك .

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ الذي لا يقدر عليه غيرنا .

﴿ فَامْنُنْ ﴾ فأعط منه مَنْ شئت .

﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ امنع عن الإعطاء من شئت ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : غير محاسب على الإعطاء والمنع، وكان إذا أعطى أجر، وإن منع لم يآثم، بخلاف غيره .

﴿ وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ (٤٠) .

[٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ لقربى في الآخرة ﴿ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ وهو الجنة .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ مَسَّنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ .

[٤١] ثم أمر ﷺ بذكر - أيوب عليه السلام - وما ابتلي به ؛ ليأتم به^(١) الصابرون ، فقال تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ﴾ أي : بأني^(٢) ﴿مَسَّنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ مشقة ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم المرض . قرأ حمزة : (مَسَّنِي الشَّيْطَانُ) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها ، وقرأ أبو جعفر : (بِنُصْبٍ) بضم النون والصاد ، وقرأ يعقوب : بفتحهما^(٣) ، وقرأ الباقون : بضم النون وإسكان الصاد^(٤) ، وكلها لغات بمعنى البلاء والشدة ، والمراد : ما قاساه في مرضه قال : ﴿مَسَّنَى الشَّيْطَانُ﴾ تأديباً مع الله تعالى ، وإن كانت الأشياء كلها منه تعالى ، ونسب ذلك إلى الشيطان ؛ لأنه كان بسببه ووسوسته ، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء .

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ .

[٤٢] فعوفي ، وقيل له : ﴿أَرْكُضْ﴾ اضرب الأرض ﴿بِرِجْلِكَ﴾ فركض ، فنبعت عين ماء ، فقيل : ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ أي : موضع غسل . ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي : ماء تغتسل به ، وتشرب منه فتبرأ .

(١) «ليأتم به» ساقطة من «ت» .

(٢) «أي : بأني» زيادة من «ت» .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٦/٥) .

(٤) انظر : «تفسير البغوي» (٣/٧٠٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٦-٢٦٧) .

روي أنه ركض باليمنى^(١)، فخرجت عين حارة، وركض باليسرى، فخرجت عين باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الباردة، فزال عنه كل ألم كان بظاهره وباطنه^(٢).

وروي أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على مَلِكِهِمْ، فكَلَّمُوهُ في ظلمه، وأغلظوا له، إلا أيوب؛ فإنه رفق به مخافة على زرعه، فعاقبه الله على ذلك ببلائه^(٣).

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ﴾ روي أن الله سبحانه وهب له أهله وماله في الدنيا، فأحيا الله^(٤) مَنْ مات منهم، وما هلك من ماشيته وماله^(٥).
﴿ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾ بارك في جميع ذلك، وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال.

- (١) في «ت»: «باليمين».
- (٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٩٩/٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣٨٤/٧)، وظاهر نظم القرآن الكريم عدم تعدد الضرب والنبع، كما ورد في «روح المعاني» للألوسي (٢٠٧/٢٣)، و«الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ٢٨١).
- (٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/١٠)، عن الليث بن سعد.
- (٤) لفظة الجلالة لم ترد في «ش».
- (٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٠٨/٤).

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: لرحمتنا عليه .
﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: وتذكيراً لذوي العقول .

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٤٤]

[٤٤] روي أن أيوب - عليه السلام - كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه، فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني، لبريء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني، لبريء، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول لها: أَلْقَيْتِ عِدْوَ اللَّهِ فِي طَرِيقِكَ؟ فلما أغضبته ونحوه^(١)، حلف إن عوفي ليجلدنها مئة جلدة^(٢)، فلما عوفي، لطف الله تعالى بها؛ لخدمتها أيوب، فقال:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا﴾ هو قبضة من الشجر فيها مئة قضيب .
﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك لتبرَّ بيمينك ﴿وَلَا تَحْنُتْ﴾ أي: لا تدع الضرب فتحنت، فأخذ مئة عود، وضربها ضربة واحدة، فحلل الله يمينه، وهي رخصة في الحدود .

واختلف الأئمة فيها، فمذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض، وكان جلدًا، أخر للمرض، فإن لم يرج برؤه، جُلد بعثكال عليه مئة غضن،

(١) «ونحوه» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/٢١٢) .

فإن كان خمسون، ضرب به مرتين، وتمسه الأغصان، أو ينكس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء، أجزأه، ومذهب أبي حنيفة: يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ؛ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب ضرباً^(١) شديداً، يضرب مقدار ما يتحملة من الضرب، ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط، ويفرق الضرب، وعدد^(٢) الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً، أخر إلى أن يبرأ؛ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال، ولا يؤخر للمرض، ولو رجي زواله، ويضرب بسوط يؤمن معه التلف؛ كالقضيبي الصغير، فإن خشى عليه من السوط، أقيم بأطراف الثياب، وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك، جمع ضغث فيه مئة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة؛ كقول الشافعي.

وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق، ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة إن كان حدها^(٣) الجلد، فحتى تتعالى؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم، فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يريه، فحتى يستغني عنها، والشافعي: حتى ترضعه اللبأ ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين، ومالك وأحمد: بمجرد الوضع.

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ على البلاء، وقول أيوب: ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ﴾ لم يكن جزعاً؛ لأنها شكاية إلى المحبوب، فدل على أنه في غاية الصبر.

(١) «ضرباً» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) «الضرب وعدد» زيادة من «ت».

(٣) «حدها» ساقطة من «ت».

﴿ نَعَمَ الْعَبْدُ ﴾ أَيُوبُ ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ رجاء إلى الله تعالى .

﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴾ (٤٥) .

[٤٥] ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ قرأ ابن كثير: (عَبْدَنَا) بفتح العين وإسكان الباء بغير ألف على الأفراد، فيجعل (إِبْرَاهِيمَ) عطفَ بيان، ويعطف عليه (وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)، وقرأ الباقون: (عِبَادَنَا) بكسر العين وفتح الباء وألف بعدها على الجمع^(١)، جعلوا الأسماء الثلاثة بعده عطفَ بيان، ولم يذكر إسماعيل معهم؛ لأنه لم يُبتل كهؤلاء، تلخيصه: أخبر يا محمد عن هؤلاء .

﴿ أُولَى الْأَيْدِي ﴾ القوة على العبادة والأفعال الجميلة، وعبر باليد عنها؛ لأنها غالباً تفعل باليد ﴿ وَالْأَبْصَرِ ﴾ البصائر في الدين والعلم .

﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ (٤٦) .

[٤٦] ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ ﴾ اصطفيانهم ﴿ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (بِخَالِصَةٍ) بغير تنوين على الإضافة؛ أي: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة؛ أي: يعملون لها، والذكرى بمعنى الذكر، وقرأ الباقون: بالتنوين^(٢)؛ أي: بخالصة هي ذكرى الدار، فتكون (ذِكْرَى الدَّارِ) بدلاً عن (الْخَالِصَةِ) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٧١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٨) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٧١٠)، =

﴿ وَإِيَّاهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَإِيَّاهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين ، جمع مصطفى .

﴿ الْأَخْيَارِ ﴾ جمع خَيْر .

﴿ وَأَذْكَرٌ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَأَذْكَرٌ إِسْمَاعِيلَ ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام .

﴿ وَالْيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز [استخلفه إلياس على بني إسرائيل ، ثم استنبيء ، وتقدم ذكره في سورة الأنعام ، وكان هو وإلياس قبل زكريا عليهم السلام] ^(١) . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (وَالْيَسَعُ) بتشديد اللام وإسكان الياء ، والباقون : بإسكان اللام مخففة وفتح الياء ^(٢) ، وهما لغتان ، فمن قرأ بلامين ، فأصل الاسم لَيْسَعُ ، ثم أدخلت الألف واللام [للتعريف ، ومن قرأ بلام واحدة ، فالاسم يَسَعُ ، ودخلت الألف واللام] ^(٣) زائدتين ؛ كزيادتهما في نحو الخمسة عشر .

﴿ وَذَا الْكِفْلِ ﴾ تقدم ذكره ^(٤) في سورة الأنبياء .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٦٩) .

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٠٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٠) .

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت» .

(٤) في «ت» : «تفسيره» .

﴿وَكُلُّ﴾ تنوينه عوض من محذوف؛ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿هَذَا﴾ أي: الذي يتلى عليكم ﴿ذِكْرٌ﴾ شرف وثناء جميل

للأنبياء .

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مَرْجِع .

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ عطف بيان لحسن مآب .

﴿مَّفْنَحَةٌ﴾ نعت للجنان ﴿لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ رفع، بدل من الضمير، تقديره:

مفنتحة هي الأبواب .

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾

والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ .

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ أُنْرَابٌ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ لا ينظرون إلى غير أزواجهن .

﴿أَنْزَابٌ﴾ جمع تَرْبٍ، وهم الأصفياء على سن واحد، فكأن التراب^(١) قد مسهم في وقت واحد عند الولادة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، لا يتباغضن ولا يتغايرن.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٥٣].

[٥٣] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (يُوعَدُونَ) بالغيب؛ أي: المتقون، وقرأ الباقون: بالخطاب^(٢)؛ أي: قيل لهم ثم: هذا ما توعدون.

﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: لأجل يوم^(٣) ﴿الْحِسَابِ﴾ كادخر هذا ليوم كذا.

﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: انقطاع.

﴿هَذَا وَابٍ لِلطَّغِينِ لَشَرِّ مَثَابٍ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ أي: الأمر هذا.

﴿وَابٍ لِلطَّغِينِ﴾ للكافرين ﴿لَشَرِّ مَثَابٍ﴾ مرجع.

(١) «التراب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١).

(٣) «يوم» زيادة من «ت».

﴿ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٥٦).

[٥٦] ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدل من (لَشَرٍّ) ﴿ يَصَلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها.

﴿ فَيَنْسَ الْمِهَادُ ﴾ الفراش .

﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾ (٥٧).

[٥٧] ﴿ هَذَا ﴾ أي: العذاب ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ ﴾ وهو الماء الحار الذي انتهى حره ﴿ وَعَسَاقٌ ﴾ الزمهرير، وقيل: هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج الزناة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (وَعَسَاقٌ) بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها^(١)، ومعناها واحد.

﴿ وَءَاخِرُ مِنْ سُكَّالِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ وَءَاخِرُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بضم الألف من غير مد على الجمع؛ أي: مذوقات آخر، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة مشبعة على التوحيد^(٢)؛ أي: وعذاب آخر ﴿ مِنْ سُكَّالِهِ ﴾ أي: مثله. ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ أجناس تماثل العذاب؛ أي: يعذبون بأنواع مختلفة.

(١) المصادر السابقة .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِتَيْهِمْ صَالُوا النَّارَ ﴾ [٥٩].

[٥٩] فإذا دخل القادة النار، ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة إشارة إلى الأتباع: ﴿ هَذَا فَوْجٌ ﴾ جمع.

﴿ مُّقْتَحِمٌ ﴾ داخل ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ النار، والاقترحام: الدخول بشدة.

روي أن الزبانية تضربهم بالمقامع في النار، فثم يقول القادة دعاءً منهم على أتباعهم:

﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ أي: لا سعة عليهم في عيشتهم، والمرحبة والرحبة: السعة، تقول العرب: مرحباً، وأهلاً وسهلاً؛ أي: أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض.

﴿ إِتَيْهِمْ صَالُوا النَّارَ ﴾ داخلوها مثلنا.

﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبَسَّ الْقَرَارُ ﴾ [٦٠].

[٦٠] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الأتباع للقادة: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ﴾ بل أنتم أحق بما قلتم.

﴿ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ ﴾ أي: الكفر، وشرعتموه.

﴿ لَنَا ﴾ فلنا ولكم النار ﴿ فَبَسَّ ﴾ الدار ﴿ الْقَرَارُ ﴾ جهنم.

﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ [٦١].

[٦١] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الأتباع: ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا ﴾ أي: هذا الدين، وهو الكفر ﴿ فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا ﴾ أي: مضاعفاً ﴿ فِي النَّارِ ﴾.

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ (٦٢) .

[٦٢] ولما دخل الكفار من صناديد قريش النار، تحيروا ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى ﴾ هنا ﴿ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾؟ يعنون: فقراء المسلمين، وهم عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسلمان رضي الله عنهم^(١).

﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ (٦٣) .

[٦٣] ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا: ﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مِنَ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ) بوصل همزة (اتَّخَذْنَاهُمْ) على الخبر؛ أي: إنا اتخذناهم، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة على استفهام توبيخ أنفسهم^(٢).

﴿ سِحْرِيًّا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بكسرها؛ من الهزء^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣٢/٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٦/٢٤). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢٠١/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٧١٢/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦١-٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧٣/٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٦٠)، =

﴿ أَمْ زَاغَتْ ﴾ مالت ﴿ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: هم معنا ولا نراهم .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ الذي وصفنا ﴿ لَحَقٌّ ﴾ لصدق .

﴿ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ سمي تخاصماً؛ لتقاؤلهم .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنِّ إِلَهِي إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ مخوِّفٌ .

﴿ وَمَا مَنِّ إِلَهِي إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ ﴾ الذي لا شريك له ﴿ الْقَهَّارُ ﴾ لكل شيء .

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ فهو مالك جميع العالم .

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ الْغَفَّارُ ﴾ لمن تاب .

﴿ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ هُوَ ﴾ أي: القرآن .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٣) .

﴿ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ يتضمن وعظه: أن التصديق فيه نجاة، والتكذيب فيه هلكة.

﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦٨).

[٦٨] ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ لتمامي غفلتكم، هو توبيخ لهم.

﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ ﴾ هم الملائكة ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ في شأن آدم حين قال الله لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠]. قرأ حفص عن عاصم: (مَا كَانَ لِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٠).

[٧٠] ﴿ إِنْ يُوحَىٰ ﴾ أي: ما يوحى ﴿ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ قرأ أبو جعفر: (إِنَّمَا) بكسر الهمزة على الحكاية، كأنه قيل له: إنما أنت نذير مبين، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان: أنا عالم، فيقال له: لم قلت: إنك عالم؟ فيحكي المعنى، وقرأ الباقر: بالفتح^(٢)؛ كأنه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

يقول: إلا الإنذار، والمعنى: ما علمت هذا إلا بوحي.

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ ﴿٧١﴾ ۙ .

[٧١] ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ اِذْ یَخْنَصُمُوْنَ ﴾:

﴿ اِنِّیْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ ﴾ يعني: آدم.

﴿ فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوْا لَهٗۤ سٰجِدِیْنَ ﴿٧٢﴾ ۙ .

[٧٢] ﴿ فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ ﴾ أتممت خلقه ﴿ وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ ﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه ﴿ فَقَعُوْا ﴾ خروا ﴿ لَهٗۤ سٰجِدِیْنَ ﴾ تکرمةً وتبجیلًا، لا عبادة، ولم یکن فیه وضع الوجه علی الأرض، وإنما کان الانحناء، فلما جاء الإسلام، أبطله.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ ﴿٧٣﴾ ۙ .

[٧٣] ﴿ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ ۙ .

﴿ اِلَّا اِبْلِیْسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیْنَ ﴿٧٤﴾ ۙ .

[٧٤] ﴿ اِلَّا اِبْلِیْسَ ﴾ استثناء من الساجدين.

﴿ اَسْتَكْبَرَ ﴾ عن السجود ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیْنَ ﴾ باستكباره.

= (٣٦٢ / ٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٢٧٤).

﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ

الْعَالِيْنَ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الله : ﴿ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ بنفسى من

غير توسط كآب وأم؟ واليدان صفة من صفات الله تعالى - عز وجل - نؤمن بها كما جاءت ، ونكل العلم فيها إلى الله ، ثم أدخلت همزة استفهام التوبيخ على همزة الوصل ، فحذفت وبقيت مفتوحة ، فقيل :

﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ عن السجود لآدم ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ ﴾ المتكبرين من غير

استحقاق؟

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ تقدم الكلام عليه في

سورة الأعراف ، والحجر ، والإسراء .

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَءِيسٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَءِيسٌ ﴾ مطرود .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر : (لَعْنَتِي)

بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٨٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ .

﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ هي النفخة الأولى .

﴿ قَالَ فِعِزَّتِكَ لِأَعُوذُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢).

[٨٢] ﴿ قَالَ فِعِزَّتِكَ ﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿ لِأَعُوذُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٨٣).

[٨٣] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع . وتقدم اختلاف

القراء في (المُخْلَصِينَ)، وتوجيه قراءاتهم في سورة الصافات [الآية: ٤٠].

= (٣٦٢ / ٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧٥ / ٥).

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٨٤) .

[٨٤] ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ .

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٥) .

[٨٥] ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ﴾ يا إبليس وذريتك ﴿ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي : من ذرية آدم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير في (مِنْهُمْ) . قرأ عاصم ، وحمزة ، وخلف : (فَالْحَقُّ) بالرفع في الأول ، معناه : أنا الحقُّ ، وأقول الحقُّ ، والباقون : بالنصب فيهما^(١) ، فنصب الأول على الإغراء ؛ كأنه ألزم الحق ، والثاني بإيقاع الفعل عليه ؛ أي : أقول الحقُّ ، ومن رفعهما على القراءة الشاذة ، فمعناه : أنا الحقُّ ، والحقُّ أقوله ، والمراد بالحق : اسمه تعالى في قوله : ﴿ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٥] .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦) .

[٨٦] ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ جعل .

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٨) ، و«تفسير البغوي» (٣/٧١٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٧٦) .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أي : القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ موعظة .

﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ للخلق أجمعين .

﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ ﴾ أيها المشركون ﴿ نَبَأَهُ ﴾ صدق ما أخبرتكم به في

القرآن من الوعيد ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ بعد مدة، وهو يوم القيامة، والله أعلم .





مكية إلا ثلاث آيات، نزلت في شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب، وهي: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآيات الثلاث^(١)، وقالت فرقة: بل إلى آخر السورة مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات، وآيها: خمس وسبعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ألف ومئة واثنان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

[١] ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته مبتدأ، وخبره ﴿ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ في قدرته ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ في إرادته^(٢)، والإشارة إلى القرآن أنه تنزيل من الله لا من غيره.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٧/٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧٣١/٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٣٩).

(٢) في «ت» و«ش»: «إبداعه».

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ فيه ، وفي أحكامه

وأخباره .

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ حال من العابد ﴿ لَهُ الدِّينَ ﴾ نصب به ؛ أي :

الطاعة .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ﴾ أي : من حقه ، ومن واجباته .

﴿ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ من الشرك ، لا يقبل غيره .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ أي : من دون الله ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ والعائد إلى (الَّذِينَ) محذوف ؛ أي : والذين اتخذهم الكفار آلهة من دون الله ؛ كالأصنام ، وعيسى ، والعزير ، والملائكة ، قالوا :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ تقريباً ، مصدر .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين العابد والمعبود ، والمسلم والكافر .

﴿ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين ، فيدخل المؤمن الجنة ، والكافر

النار .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ إلى الإسلام ﴿ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ في أن الآلهة تشفع

له، أو تقربه ﴿كَفَّارٌ﴾ وهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر،
العاتي فيه .

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ
هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَأَصْطَفَىٰ﴾ لا اختار .
﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ولم يخص^(١) مريم ولا عيسى بذلك، ولخلق
أشرف منه، واتخذَه ولداً^(٢) ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً له .
﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ المنفرد عن صاحبة والولد ﴿الْقَهَّارُ﴾ اتصاف على
الإطلاق؛ لأن أحداً من البشر إن اتصف بالقهر، فمقيد في أشياء قليلة، وهو
في حيز قهره لغيره مقهور لله تعالى على أشياء كثيرة .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ .

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالواجب الواقع موقعه، الجامع
للمصالح .

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يذهب أحدهما،

(١) في «ت»: «يختص» .

(٢) «ولداً» زيادة من «ت» .

ويغشي مكانه الآخر، فيكون كأنه قد غشيه، ولف عليه، وأصل التكوير: اللفُّ والجمع، ومنه كور العمامة التي تلوى بعضها على بعض.

﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ وتسخيرهما: دوامهما على الجري لمصالح

العباد.

﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ مدة الدنيا ﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ القادر على

كل ممكن ﴿ الْعَفْوَ ﴾ لذنوب التائبين.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ .

[٦] ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني: نفس آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

يعني: حواء خلقت من ضلعه القصيري، و(ثم) لترتيب الأخبار، لا لترتيب المعاني؛ لأنه لما كان خلق حواء من آدم غريباً عادة، عطفت (ثم) ما بعدها على ما قبلها لفظاً، فكأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها.

﴿ وَأَنْزَلَ ﴾ أحدث ﴿ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ هي المذكورة في

سورة الأنعام. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) بإدغام

اللام الأولى في الثانية^(١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٦).

﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا ﴾ مصدر ﴿ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ أي: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظماً، ثم خلقاً سوياً. قرأ حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك^(١).

﴿ فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ ﴾ هي ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة.

﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴾ فكيف تعدلون عن طريق الحق، وبأي سبب تصلون؟! *

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾.

[٧] ثم بين أن لا حاجة به إليهم، فقال: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ ﴾ مع ذلك.

﴿ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ رحمة لهم إذا وقعوا فيه ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا ﴾ لله تعالى، فتؤمنوا ﴿ يَرْضَهُ ﴾ أي: يرضى الشكر ﴿ لَكُمْ ﴾ لأنه سبب فلاحكم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (يَرْضَهُ) بإشباع ضمة الهاء، وقرأ السوسي عن أبي عمرو: بإسكان الهاء، وقرأ نافع، وحمزة، ويعقوب، وحفص عن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٦).

عاصم: باختلاس ضمة الهاء، وروي عن كل من الدوري راوي أبي عمرو، وابن جماز راوي أبي جعفر: وجهان: الإسكان، والإشباع، وروي عن كل من هشام راوي ابن عامر، وأبي بكر راوي عاصم: وجهان: الإسكان، والاختلاس، وروي عن كل من ابن ذكوان راوي ابن عامر، وابن وردان راوي أبي جعفر: وجهان: الاختلاس والإشباع^(١).

﴿وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَزِرًا أُخْرَى﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة

والمجازاة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه مستغيثاً.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى

كشفه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٧/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٠٧/١-٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠-٩/٦).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يعني: الأوثان ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ليصد عن دين الإسلام. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (لِيُضِلَّ) بفتح الياء، والباقون: بضمها^(١).

﴿قُلْ﴾ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى انقضاء أجلك.
﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

[٩] ونزل في كل مؤمن: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ مصلِّ ساعاته. قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة: (أَمَّنْ) بتخفيف الميم دخلت همزة الاستفهام على (مَنْ)، تقديره: أمن هو قانت كغيره؟ وقرأ الباقون: بتشديدها^(٢)، دخلت (أَمْ) على (مَنْ)، فأدغمت فيها الميم، ف(أم) منقطعة، تقديره: الكافر خير أم المطيع؟ فمن خفف، اتبع المصحف؛ لأنها فيه بميم واحدة، ومن شدد، فعلى الأصل.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يعني: في الصلاة، ونصبهما حال من ضمير (قَانِتٌ) ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ هي المغفرة، ثم بين أن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠-١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١).

لا مساواة بين من نزلت فيه هذه الآية، وبين من نزلت فيه الآية التي قبل بقوله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ﴾ التوحيد، ويعملون بمقتضاه، وهم المؤمنون.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهم الكفار؟

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ بأمثال هذه البيانات.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بطاعته. أجمع القراء على الوقف على (يَا عِبَادِ) بال حذف، إلا ما انفرد به الحافظ أبو العلاء عن رويس.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ أي: للمحسنين بالطاعات في الدنيا مثوبة ﴿حَسَنَةٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ قال ابن عباس: «يعني: ارتحلوا من مكة»^(١)، وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي.

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى.

﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: مكيال، قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٩/٤).

وأصحابه؛ حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء، وصبروا^(١).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١١).

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ التوحيد، لا أشرك به شيئاً.

قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّي) بفتح الياء^(٢)، والباقون: بإسكانها^(٣).

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١٢).

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أمتي، و(أُمِرْتُ) الثاني معطوف

على (أُمِرْتُ) الأول، وإن كان لفظهما واحداً؛ لأن الأول أمر بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق، فلاختلاف جهتهما تنزلاً منزلة المختلفين، وصح عطف أحدهما على الآخر.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٣).

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ عبدتُ غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

وهذا حين دُعي إلى دين آبائه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٩/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٢٣/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٠/١٥).

(٢) «الياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢/٦).

وأبو عمرو^(١): (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ نصب بقوله: ﴿ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ أمر بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً على المخالفة من العقاب.

﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ أمر توبيخ وتهديد؛ كقوله: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ المبالغين في الخسران ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهْلِيَهُمْ ﴾ المعدين لهم في الجنة من الحور والولدان لو آمنوا؛ بعدم وصولهم إليهم ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة.

﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ مبالغة في خسرانهم.

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ
يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ ﴾ أطباق وسرادقات من النار^(١)
ودخانها.

﴿ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ لمن تحتهم، وهي فرش لهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور
﴿ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ المؤمنين؛ ليتقوه، يوضحه:

﴿ يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يا عبادي فاتقوني) بإثبات الياء
فيهما، وافقه روح في الثاني^(٢).

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ
عِبَادِ ﴾ [١٧].

[١٧] ونزل في أبي ذر، وسلمان، وزيد بن عمرو بن نفيل: ﴿ وَالَّذِينَ
اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ ﴾^(٣) أي: الأوثان، وتذكر وتؤنث، وهو من الطغيان،
وزيدت التاء فيه مبالغة؛ كالرحموت.

-
- (١) «أطباق وسرادقات من النار» زيادة من «ت».
- (٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٤/٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٣/٦).
- (٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٢٥/٤)، و«تفسير البغوي» (١٠/٤)،
و«تفسير القرطبي» (٢٤٤/١٥). قال ابن عطية: وهي على كل حال عامة في
الناس إلى يوم القيامة يتناولهم حكمها.

﴿ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ رجعوا إلى عبادته ﴿ هُمْ الْبَشَرُ ﴾ في الحياة الدنيا بالثواب، وفي الآخرة بحسن المآب على السنة الرسل ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادًا ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ أي: قول الله. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (عِبَادِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة وصلماً، وافقه يعقوب وقفاً^(١) ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: أفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح، واحتمال على صبر، ونحو ذلك.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ المذكورون مبتدأ، خبره ﴿ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾ لأنهم كانوا يأخذون بعزائم القرآن، وهو أحسنه بالنسبة إلى أخذه؛ لأنه كله حسن، لا أن فيه حسناً وأحسن. ﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ العقول السليمة.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ ﴾ أي: ثبت ﴿ عَلَيْهِ ﴾ من الكفار ﴿ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ وهي: هَوْلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ هذه الآية جملة

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٦٧ و١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨ و٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٦).

واحدة من شرط وجزاء، فالشرط (مَنْ)، وجيء بالفاء قبله للعطف على محذوف، والهمزة قبلها للإنكار، والفاء في (أَفَأَنْتَ) جزاء الشرط، والهمزة قبلها زيادة في الإنكار، تقديره: أنت المتصرف، فمن وجب عليه العذاب، فأنت منقذه؟ أي: لا تقدر على هداية الكافرين، والمراد: أبو لهب وولده، قاله ابن عباس^(١).

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ﴾^(٢).

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها^(٢).

﴿لَهُمْ عُرْفٌ﴾ علالي ﴿مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ﴾ كبناء المنازل في الأرض، بعضها فوق بعض.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت المنخفضة والمرتفعة من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد.

﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ﴾ لأن الخلف نقص، وهو تعالى منزه عنه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١١/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٤/١٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٦).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ هو المطر ﴿ فَسَلَكَهُ ﴾

أدخله ﴿ يَنْبِيعَ ﴾ عيوناً وركايا ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ فكل ما في الأرض من السماء ينزل منها إلى صخرة بيت المقدس، ثم يقسمه الله تعالى في الأرض كالعروق في الأجساد.

وروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: أنه قال: «المياه العذبة، والرياح اللوايح من تحت صخرة بيت المقدس»^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنهار الأربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات»، فأما سيحان، فنهر بلخ، وأما جيحان، فدجلة، وأما النيل، فنيل مصر، وأما الفرات، ففرات الكوفة، فكل ما يشرب ابن آدم، فهو من هذه الأربعة، وتخرج من تحت الصخرة^(٢).

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ ﴾ بالماء ﴿ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ من أخضر وأحمر وغيرهما.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧٣/٧)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو حديث منكر كما قال ابن عدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٥-١٣٦)، وروى مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كل من أنهار الجنة».

﴿ تُمْ يَهِيْجُ ﴾ أي : يتم جفاهه ﴿ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ﴾ بعد خضرته وحسنه .
﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا ﴾ فتاتاً .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إذ لا يتذكر به غيرهم ، وهذا مثل
الدنيا .

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ
قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ ﴾ أي : وسعه ﴿ لِلْإِسْلَامِ ﴾ فقبله ، وأقبل
عليه .

﴿ فَهُوَ عَلَى نُورٍ ﴾ هدى ﴿ مِّن رَّبِّهِ ﴾ وجواب (مَنْ) محذوف ، تقديره :
أفمن شرح صدره ، فاهتدى ، كمن طبع على قلبه فضل ؟ يدل عليه :
﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ المعنى : إذا ذكر عندهم ، ازدادت
قلوبهم قسوة .

﴿ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ والآية نزلت في حمزة وعلي - رضي الله عنهما
- ، وأبي لهب وولده ، قال مالك بن دينار : « ما ضرب عبدٌ بعقوبة أعظم من
قسوة قلب ، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة »^(١) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١٢/٤) ، و«تفسير القرطبي» (٢٤٨/١٥) .

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن، وتبدل من (أَحْسَن) ﴿ كِتَابًا مُتَشَبِهًا ﴾ يشبه بعضه بعضاً حسناً ونظماً ﴿ مَثَانِي ﴾ أي: مردّد ومكرّر في أحكامه ﴿ نَقَشِعُرُ ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ خوفاً وإجلالاً لله تعالى، والقشعريرة: تغير في جسد الإنسان عند الوجد والخوف.

﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فهي تقشعر عند الوعيد، وتلين عند الوعد.

عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقشعر جلدُ العبد من خشية الله، تحاتت عنه ذنوبه كما تتحاتُّ عن الشجرة اليابسة ورقها»^(١).

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الكتاب ﴿ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ ﴾ بخذلانه.

﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ينقذه من الضلال. قرأ ابن كثير: (هَادِي) بإثبات الياء

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٣٢٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٦/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٣)، من حديث العباس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٠/١٠): فيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات.

حالة الوقف، وروي ذلك عن قبل، ويعقوب^(١).

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي ﴾ معناه: أفمن يدخل النار فيتقي ﴿ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أشدّه، كمن هو آمن منه ﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ المعنى: أن الإنسان إذا عرض له ما يخافه، اتقاه بيده، وطلب أن يتقي بها وجهه؛ لأنه أعز أعضائه، والذي يلقي في النار مغلولة يداها إلى عنقه، فلا يتهياً له أن يتقي النار إلا بوجهه ﴿ وَقِيلَ ﴾ أي: ويقول الخزنة.

﴿ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ﴾ جزاء.

﴿ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ثم حذر كفار مكة بعذاب من تقدمهم، فقال:

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم.

﴿ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يخطر ببالهم أن

العذاب يأتيهم منها.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٦-١٣٧)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥).

﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ ﴾ الذلّ والهوان، والمسخ والقتل والسبي، وغيرها .

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ ﴾ المعدّ لهم ﴿ أَكْبَرُ ﴾ لشدته ودوامه .
﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لا اعتبروا به .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يحتاج إليه .
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون .

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال مؤكدة؛ كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح .
﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ بريئاً من التناقض .
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الكفر .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا ﴾ بدل من (مثلاً) ﴿ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقهم .

﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سالمًا) بألف بعد السين وكسر اللام؛ أي: خالصاً، لا مشارك له فيه، وقرأ الباقون: (سَلَمًا) بغير ألف وفتح اللام^(١)؛ أي: لا تنازع فيه، وهذا مثل ضربه الله لأهل التوحيد، ومثل الذي عبد الآلهة كمثل الشركاء .

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ في الصفة ﴿ مَثَلًا ﴾ نصب على التمييز، وهذا توكيف لا يجيب عنه أحد إلا بأنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيهة على أنهم قد أجابوا، فقال:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على ظهور الحجة عليكم من أقوالكم، ثم قال تعالى:

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه، فأضرب عن مقدر محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحجة، وأن الأمر ليس كما يقولون، بل أكثرهم لا يعلمون .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦) .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠) .

[٣٠] ولما استبطؤوا موته ﷺ، نزل:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (١) أي: ستموت، ويموتون، فلا شماتة

بالموت.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ بعد البعث.

﴿ تَخَصِمُونَ ﴾ تتحاكمون؛ يعني: المحق والمبطل، والظالم

والمظلوم.

عن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: «كنا نقول: ربُّنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟! فلما كان يوم صفين، وشدَّ بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم، هو هذا» (٢).

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ

فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه.

﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ ﴾ القرآن ﴿ إِذْ جَاءَهُ ۗ ﴾ من غير تفكر في أمره.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦)، و«تفسير

القرطبي» (١٥/٢٥٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/٢٠٤).

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير .

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣)

[٣٣] ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ ﴾ هو أبو بكر رضي الله عنه، وقيل: (الذي) هاهنا

للجنس؛ ليتناول الرسل والمؤمنين؛ لقوله:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ قال ابن عطية: وهو أصوب الأقوال (١).

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٤)

[٣٤] ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الجنة .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم .

﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣٥)

[٣٥] ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ يسترها عليهم بالمغفرة .

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجزيهم بمحاسن

أعمالهم، ولا يجزيهم بمساوئها .

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٣١).

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ استفهام إنكار للنفي؛ مبالغة في الإثبات. قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عِبَادَهُ) بألف على الجمع؛ يعني: الأنبياء - عليهم السلام -، قصدهم قومهم بالسوء، فكفاهم الله شر من عاداهم، وقرأ الباكون: (عَبْدَهُ) بغير ألف على التوحيد^(١)؛ يعني: محمداً ﷺ، وروي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء^(٢) على (بِكَافِي).

﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ الكفار يا محمد ﴿ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ بالمعبودين من دون الله تعالى، وهي الأصنام؛ لأنهم قالوا له: نخشى عليك أن تقتلك، أو تخيلك.

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه. وقف ابن كثير (هَادِي): بإثبات الياء، وروي ذلك عن يعقوب^(٣).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٦).

(٢) «بالياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٦-١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩).

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾ إذا لا راد لفعله .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ غالب ﴿ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ من الكافرين؟

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لوضح

البرهان على تفرده بالخالقية .

﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الهتكم ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ بشدة وبلاء ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة وبركة ﴿ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ﴾ المعنى : أفرايتم هؤلاء إذا أراد الله أمراً لهم قدرة على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا؛ لأنه من البين أنه لا يجيب أحد إلا بأنه لا قدرة للأصنام على شيء من ذلك . قرأ حمزة : (أَرَادَنِي اللَّهُ) بإسكان الياء، والباقون : بفتحها، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب : (كَاشِفَاتُ) (مُمْسِكَاتُ) بالتنوين، ونصب (ضُرُّهُ) و(رَحْمَتُهُ) على الأصل؛ لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال، وقرأ الباقون : بغير تنوين فيهما تخفيفاً، وخفض (ضُرُّهُ) و(رَحْمَتِهِ) على الإضافة^(١)، فسألهم رسول الله ﷺ عن ذلك،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٨)، و«النشر في =

فسكتوا، فقال الله له: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾^(١) من كل شيء. .
﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

﴿قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣٩).

[٣٩] ثم أمره بتوعدهم بقوله: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانِكُمْ﴾
أي: على ما رأيتموه متمكناً لكم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ)
بألف بعد النون على الجمع، والباقون: بغير ألف على الإفراد^(٢).
﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ أي: على مكاتي، فحذف؛ للاختصار، والمبالغة في
الوعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(٤٠).
[٤٠] ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو عذاب الدنيا يوم بدر.
﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، وهو عذاب الآخرة أعادنا الله منه
برحمته.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٨٤/٦).

- (١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/١٨).
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص:
٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠).

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أي : لأجلهم ؛ لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ في أخباره وأحكامه .

﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ ﴾ عمل وسعى .

﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ فإن وبال ضلاله عليه .

﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ والوكيل : القائم على الأمر حتى يكمله .

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فِيمُوسِكِ الْبَاطِنِ الْقَاضِي عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ثم نبه تعالى على آية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوجدانية ، وأن ذلك لا شرك فيه لصنم ولا غيره ، فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ لأن للإنسان نفسين : نفس الحياة ، هي الروح تفارق بالموت ، ونفس التمييز تفارق بالنوم ، وتبقى نفس الحياة ، وبينهما مثل شعاع الشمس ، قال ابن عباس : « يقبض الله تعالى جميع الأنفس التمييزية والحيوانية » .

﴿ حِينَ ﴾ أي : وقت ﴿ مَوْتِهَا ﴾ لانقضاء أجلها .

﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ﴾ والأنفس التي لم يحكم بموتها يقبض نفسها التمييزية ﴿ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي : وقت نومها ؛ بأن تخرج عن جسدها ، وتبقى فيه

الحيوانية؛ لأن النفس والحركة بها تكون والنائم نفس^(١) يتنفس ويتحرك .

﴿فِيْمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى جسدها . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (قُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (الْمَوْتُ) بالرفع على ما لم يُسم فاعله ، وقرأ الباقون : بفتح القاف والضاد ، فتصير الياء ألفاً ، ونصب (الْمَوْتُ)^(٢) مفعولاً به لقوله : (اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ)^(٣) .

﴿وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ﴾ يرُدُّ النفس التي لم يحكم عليها بالموت إلى جسدها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت موتها ، المعنى : يتوفى الأنفس التي حكم بموتها وقت الموت ، ويتوفى الأنفس التي لم يحكم بموتها وقت النوم ، شبه النائم بالميت ؛ لعدم تمييزه ، وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء ، فمن كان منهم طاهراً ، أذن له في السجود ، ومن لم يكن منهم طاهراً ، لم يؤذن له فيه^(٤) .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ لدلالات .

﴿لِقَوْمٍ يَنْفِكُونَ﴾ فيستدلون على قدرته تعالى على البعث .

(١) «نفس» ساقطة من «ت» .

(٢) في «ت» : «ونصب الياء» .

(٣) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٠) ، و«تفسير البغوي» (١٩/٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص : ٣٧٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١/٦) .

(٤) انظر : «تفسير النسفي» (٥٦/٤) .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا ﴾ أي: بل اتخذ قريش ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: من غير إذنه ﴿ شُفَعَاءَ ﴾ والهمزة إنكار عليهم؛ لاعتقادهم شفاعاة الأصنام حيث قالوا: ﴿ هَتُولَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا ﴾ أي: وإن كانوا؛ يعني: الآلهة. ﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ من الشفاعاة ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا محذوف، تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه؛ لأنه.

﴿ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يُحْصِي أَعْمَالَكُمْ هُنَا .
﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ ﴾ إِلَى حِسَابِهِ ثُمَّ ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ فَيَجَازِيكُمْ . قرأ يعقوب:
(تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم ، والباقون : بضم التاء ونصب الجيم^(١) .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١).

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: أفرد بالذكر دون آلهتهم
﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت ﴿قُلُوبُ﴾ الكافرين .

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنام .
﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بذلك .

روي أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته: تلك
الغرائق العلاء، ففرح الكفار بذلك^(١).

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/٢٣٠): جاءت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها
مسندة من وجه صحيح . وقال الألوسي في «تفسيره» (١٧/١٧٧) بعد أن ذكر من
أسند هذه القصة: قد أنكر كثير من المحققين هذه القصة؛ فقال البيهقي: هذه
القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضي عياض في «الشفاء»: يكفيك في
توهين هذا الحديث أنه لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند
صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ثم ذكر - رحمه الله - عن
محمد بن إسحاق وأبي منصور الماتريدي ما ملخصه: أن هذه القصة من وضع
الزنادقة يلقونها بين الضعفاء وأرقاء الذين ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة
الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية . إلخ . وانظر: «الإسرائيليات» لأبي شعبة
(ص: ٣١٤-٣٢٢).

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ ﴾ خالق ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾
أي: التجيء إليه بالدعاء؛ فإنه قادر على ما يشاء، ومعنى اللهم: يا الله
برحمتك وفضلك، والغيب: ما غاب عن البشر، والشهادة: ما شهده.

﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاةً
من الليل يقول: اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ
والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادة، أنتَ تحكمُ بينَ عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بأمرك، إنك تهدي من تشاء إلى
صراطٍ مستقيم»^(١).

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ
سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أخبر تعالى عن سوء حال الكفرة يوم القيامة، وأن
ما نزل لو قدروا على الافتداء منه بضعف الدنيا بأسرها، لفعلوا.

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة
الليل وقيامه، من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

[٤٨] ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ أي: جزاء سيئات ﴿مَا كَسَبُوا﴾ من الشرك عند عرض صحائفهم.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من البعث والعذاب.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَانَا﴾ وعطف هذه الآية بالفاء، وعطف مثلها في أول السورة بالواو؛ لأن هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ على معنى: إنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مس أحدهم ضرر، دعا من اشْمَأَزَّ من ذكره، دون من استبشر بذكره، وما بينهما من الآيات^(١) اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِنَّا﴾ تفضلاً ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

أي: علم من الله أني أهل له، وذكر الكناية؛ لأن المراد بالنعمة: الإناعام.

(١) في «ت»: «من الآتي».

﴿ بَلَّهَى ﴾ أي: النعمة ﴿ فِتْنَةً ﴾ استدراجٌ لهم .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ قَدْ قَالَهَا ﴾ أي: مقالته ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني: قارون؛ حيث

قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨] .

﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الأموال والمعاصي .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ سَيِّئِهِمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: جزاؤها وهو العذاب .

﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ ﴾ يعني: كفار مكة .

﴿ سَيِّئِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ كما أصاب أولئك .

﴿ وَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفاتتين، فقتل صناديدهم ببدر، وقحطوا سبع سنين .

﴿ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ فإنه وسَّع عليهم

سبع سنين بعد تلك السبعة .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] عن ابن عباس: أن ناساً من المشركين كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل:

﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ﴿١﴾ فَرَطُوا وَتَعَدَّوْا الطُّورَ ﴿٢﴾ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴿٣﴾ القنط: أعظم اليأس. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم^(٢): (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، وقرؤوا هم وحمزة: (لَا تَقْنَطُوا) بفتح النون، وقرأ الباقون: بإسكان الياء وكسر النون^(٣).
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ عموم بمعنى الخصوص، على أن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة، و(جَمِيعًا) نصب على الحال.

(١) رواه البخاري (٤٥٣٢) كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا ﴾، ومسلم (١٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -.

(٢) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦ و١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢).

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال ﷺ: « إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»^(١) .

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ .

[٥٤] ﴿ وَأَنِيبُوا ﴾ وارجعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ عن الذنب تائبين .

﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ أخلصوا العمل لوجهه .

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العذاب .

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وهو القرآن .

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ فجأة .

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ لشغلكم^(٢) .

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٧) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الزمر، والإمام أحمد

في «المسند» (٤٥٤/٦) من حديث أسماء بنت يزيد، قال الترمذي: حسن

غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب .

(٢) في «ت»: «لغفلتكم» .

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ
السَّخِرِينَ ﴾ [٥٦].

[٥٦] ﴿ أَنْ تَقُولَ ﴾ (أن) في هذه الآية مفعول من أجله؛ أي: وأنبيوا
وأسلموا من أجل أن تقول ﴿ نَفْسٌ ﴾ نكر نفساً إرادة الكثرة؛ ليشيع في كل
النفوس ﴿ بِحَسْرَتِي ﴾ أصلها: يا حسرتي، ومن العرب من يرد ياء الإضافة
ألفاً، فيقول: يا غلاماً، ويا جاراً. قرأ أبو جعفر: (يا حَسْرَتَاي) بياء بعد
الألف، وروي عنه فتحها وإسكانها، وكلاهما صحيح عنه، وقرأ الباقون:
بغير ياء، ووقف يعقوب: (يا حَسْرَتَاهُ) بهاء ساكنة بعد الألف^(١).
﴿ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ ﴾ قَصَّرْتُ ﴿ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ أي: طاعة الله.
﴿ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ ندامة على استهزائه بأمر الله تعالى،
والسخر: الاستهزاء.

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ بِالطَّافِهِ.

﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ الشُّرْكَ.

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴾ عَيَانًا: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾ رجعة

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٥/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٦).

إلى الدنيا ﴿ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الموحدين ، ويحمله على هذا القول تحيره وندمه حيث لا ينفع .

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ (٥٩) .

[٥٩] فثم يقال رداً عليه^(١) : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي ﴾ يعني : القرآن ، وهي سبب الهداية ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ﴾ عنها .
﴿ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ بها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦٠) .

[٦٠] ﴿ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ ﴾ بأن جعلوا له البنات والصاحبة ، وشرعوا ما لم يأذن به ، إلى غير ذلك .
﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما ينالهم من الشدة .
﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مقام ﴿ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان؟

﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١) .

[٦١] ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب :

(١) « فثم يقال رداً عليه » زيادة من « ت » .

وَيُنَجِّي اللَّهُ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، **وقرأ** الباقون: بفتح النون وتشديد الجيم^(١)، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِمَفَازَاتِهِمْ) بألف بعد الزاي على الجمع؛ لأن لكل واحد مفازة؛ أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز، **وقرأ** الباقون: بغير ألف على الإفراد إرادة الجنس^(٢)، وهو مصدر من الفوز: النجاة؛ أي: مكان الفوز، وهو الجنة.

﴿لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ﴾ لا يصيبهم المكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تفسير للمفازة.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كلام مستأنف دال على الوجدانية.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ والوكيل: القائم على الأمر، الزعيم بإكماله، فالخلق غير المخلوق، وهو فعل الرب تعالى القائم به، مغاير لصفة القدرة في قول الحنفية وأئمة الشافعية والسلف وأكثر أصحاب أحمد؛ خلافاً لأكثر المعتزلة وغيرهم في قولهم: هو هو.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٦-٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٧).

﴿ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴾ [٦٣].

[٦٣] ﴿ لَهُ مَقَالِدُ ﴾ أي: مفاتيح خزائن ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ واحدها
مِقْلَاد، فمفاتيح السموات: المطر، والأرض: النبات.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ متصل بقوله:
﴿ وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وما بينهما اعتراض، التقدير: وينجي المتقين،
والكافرون هم الخاسرون.

﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ وذلك أن كفار قريش
دعوه إلى دين آباءه. **قرأ** ابن عامر: (تَأْمُرُونِي) بنونين ظاهرتين خفيفتين
على الأصل، الأولى علم الرفع، والثانية للوقاية، ويسكن ياء الإضافة،
وقرأ نافع، وأبو جعفر: بنون واحدة خفيفة على الحذف مع فتح ياء
الإضافة، **وقرأ** الباقر: بنون واحدة مشددة على الإدغام، فابن كثير منهم
يفتح ياء الإضافة، والباقر: يسكنونها^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص:
١٩٠-١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/٣٦٣-٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٧-٢٨).

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٥].

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من الرسل .
﴿ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الذي عملته قبل الشرك وحبط معناه : بطل ،
فالخطاب مع الرسول ﷺ ، والمراد منه : غيره .

﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ في صفتك بسبب حبوط عملك ، وتقدم حكم
بطلان أعمال المرتدين من صلاة وحج ، واختلاف الأئمة في ذلك في سورة
البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم مِّنْ دِينِهِ فَمَا يَمُوتْ وَهُوَ
كَافِرٌ ﴾ [الآية : ٢١٧] .

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [٦٦].

[٦٦] ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ﴾ الفاء جواب شرط محذوف ، تقديره : لا تعبد ما
أمرك الكفار بعبادته ، بل إن عبدت ، فاعبد الله ، فحذف الشرط ، وأقيم
المفعول مقامه ، معناه : لا تعبد إلا الله .
﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ له على فضله .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به
غيره ، ثم أخبر عن عظمته .

فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال من الأرض^(١) ﴿فَبَضَّتْهُ﴾ أي: في تصرفه، والمراد: الأرضون السبع؛ لقوله: (جَمِيعًا).
 ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ أي: مجموعات بقدرته.
 ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو منزه عن الشبه الذي لا يليق به.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٦٨].
 ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن، والصحيح أنها النفخة الثانية بعد نفخة الفزع بأربعين سنة، وفي الخبر: أنها ثلاث نفخات، وتقدم ذكرها في سورة النمل.
 ﴿فَصَعِقَ﴾ فمات.
 ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما.
 ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة^(٢) ﴿أُخْرَى﴾ هي نفخة البعث، وروي أن بين النفختين أربعين، لا يدري أبو هريرة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة^(٣).

(١) «حال من الأرض» زيادة من «ت».

(٢) «نفخة» زيادة من «ت».

(٣) رواه البخاري (٤٥٣٦) كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ جميع الخلائق ﴿فِيَّامٍ يُنظَرُونَ﴾ أهوال يوم القيامة وما يُفعل

بهم .

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أي : أضاءت عرصات يوم القيامة .

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إضافة خلق إلى خالق؛ أي : بنور الله تعالى، وقيل :

بعده .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي : كتاب الأعمال، ووُحِدَ على اسم الجنس؛ لأن كل واحد له كتاب على حدة ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على أممهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ يشهدون للرسول بالإبلاغ، وهم أمة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداء على الناس، وقيل : الحفظة .

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي : بين العالم بأجمعه ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١) لا يوضع شيء من أمورهم في غير موضعه . قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب : (وَجِئَءَ) و(قِيلَ)، و(وَسِيقَ) : بإشمام الضم الجيم والقاف والسين، وافقهم في إشمام السين : ابن ذكوان راوي ابن عامر (٢) .

-
- (١) في «ت» كتبت الآية : ﴿بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وهو خطأ .
(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٢ و١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٠) .

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ثواب .

﴿ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ جماعات ، واحدها

زُمرَة ، ونصبه على الحال ؛ أي : يساقون سوقاً خبيثاً إلى النار .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ السبعة عند مجيئهم ؛ تهويلاً لشأنها ،
ولم تفتح قبل ؛ لبقاء حرها .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ وهم الزبانية توبيخاً : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ من
جنسكم ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ ﴾ يخوفونكم .
﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ وهو وقت دخول النار .

﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فوجبت لنا النار .

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [٧٢].

[٧٢] ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾
جهنم، وأبهم القائل؛ لتحويل ما يقال لهم.

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [٧٣].

[٧٣] ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ تكرمة لهم، ونصبه
على الحال. قرأ أبو عمرو: (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) بإدغام التاء في الزاي^(١).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ وجواب (حتى) محذوف تقديره:
حتى إذا جاؤوها، اطمأنوا، وجيء بالواو في (وَفُتِحَتْ) للايدان [أنها كانت
مفتحة قبل مجيئهم تكرمة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمْ
الْأَبْوَابُ ﴾ [ص: ٥٠] قالوا: وللحال تقديره: جاؤوها وقد فتحت أبوابها،
وحذفها في الآية الأولى لبيان^(٢) أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فالكفار
يساقون إلى النار سريعاً إهانةً، والمنتقون يساقون إلى الجنة ليصلوا إلى
ما أعد لهم فيها تكرمة لهم. قرأ الكوفيون، وهم: عاصم، وحمزة،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣٢/٦).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

والكسائي، وخلف: (فُتِحَتْ) (وَفُتِحَتْ) بتخفيف التاء فيهما، والباقون:
بالتشديد على التكرير^(١).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يعتربكم بعد مكرهه .

﴿ طِبْتُمْ ﴾ أي: طاب لكم المقام ﴿ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ والفاء للدلالة على

أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم، فدخلوها .

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنْ

الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾^(٧٤) .

[٧٤] فلما رأوا ما أعد لهم فيها، أعجبوا سروراً ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ﴾ بالبعث والثواب ﴿ وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الجنة،
والورثة هنا مستعارة؛ لأن حقيقة الميراث أن يصير شيء إلى إنسان بعد
موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار لو كانوا مؤمنين ﴿ نَتَبَوُّهُ ﴾
نتنزل ﴿ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ ﴾ منها، ثم يدخل سائر الأمم^(٢)، وهو إشارة
إلى السعة والزيادة عن قدر الحاجة، لا أن أحداً ينزل في غير منزله، روي
أن أمة محمد ﷺ تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر
الأمم، قال الله تعالى: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ ثواب المطيعين .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)،

و«تفسير البغوي» (٤/٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣١).

(٢) «منها ثم يدخل سائر الأمم» ساقطة من «ت».

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٧٥].

[٧٥] ثم وصف حال الملائكة فقال: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
الْعَرْشِ ﴾ أي: محيطين بجوانبه.

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد؛ لأن التكليف يزول
في ذلك اليوم.

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: بين جميع الخلائق.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والقائلون هم المؤمنون؛ شكراً لله حين تم
وعده لهم، وقد فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية؛ للإيدان
أن يحمد تعالى في أول كل أمر وخاتمته، والله أعلم.

* * *



مكية بإجماع، وقد روي في بعض^(١) آياتها أنها مدنية، وذلك ضعيف، والأول أصح، وآيها: خمس وثمانون آية، وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة وستون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وتسعون كلمة.

روى أنس عن النبي ﷺ: «أن الحواميم ديباجُ القرآن»^(٢)، ومعنى العبارة أنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضاً، وأيضاً فهي قصار لا يلحق قارئها فيها سامة.

وعن عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يرتع في رياض مؤنقة من الجنة، فليقرأ الحواميم»^(٣).

وعن ابن عباس قال: «لكل شيء لباب، وللباب القرآن الحواميم»^(٤).

(١) «بعض» ساقطة من «ت».

(٢) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمي، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢٦٩/٧). ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٦٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٧١)، عن ابن مسعود موقوفاً عليه من قوله.

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢٦٩/٧).

(٤) رواه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾

[١] ﴿حَمَّ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف^(١)، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الحاء محضاً، وقرأ ورش عن نافع: بإمالتها بين اللفظين، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه بين اللفظين، والفتح، والوجهان صحيحان عنه، وقرأ الباقون، وهم: ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر: بالفتح، وأبو جعفر: يقطع الحروف على أصله، وكذا اختلافهم في بقية الحواميم، وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور، ويختص هذا المحل بقول آخر: أن هجاء (حُمَّ) بضم الحاء وشد الميم المفتوحة^(٢)؛^(٣) كأنه يقول: حتم الأمر^(٤)، ووقع، وقال ابن عباس: «(الر) و(حَمَّ) و(ن) هي حروف (الرحمن) مقطعة في سور^(٥)»، وروى أنه

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) في «ش»: «مفتوحة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٣٣/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٧٠-٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥/٦).

(٤) في «ت»: «حُمَّ الأرض».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/١٠)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣٣/٤)، والتعليق الآتي عند تفسير الآية (١) من سورة الشورى.

اسم الله الأعظم، أقسم بحلمه وملكه، وقيل: الأقرب هاهنا أن يقال:
(حم) اسم السورة.

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢)

[٢] فقوله: ﴿ حَم ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾ والتقدير: أن هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب من الله.
﴿ الْعَزِيزِ ﴾ الذي لا مثل له ﴿ الْعَلِيمِ ﴾ بكل المعلومات.

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣)

[٣] ﴿ غَافِرِ ﴾ أي: سائر ﴿ الذَّنْبِ ﴾ للمؤمنين، والذنب: مأخوذ من الشيء الذي الرذل، ومنه ذنب كل شيء؛ أي: آخره ﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ لهم؛ أي: التوبة، مصدر تاب يتوب توباً ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ للمشركين.
﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ أي: ذي التطول^(١) والمن بكل نعمة، فلا خير إلا منه، فترتب في هذه الآية وعيد بين ضدين، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه، وقال ابن عباس: «الطول: السعة والغنى»^(٢)، ثم صدع بالتوحيد في قوله:
﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وبالبعث والحشر في قوله: ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

(١) «أي: ذي التطول» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٤/١٠)، وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٤٦/٤).

﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي
الْبِلَادِ ﴾.

[٤] ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: في دفعها بالباطل .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بقولهم مرة: إنه سحر، ومرة: إنه قول الكهنة،
ومرة: هو أساطير الأولين^(١)، ومرة: إنما يعلمه بشر، وأشباه هذا، أما
الجدال فيه لحل عقده، واستنباط حقائقه، وتقرير الحق فيه، فمن أعظم
الطاعات .

روي أن رسول الله ﷺ سمع قوماً يتمارون فقال: «إنما هلك من كان
قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدِّقُ
بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم
فكلوه إلى عالمه»^(٢).

﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ ﴾ يا محمد ﴿ تَقَلُّبُهُمْ ﴾ تصرُّفهم للتجارة .

﴿ فِي الْبِلَادِ ﴾ فإنهم إن تمتنعوا بزخارف الدنيا، فإنهم يعذبون في
الآخرة .

(١) «الأولين» ساقطة من «ت» .

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/١٨٥)، وعبد الرزاق في «المصنف»
(٢٠٣٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٥)، والبيهقي في «شعب
الإيمان» (٢٢٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٥] لأنهم كذبوك كما ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ نوحاً ﴿ وَالْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا على أنبيائهم، وكفروا بهم ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد قوم نوح. ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ ﴾ كافرة ﴿ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ بالشرك، والباطل: ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام الحليّة^(١)؛ كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿ لِيُدْحِضُوا ﴾ ليزيلوا ﴿ بِهِ الْحَقَّ ﴾ الإسلام. ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ بالإهلاك ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ فإنكم تمرّون على آثارهم، وهذا تهديد لكفار مكة. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَأَخَذْتُهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام^(٢)، وقرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء، والباقون بحذفها^(٣).

-
- (١) في «ت»: «المحلية» .
(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦/٦).
(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦/٦).

﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾^(٦).

[٦] ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من قومك، كما حقت على الأمم المكذبة.

﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: بأنهم ﴿ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ سكانها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بألف بعد الميم على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد، وهي للجنس^(١).

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾^(٧).

[٧] ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ من الحافين به، وهم الكروبيئون سادة الملائكة. قال ابن عباس: «حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمس مئة عام، وهم خشوع، لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء [السابعة، وكل أهل سماء أشد خوفاً من أهل السماء]^(٢) التي دونها».

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٦-٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبح قدوس رب الملائكة والروح.

روي أن حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: [سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حكمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون] (١): سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (٢)، وكأنهم يرون ذنوب بني آدم.

وروي أن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة يطوفون ويحمدون مسبحين بحمد ربهم (٣) ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تعالى أنه واحد (٤) لا شريك له.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ونصبه على التمييز.

﴿فَأَعِزُّ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦١/١٩)، عن شهر بن حوشب.

ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٥٤/٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»

(٣/٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤)، عن هارون بن رثاب.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣٦/٤).

(٤) «واحد» زيادة من «ت».

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ احفظهم عنه. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف
عنه: (وَقِهِمْ) بضم الهاء^(١).

قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة، وأغش الخلق
للمؤمنين هم الشياطين، وتلا هذه الآية^(٢).

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ إياها.

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ عطف على (هم) في (وَأَدْخِلْهُمْ)؛
أي: أدخل معهم هؤلاء؛ ليتم سرورهم.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ ادفع عنهم العقوبات يوم القيامة، والمعنى:

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (١/٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٣٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»
(٢/٢٠٨)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي
(٧/٢٧٦).

وقهم ما يسوؤهم . قرأ رويس عن يعقوب : (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) بضم الهاء والميم ، والباقون : بكسرهما^(١) .

﴿ وَمَنْ نَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ .

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ ﴾ عند دخول النار ورؤيتهم أعمالهم الخبيثة ومقتهم أنفسهم .

﴿ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ المعنى : أنه يقال لهم يوم القيامة : لمقت الله أنفسكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون أشد مما تمقتونها اليوم وأنتم في النار .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا آثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

[١١] ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ ﴾ أي : إمامتين : الأولى : أن خلقوا في أصلاب آبائهم موثلاً ، والثانية : عند انقضاء آجالهم .

﴿ وَأُحْيَيْتَنَا آثْنَتَيْنِ ﴾ إحياءتين : الأولى : الخروج من البطن ، والثانية : البعث يوم القيامة .

(١) انظر : المصادر السابقة .

﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِدُنُونِنَا ﴾ بكفرنا بالبعث .

﴿ فَهَلْ ﴾ لنا (١) .

﴿ إِلَى خُرُوجِ ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (٢) .

﴿ مِنْ سَبِيلِ ﴾ طريق .

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُونَ ﴾
﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ .

[١٢] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ تعليل في المعنى ؛ أي : الذي أنتم فيه من العذاب

﴿ بِأَنَّهُ ﴾ أي : بسبب أنكم ﴿ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ بالتوحيد ﴿ كَفَرْتُمْ ﴾

وقلتم : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص : ٥] .

﴿ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ معبودكم ﴿ تُؤْمِنُونَ ﴾ تصدقوا ذلك المشرك .

﴿ فَالْحُكْمُ ﴾ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار ﴿ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ لا

لنلك التي كنتم تشركونها معه في الألوهية ، والعَلِيُّ الْكَبِيرُ صفتا مدح من صفاته تعالى .

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ .

[١٣] ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على وحدانيته .

(١) «لنا» ساقطة من «ت» .

(٢) «ربنا» زيادة من «ت» .

﴿ وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ أي: مطراً هو سبب الأرزاق .
﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ يرجع عن الشرك .

﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من الشرك .

﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ إخلاصكم .

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ أي: رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة .

﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ خالقه .

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ ينزل الوحي ، سماه روحاً ؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ من قضائه ﴿ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الأنبياء .

﴿ لِيُنذِرَ ﴾ قراءة العامة : بالغيب ؛ أي : لينذر النبي بالوحي ، وقرأ روح عن يعقوب من رواية زيد : (لِتُنذِرَ) بالخطاب^(١) ؛ أي : لتنذر أنت يا محمد .

﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ هو يوم القيامة ؛ لأن الخلائق تلتقي فيه . قرأ نافع ، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني وعن قالون راوي الأول : (التَّلَاقِي)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، وذكرها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص: ١٣٢) عن ابن السَّمِيفِ .

و(التَّنَادِي) بإثبات الياء فيهما وصلًا، وأثبتها^(١) ابن كثير ويعقوب فيهما وصلًا ووقفًا، وحذفها الباقون فيهما في الحالين^(٢).

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١٦).

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم في بَرَّازٍ من الأرض، ينظرهم البصر، لا تسترهم أَكْمَةٌ ولا غيرها، ونصب (يَوْمَ) على البدل من الأول، فهو نصب لمفعول ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ في الدارين ﴿مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعمالهم وأحوالهم، فبعد فناء الخلق يقول تعالى:

﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلم يُجَبَّ، فيجيب نفسه تعالى بقوله:

﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ الذي قهر الخلق بالموت.

﴿الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٧).

[١٧] ﴿الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يُجْزَى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

(١) في «ت»: «وأثبتها».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٨-٣٩).

﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يحاسبهم في وقت واحد، فلا يشغله حساب عن حساب.

﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَاءٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾ [١٨].

[١٨] ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ ﴾ خَوْفُهُمْ ﴿ يَوْمَ الْأَازِفَةِ ﴾ القيامة، سميت به؛ لأزفها؛ أي: قربها، نظيره: ﴿ أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: قربت القيامة.

﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر ﴿ كَظْمِينَ ﴾ مكرويين.
﴿ مَاءٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ قريب ينفعهم ﴿ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾ فيشفع لهم.

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ﴾ أي: خافية ﴿ الْأَعْيُنِ ﴾ هي استراق النظر إلى محرّم؛ كفعل أهل الريب ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ تضمّره القلوب.

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ يحكم بالعدل.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ لعجزهم . قرأ نافع، وهشام عن ابن عامر: (تَدْعُونَ) بالخطاب على معنى: قل لهم يا محمد: والذين تدعون أنتم، والباقون: بالغيب على ذكر الغائب .

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ صفتان بيّنَ عُرْوَةَ الأصنام عنهما، وهي عبارة عن الإدراك على إطلاقه .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (٢١) .

[٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وشمود .

﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن عامر: (أَشَدَّ مِنْكُمْ) بالكاف، وكذا هو في المصحف الشامي، والباقون: بالهاء، وكذا هو في مصاحفهم^(١) .

﴿قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: ألم يعتبروا بمن قبلهم؟ كانوا أشد منهم بأساً وأجساداً، وأحصن قصوراً، فكفروا .

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فأهلكهم .

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ يدفع عنهم العذاب . قرأ ابن كثير: (وَاقِي)

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/٦) .

و(هَادِي) بإثبات الياء وقفاً، وروي ذلك عن يعقوب^(١).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ فكذبوهم .

﴿ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ ﴾ متمكن مما يريد .

﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وهذا كله وعيد لقريش .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ثم ابتدأ تعالى قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وملئه، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأسوة، وفيها لقريش وعيد ومثال يخافون منه أن يحل بهم ما حل بأولئك من النعمة، وفيها وعد للمؤمنين بالنصر والظفر، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ وهي المعجزات .

﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان ظاهر .

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقَرُّونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقَرُّونَ فَقَالُوا سِحْرٌ ﴾ في أمر العصا .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٤٠ و ٤٥).

﴿ كَذَّابٌ ﴾ في قوله : إنه رسول من الله ، وخص هامان وقارون بالذكر ؛
تنبيهاً على مكانهما من الكفر ، ولكونهما أشهر رجال فرعون .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ أي : أعيدوا القتل الذي كان أولاً عند مولد موسى عليه
السلام .

﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ عبارة وجيزة تعطي قوتها أن
هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل ،
ولا نجحت لهم فيه سعاية ، بل أضل الله سعيهم وكيدهم .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لقومه : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ لأنهم كانوا يكفونه
عن قتله ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ الذي يزعم أنه أرسله ، هل يمنعه من القتل ؟

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ يغير ما أنتم عليه ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ ﴾ فساد دينكم وديناكم بما يحدث عليكم ^(١) بسبب إيمانكم من قتل
وغيره . قرأ ابن كثير : (ذُرُونِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها ، [وقراً

(١) في «ت» : «منكم» .

نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)[^(٢)، **وقرأ** الكوفيون ويعقوب: (أَوْ أَنْ) بزيادة ألف مفتوحة قبل الواو، وبإسكان الواو، وكذلك هي في مصاحف الكوفة، **وقرأ** الباقيون: بالواو مفتوحة ليس قبلها ألف، وكذلك هو في مصاحفهم، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يُظْهِرُ) بضم الياء وكسر الهاء (الْفَسَادُ) بالنصب مفعولاً؛ أي: يحدث موسى الفساد، **وقرأ** الباقيون: بفتح الياء والهاء (الْفَسَادُ) بالرفع فاعلاً^(٣)، فصار حفص عن عاصم ويعقوب على أصل واحد، وهو زيادة الألف قبل الواو، وضم الياء من (يُظْهِرُ) ونصب (الْفَسَادُ)، ونافع، وأبو جعفر وأبو عمرو على أصل، وهو إسقاط الألف وضم الياء من (يُظْهِرُ) ونصب (الْفَسَادُ)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم على أصل، وهو زيادة الألف قبل الواو، وفتح الياء من (يُظْهِرُ) ورفع (الْفَسَادُ)، وابن كثير، وابن عامر على أصل، وهو إسقاط الألف، وفتح الياء من (يُظْهِرُ)، ورفع (الْفَسَادُ)، فعلى القراءة بالواو وبغير ألف قبلها: خاف عليهم تبديل دينهم والفساد، وعلى القراءة بالألف قبل الواو: خاف عليهم تبديل دينهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١/٦).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١-٤٢/٦).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لما سمع قول فرعون: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لجهله . قرأ أبو عمرو،
وحمزة، والكسائي، وخلف: (عُذْتُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون:
بالإظهار، بخلاف عن أبي جعفر^(١) .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ
يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ابن عمه، واسمه
خربيل، وقيل غيره، وهو الذي حكى الله عنه: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
يَسْعَى ﴾ [الفصل: ٢٠]، وكان قد آمن بموسى وهو ﴿ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ حكى ابن
عطية في «تفسيره»^(٢) عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل ابن الجوهري على المنبر
يقول وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة، فأطرق قليلاً، ثم
رفع رأسه فقال:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٤٢).

(٢) في «المحرر الوجيز» (٤/٥٥٥).

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسْلاً عَنْ قَرِينِهِ فِكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي
 ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه، وخصهم بمشاهدته، وتلقي
 الوحي منه، وقد أثنى الله - عز وجل - على رجل مؤمن من آل فرعون كتم
 إيمانه وأسرره، فجعله تعالى في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام
 قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب -
 رضي الله عنه - إذ جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد هذا
 اليوم، انتهى.

﴿ أَفَتَسْتَلُونَ ﴾ ظمناً بلا دليل ﴿ رَجُلًا أَنْ ﴾ أي: لأن.
 ﴿ يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: بما يدل على
 صدقه، ثم فصل شأن موسى بقوله:
 ﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ أي: ضرر كذبه. قرأ أبو عمرو: (وَإِنْ
 يَكُ كَاذِبًا) بإدغام الكاف في الكاف، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١)؛ لنقصان
 الحرفين بعدها^(٢) من الكلمة مع قلة حروفها.
 ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ به من العذاب عاجلاً،
 وبذلك المقدار تهلكون.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ على الله.

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٤٣/٦).

(٢) «بعدها» زيادة من «ت».

﴿ يَقْوَمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ثم استعطفهم بقوله: ﴿ يَقْوَمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: غالبين في أرض مصر.

﴿ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ يمنعنا من عذابه.

﴿ إِنْ جَاءَنَا ﴾ إذا قتلتم أولياءه.

فثُمَّ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ إضراباً عن مجادلة المؤمن انقطاعاً لقومه:

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى.

﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ ﴾ أدعوكم ﴿ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ طريق الفلاح.

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقْوَمُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقْوَمُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ ﴾ أي: أيام ﴿ الْأَحْزَابِ ﴾ لأنه كان لكل حزب يوم. وتقدم اختلاف القراء في فتح الياء وإسكانها من (إِنِّي أَخَافُ).

﴿ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ مِثْلَ دَابِّ ﴾ عطف بيان لـ(مثل) قيل: أي: مثل عادة.

﴿ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ كقوم لوط، المعنى:
أخاف عليكم مثل جزاء عادة من كفر قبلكم أن يحل بكم مثلهم.

﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ لأنه عادل، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة
عليهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لأنه
نفى إرادة ظلم ما. قرأ أبو عمرو: (يُرِيدُ ظُلْمًا) بإدغام الدال في الظاء^(١).

﴿ وَيَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَيَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً
في القيامة، وهو يوم الأعراف، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار،
وبالعكس، وينادي: ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً،
[وأن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً]^(٢)، وينادي حين يُذبح
الموت: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت. قرأ
ابن عامر: (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال؛ أي: يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا،
فندوا في الأرض كما تندُّ الإبل إذا شردت عن أربابها، قاله البيهقي^(٣).

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤٤/٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) في «تفسيره» (٤٢/٤)، والقراءة عنده وعند ابن جني في «المحتسب»
(٢٤٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٤/٦) ذكرت عن ابن عباس.

﴿ يَوْمَ تُولُونَ مُدْرِبِينَ مَأَلِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [٣٣]

[٣٣] ﴿ يَوْمَ تُولُونَ مُدْرِبِينَ ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وقيل: هاربين من النار إذا لفحهم زفيرها.

﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: من عذابه ﴿ مِنْ عَاصِرٍ ﴾ مانع.

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ وتقدم اختلاف القراء في الوقف على الياء من (التَّنَادِي) و(هَادِي).

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيْنَتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ [٣٤]

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ ﴾ وهو ابن يعقوب - عليهما السلام -، بعث إلى القبط ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ أي: من قبل موسى - عليه السلام - ﴿ الْبَيْنَتِ ﴾ بالدلالات على صدقه، وهو قوله: ﴿ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ﴾ من الدين.

﴿ حَتَّى إِذَا هَلَكَ ﴾ مات ﴿ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ أي:

أقمتم على كفركم، وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، فلم تزالوا كافرين بيوسف وغيره.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كهذا الإضلال ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ في الأمور،
متعدِّ الطور ﴿ مُرْتَابٌ ﴾ شكُّ؛ لغلبة الوهم، والانهماك في التقليد.

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ثم أنحى لهم على قوم صفتهم موجودة في قوم فرعون، فكأنه
أرادهم، فزال عن مخاطبتهم حسن أدب واستجلاباً، فقال: ﴿ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ بالإبطال لها والرد ﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ﴾ برهان .
﴿ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ ﴾ جدالهم ﴿ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ ﴾ يختم ويحجب عن الهدى ﴿ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ قرأ
أبو عمرو، وابن عامر بخلاف عنه: (قَلْبٍ) بالتنوين (مُتَكَبِّرٍ) صفته، نسب
الكبر إلى القلب، والمراد: صاحبه، وقرأ الباقون: بغير تنوين بإضافة
(قَلْبٍ) إلى (مُتَكَبِّرٍ)^(١)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه، وبالعكس .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لوزيره: ﴿ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا ﴾ بناء ظاهراً عالياً
لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصله من التصريح، وهو الإظهار.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)،
و«تفسير البغوي» (٤٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٥/٦).

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ما أتوصل به إلى نيل مرادي. قرأ الكوفيون ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كِيدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾^(٣٧).

[٣٧] ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ طرقتها وأبوابها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (فَأَطَّلِعَ) بنصب العين على جواب (لعل)، لأنها هنا بمعنى التمني، وقرأ الباقون: برفعها عطفاً على (أَبْلُغُ)^(٢)، المعنى: لعلني أبلغ ما يوصلني إلى السماء، فأطلع ﴿إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ لأنظر ما هو.

﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ﴾ يعني: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، وتقدم ذكر قصة الصرح في سورة القصص.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (وَصَدَّ) بضم الصاد مجهولاً نسقاً على قوله (زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ)^(٣)، قال ابن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/٦). وذكر البغوي أن قراءة (فأطلع) بالنصب، هي قراءة حميد الأعرج أيضاً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٦).

عباس: «صدّه الله عن سبيل الهدى»^(١)، وقرأ الباقون: بالفتح معلوماً؛
أي: صدّ فرعونُ الناسَ ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيلِ الرّشادِ .
﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى .
﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ هلاك وخسران .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آهْدِكُمْ سَبِيلَ
الرَّشَادِ﴾^(٣٨) .

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
طريق الهدى . قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون عن نافع: (اتَّبِعُونِي)
بإثبات الياء وصلأً، وقرأ ابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، وحذفها
الباقون في الحالين^(٢) .

﴿يَتَّقُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ﴾^(٣٩) .

[٣٩] ﴿يَتَّقُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ تمتعون بها يسيراً، ثم
تزول .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٤٤) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٤٧-٤٨) .

﴿وَلِإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ الإقامة، فليعتد لها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] لأنه ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو النار إن لم يتب .
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والصالح :
الطاعات .

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة .
قرأ نافع، وابن عامر^(١)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن
عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، وقرأ
الباقون: بضم الياء وفتح الخاء^(٢) .

﴿وَيَنْقُومِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ .
[٤١] ﴿وَيَنْقُومِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ من النار بالتوحيد . قرأ
الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (مَا لِي) بإسكان الياء،

(١) «وابن عامر» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٤٨-٤٩) .

والباقون: بفتحها^(١)، وأبو عمرو يدغم الميم في الميم من (يا قوم مآ لي)^(٢) ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ بالإشراك، كرر نداءهم؛ إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾^(٤٢).

[٤٢] ثم فسر فقال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ بربوبيته.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر.

﴿الْغَفَّارِ﴾ لذنوب أهل التوحيد. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ) بالمد^(٣).

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ قرأ حمزة: (لَا جَرَمَ) بالمد بحيث لا يبلغ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٦).

الإشباع^(١)، يعني: حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده.

﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط بالعبادة.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لعجزه.

﴿وَلَا فِي الآخِرَةِ﴾ ينتفع بها.

﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ من
النصيحة، فثمّ توعدوه لمخالفته دينهم، فقال:

﴿وَأَفْوِضُ﴾ أَرَدُ ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ معتمداً عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر،
وأبو عمرو: (أَمْرِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يعلم المحق من المبتطل.

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥٠).

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِإِثْمِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ .

[٤٥] ثم خرج المؤمن من بينهم ، فقصدوا قتله .

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا﴾ به ، فنجا مع موسى .

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿إِثْمِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الغرق في الدنيا ، والنار في الآخرة .

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ .

[٤٦] وذلك قوله : ﴿النَّارُ﴾ وهي رفع على البدل من (سُوءُ الْعَذَابِ) .

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي : يُحرقون بها نحو : عُرض القوم على السيف ؛ أي : قتلوا به .

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً .

قال ابن مسعود : «أرواح آل فرعون في أجواف طيرٍ سود يُعرضون على النار كلَّ يوم مرتين حتى تقوم الساعة»^(١) .

ثم أخبر عن مستقرهم يوم القيامة فقال :

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/١٨٢) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٢٦٧) . ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفة» (٣٤١٦٠) ، والطبري في «تفسيره» (٢١/٢٩٥) عن الهذيل بن شرحبيل .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بوصل همزة (أَدْخِلُوا) وضم الخاء، ويبتدئون بضم الهمزة؛ من الدخول؛ أي: يقال لهم: ادخلوا يا آل فرعون، ف (يا) محذوفة، وقرأ الباقون: (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة مفتوحة في الحالين، وكسر الخاء؛ من الإدخال^(١)؛ أي: يقال للملائكة: أَدْخِلُوا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فيعاد عليهم الإحراق مرة بعد مرة دائماً.

﴿ وَإِذِ تَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿ وَإِذِ تَحَاجُّونَ ﴾ أي: اذكريا محمد لقومك وقت تخاصمهم.

﴿ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ ﴾ في القدر والمنزلة في الدنيا.

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم أشرف الكفار وكبرائهم، ولم يصفهم بالكبر إلا من حيث استكبروا، لا أنهم في أنفسهم كبراء ولو كانوا كذلك في أنفسهم، لكانت صفتهم الكبر أو نحوه مما يوجب الصفة لهم.

﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ جمعٌ واحدُه تابع؛ أي: كنا نطيعكم في الدنيا.

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ ﴾ دافعون ﴿ عَنَّا نَصِيبًا ﴾ جزءاً ﴿ مِنَ النَّارِ ﴾؟

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥٠-٥١).

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه؛ أي: نحن وأنتم جميعاً ﴿ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ فأدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ ﴾ حين اشتدت عليهم .
﴿ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ شافعين لنا ﴿ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا ﴾ أي: قدر يوم ﴿ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ أي: شيئاً منه .

﴿ قَالُوا أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْا إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [٥٠].

[٥٠] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الخزنة؛ توبيخاً: ﴿ أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ قرأ أبو عمرو: (رُسُلُكُمْ) (رُسُلْنَا) حيث وقع بإسكان السين، والباقون: بضمها^(١).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢-٥١/٦).

﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا ﴾ لهم تهكماً بهم: ﴿ فَادْعُوا ﴾ أنتم؛ فإننا لا نشفع لكافر، ثم قال تعالى:

﴿ وَمَادُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ هلاك؛ لأنه لا ينفعهم.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾.

[٥١] ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على أعدائهم.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بثبوت حجتهم.

﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ جمع شاهد، وهم الحفظة، يقومون يوم القيامة، فيشهدون للرسول بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾.

[٥٢] ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴾ قرأ نافع والكوفيون: (يَنْفَعُ) بالياء

على التذكير؛ لأن المعذرة والعذر واحد، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث المعذرة^(١)، المعنى: لو اعتذروا، لم يقبل عذرهم.

﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ البعد من الرحمة.

﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ الآخرة، وهو شدة عذابها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٠).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْثَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ ﴾ النبوة والحكمة، والتوراة تعم جميع

ذلك .

﴿ وَأَوْثَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ من بعد موسى .

﴿ الْكِتَابَ ﴾ وهي عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل قرناً بعد قرن

تصير فيهم التوراة إماماً، فكان بعضهم يرثها عن (١) بعض .

﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ إرشاداً وتذكرة .

﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ دون الأعمار الذين لا يعقلون .

﴿ فَاصْبِرْ إِنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ يا محمد على أذاهم .

﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصر أوليائه وقهر أعدائه، فكما نصر موسى وأبقى

التوراة في بني إسرائيل، فكذلك ينصرك ويبقي آثارك في أتباعك .

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ ليُستن بك ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صلِّ (٢) .

(١) في «ت»: «على» .

(٢) «صلِّ» زيادة من «ت» .

﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ الصلوات الخمس، وقيل: صلاة
الفجر والعصر.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي
صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

[٥٦] ونزل في اليهود لما قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح ابن داود
- يعنون: الدجال - يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويسير
معه الأنهار، ويرد الملك إلينا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ ﴾^(١) برهان ﴿ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ ما في قلوبهم ﴿ إِلَّا كِبْرٌ ﴾
أي: تكبر وتعاضم ﴿ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ ﴾ لأن الله مُدَلِّهُم، فليسوا بمدركي
مقتضاه.

﴿ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ فالتجىء إليه من فتنة الدجال.

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لأقوالكم وأفعالكم.

وتقدم ذكر ما ورد في الدجال في آخر تفسير سورة الكهف.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٨/١٠)، وزاد نسبه السيوطي في «الدر
المنثور» (٢٩٤/٧) لعبد بن حميد وقال: بسند صحيح عن أبي العالية، وذكر ابن
كثير في «تفسيره» (٨٥/٤) نحوه، وقال: هذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد،
وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ابتداءً .

﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم في الصدور .

﴿ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾ الكفار .

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، ولا توحيده تعالى، وهو توبيخ للكفار .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ ﴾ هو الجاهل ﴿ وَالْبَصِيرُ ﴾ هو العالم ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وهم المحسنون ﴿ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ اسم جنس يعم

المسيئين، و(لا) زائدة؛ لأنه في مقابلة المؤمنين .

﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تذكراً (ما) قليلاً يتذكرون، والضمير للناس

أو للكفار . قرأ الكوفيون: (تتذكرون) بتاءين على الخطاب، وقرأ الباقون:

بالغيب^(١)؛ لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٤٥) .

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيْنِيَّةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ﴾ القيامة .

﴿ لَأَيْنِيَّةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ لا شك في مجيئها^(١) .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون بها .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ﴾ اعدوني . قرأ ابن كثير : (ادْعُونِي) بفتح
الياء ، والباقون : بإسكانها^(٢) ، وأبو عمرو يدغم اللام في الراء ، وكذلك في
قوله (وَقَالَ رَجُلٌ) وشبهه حيث وقع^(٣) ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أُثْبِكُمْ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
صاغرین . قرأ ابن كثير ، وأبو جعفر ، وأبو بكر عن عاصم ، ورويس عن
يعقوب : (سَيَدْخُلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً ، وقرأ الباكون : بفتح
الياء وضم الخاء معلوماً^(٤) ، وقيل : الدعاء هو الذكر والسؤال .

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٧٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٢) ،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٥٤) .

(٣) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٥٤) .

(٤) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٧٢) ، و«تفسير البغوي» (٤ / ٥١-٥٢) ، =

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ، غَضِبَ عَلَيْهِ»^(١).

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٦١].

[٦١] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا ﴾ لتستقروا ﴿ فِيهِ ﴾ بأن خلقه بارداً مظلماً؛ ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس .

﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ يبصر فيه، وإسناد البصر إليه مجازي .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ وتنكيره الفضل يؤذن بكثرة فضله تعالى، وشياعه في كل فضل .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهلهم بالمنعم، وفي تكرير (الناس) توبيخ لهم .

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَّا تُؤَفِّكُونَ ﴾ [٦٢].

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الذي لا يشارك .

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥٤-٥٥).

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء .

﴿ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن

الإيمان مع قيام البرهان؟

﴿ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك .

﴿ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ولم يتأملوها .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ سقفاً

كالقبة .

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ قال ابن عباس: «خلق ابن آدم قائماً معتدلاً،

يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه»^(١) .

﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ اللذائذ غير رزق البهائم .

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإن كل ما سواه

مربوب .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥٢/٤) .

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥].

[٦٥] ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ الذي لا يموت .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا موجود يساويه .

﴿ فَادْعُوهُ ﴾ فاعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من الشرك .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هو إخبار ، وفيه إضمار الأمر ، مجازه : فادعوه واحمدوه .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٦].

[٦٦] ولما طلب الكفار منه ﷺ عبادة الأوثان ، نزل : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ (١) تعبدون ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ ﴾ دلائل التوحيد ﴿ مِنْ رَبِّي ﴾ وإن كان منهيًا عن عبادتها أبدأ عقلاً ، فهو مع البيئات أكد ، ويجوز أنه نهى له ﷺ ، والمراد غيره ، يوضحه :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لأنه كان مسلماً .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/٥٣) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِّنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ أي: أطفالاً، وتعلق (لِتَبْلُغُوا) بمحذوف تقديره: يُبقيكم .

﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ تكامل قوتكم، وكذلك .

﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (شيوخاً) بكسر الشين، والباقون: بضمها^(١) .

﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِّنْ قَبْلٍ ﴾ من قبل الأشد، ومن قبل أن يصير شيخاً، يفعل ذلك بكم لتعيشوا .

﴿ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ وقتاً محدداً، وهو وقت الموت .

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون .

﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ أراهه .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٦) .

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ عقب الإرادة بلا إباء . قرأ ابن عامر : (فَيَكُونُ) بنصب النون ، والباقون : بالرفع ^(١) .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴾ [٦٩]

[٦٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني : القرآن ، يقولون : ليس من عند الله ﴿ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴾ عن التصديق به ؟!

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٧٠]

[٧٠] ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ ﴾ القرآن .

﴿ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ﴾ من سائر الكتب .

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ جزاء تكذيبهم .

﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [٧١]

[٧١] ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ (إِذْ) ظرف زمان ماضٍ بمعنى

الاستقبال ؛ لأن مستقبل فعله تعالى كالماضي في تحققه لـ (يعلمون)

﴿ وَالسَّلْسِلُ ﴾ عطف على (الأغلال) ، فالخير : (في أعناقهم) .

﴿ يُسْحَبُونَ ﴾ بها .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٦) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٧/ ٦) .

﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ فِي الْحَمِيمِ ﴾ أي: يُجرون بالسلاسل^(١)، ويجرونها في جهنم
﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ ﴾ بعد جر السلاسل ﴿ يُسْجَرُونَ ﴾ يوقدون، فيصيرون سجار
جهنم^(٢).

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ ﴾ بعد الإحراق تبكيتاً: ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي الأصنام ﴿ قَالُوا ضَلُّوا ﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلم
نرهم، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم.
﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً ينفع
ويضر.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما أضل هؤلاء.

﴿ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ حتى لا يهتدوا.

(١) «يجرون بالسلاسل» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «النار».

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب الذي نزل بكم .

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ تبطرون وتتكبرون .

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وهو الشرك والطغيان .

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح وتختالون .

﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي: مقدرين الخلود فيها .

﴿فِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ولم يقل: فئس مدخل؛ للإعلام أن

الغرض من الدخول الإقامة .

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُزِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتُوفِينَاكَ فَالْيَتَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ فَكَيْمَا نُزِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾

من العذاب وهو القتل والأسر ﴿أَوْ تَتُوفِينَاكَ﴾ قبل حلول العذاب بهم .

﴿فَالْيَتَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فنعذبهم أشد العذاب . قرأ يعقوب :

يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨).

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ خبرهم في

القرآن.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ لم نذكر لك خبرهم.

روي أن عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً^(٢).

وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس^(٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٨/٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧١)، من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -، قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/١): ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، وفيه أن عددهم: «مئة ألف وعشرون ألفاً».

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٣٢). من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٢١٠): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جداً. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٥٨٧/١).

وعن علي - رضي الله عنه -: «أن الله تعالى بعث نبياً أسود، وهو ممن لم يقصص الله عليه»^(١).

وتقدم في سورة البقرة أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بأسمائهم، والذين أشير إليهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِكَ بِشَايَةٍ ﴾ تقترح عليه .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فإنهم عبيد مربوبون .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿ قُضِيَ ﴾ بين الرسل عليهم السلام ومكذبيهم ﴿ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ﴾ ثم ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾ المعاندون بعد ظهور الآيات المغنية عما يقترحون . واختلاف القراءة في الهمزتين من (جاء أمر الله) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ ﴾ هي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ﴿ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾ بعضاً؛ كالإبل ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ كالغنم والبقر، ف(منها) الأولى للتبعيض؛ لأن المركوب ليس من الأنعام، بل من

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١٩/٢١). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢٢٢/٣).

الإبل خاصة، و(منها) الثانية لبيان الجنس؛ لأن الجميع منها يؤكل.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفَلَكِ تَحْمَلُونَ ﴾ (٨٠).

[٨٠] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها.

﴿ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ تحمل أنقالكم من بلد إلى بلد.

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي: على الإبل في البر^(١) ﴿ وَعَلَى الْفَلَكِ ﴾ في البحر

﴿ تَحْمَلُونَ ﴾ نظيره قوله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ (٨١).

[٨١] ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ دلائل قدرته ﴿ فَآيَ ﴾ أي: أي آية من.

﴿ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَعَارَآ فِي الْأَرْضِ فَمَا آغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢).

[٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم السالفة.

(١) «في البر» زيادة من «ت».

﴿ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ ﴾ عدداً .

﴿ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَعَازَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ من المصانع والقصور .

﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ ﴾ لم ينفعهم ﴿ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ حين جاءهم عذاب الله ،

و(ما) الأولى نافية ، والثانية موصولة .

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٨٣) .

[٨٣] ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ وهو قولهم: نحن أعلم، لن نبعث، ولن نعذب، سمي ذلك علماً على ما يزعمونه على طريق التهكم .

﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: جزاء استهزائهم .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) .

[٨٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ شدة عذابنا ﴿ قَالُوا ﴾ بألسنتهم دون قلوبهم :

﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ أي: تبرأنا مما كنا نعدل

بالله .

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٨٥].

[٨٥] ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [١] لامتناع قبوله حينئذ .

﴿ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ ونصب (سُنَّتَ) مصدر مؤكد؛ أي: سن الله ذلك سنة ماضية في العباد أن الإيمان وقت نزول العذاب لا ينفع، و(سنت) رسمت بالتاء في خمسة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي (٢).

﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ اسم مكان استعير للزمان؛ فإن قوله: (هُنَالِكَ) إشارة إلى أوقات العذاب؛ أي: ظهر خسرانهم، وحضر جزاء كفرهم، والله أعلم.

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥٩) .

سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

وتسمى: المصاييح، وهي مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وست وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾

[١] ﴿حَمَّ﴾ تقدم الكلام في مذاهب القراء، وتفسير (حم) أول سورة غافر، فعلى القول المتقدم بأن (حم) اسم للسورة، يكون مبتدأ.

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

[٢] خبره ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتا رجاء ورحمة لله.

﴿كُنْتُ فُصِّلْتُ ءَايَاتُهُ فُرِّءَ أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

[٣] ﴿كُنْتُ﴾ بدل من (تَنْزِيلٌ)، أو خبر بعد خبر ﴿فُصِّلْتُ﴾ يُنْتِ.

﴿ءَايَاتُهُ﴾ بالأحكام والقصص والمواعظ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الاختصاص والمدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب
المفصل قرآناً من صفته كيت وكيت.

﴿لِقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أنه منزل^(١) بلغتهم فيفهمونه.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٤).

[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ للعالمين به ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمخالفين له، وهما نعتان للقرآن.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن قبوله.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ السماع النافع الذي يُعتد به سمعاً.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا
وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا﴾^(٥).

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ أغطية، جمع كنان.

﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل^(٢)، فلا نسمع ما تقول، وإنما قالوا ذلك؛

ليؤيسوه من قبولهم لدينه، وهو على التمثيل. قرأ الدوري عن الكسائي:

(آذَانِنَا) و(آذَانِهِمْ) بإمالة فتحة الدال حيث وقع^(٣).

(١) في «ت»: «نزل».

(٢) «ثقل» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٦٣).

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ أي: خلاف في الدين، فلا نلتفت إلى إنذارك، ولا نؤمن بك ﴿فَاعْمَلْ﴾ يا محمد في هلاكنا ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ في مثل ذلك، وقيل: فاعمل أنت على دينك، إنا عاملون على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ .

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لست ملكاً ولا جنياً .
﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ولولا الوحي ما دعوتكم .
﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ تعالى؛ أي: توجهوا إليه بالطاعة، ولا تعدلوا عنه إلى عبادة غيره ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من ذنوبكم ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ .

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ .
[٧] صفتهم ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، فلا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد .
﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وأعاد الضمير في قوله: (هم) تأكيداً .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ .
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا^(١) مقطوع

ولا منقوص .

(١) «لا»: ساقطة من «ت» .

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ الأحد والإثنين .
قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب:
(أَنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل بين
الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام،
وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين^(١)
﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ أشباهاً وأمثالاً .

﴿ ذَلِكَ ﴾ خالق الأرض ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذي خلق جميع الموجودات .

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾
سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ أي: في الأرض .

﴿ رَوَاسِيَ ﴾ أي: جبالاً^(٢) ثوابت .

﴿ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ من فوق الأرض مرتفعة عليها ﴿ وَبَرَكَ فِيهَا ﴾ بما خلق من
المياه والزرور والضرور ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أي: قسم في الأرض الأرزاق

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء
البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٦٤) .

(٢) «جبالاً» زيادة من «ت» .

بقدر الحاجة ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: تنمة أربعة أيام، المعنى: خلق الأرض في يومين: الأحد والإثنين، وقدر الأقوات في الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين المتقدمين أربعة أيام ﴿ سَوَاءً ﴾ قرأ أبو جعفر، (سَوَاءً) بالرفع على الابتداء؛ أي: هي سواء، وقرأ يعقوب: (سَوَاءً) بالكسر صفة لأيام، وقرأ الباقون: بالنصب على المصدر^(١)؛ أي: استوت سواء واستواء، ومعناه: سواء ﴿ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ عن خلقها بما فيها.

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ عمد إلى خلقها.

﴿ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ روي أن العرش كان قبل خلق السماء والأرض على الماء، فارتفع من ذلك الماء بخار فسمي دخاناً، فأيسس الله تعالى الماء فجعله أرضاً، ثم فتقها أرضين، ثم خلق من ذلك البخار السماء.

﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا ﴾ أي: كونا كما أردت.

﴿ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ مصدران في موضع الحال.

قال ابن عباس: «قال تعالى للسماء: أخرجي شمسك ونجومك، وللأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمرك ونباتك، فإن فعلتما ذلك طوعاً، وإلا ألجأتكما أن تفعلاه كرهاً»^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٦٤-٦٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» =

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ حال .

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ .

[١٢] فلما وصفهما بالقول، أجراهما في الجمع مجرى من يعقل
﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾ أتمهن؛ يعني: السموات ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس
والجمعة، وفرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها - أي: تلك الساعة - خلق
آدم، وفيها تقوم الساعة، وسمي بالجمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه،
وتكاملها، ولما لم يخلق الله تعالى يوم السبت شيئاً، امتنع بنو إسرائيل من
الشغل فيه.

قال ابن عطية^(١): والظاهر من القصص في طينة آدم: أن الجمعة التي
خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله
فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأن بايجاد الأرض والسماء والشمس
والقمر وجد اليوم ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: ما أمر به فيها .

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ نصب بمصدر
محذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع والشهب الصادرة عن
الكواكب .

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم .

= (٣١٦/٧) إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات» .

(١) في «المحرر الوجيز» (٥/٥) .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ كفار مكة عما جنتهم به ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ ﴾ خوفتمكم .

﴿ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ لأنكم تمررون على آثارهم إذا سافرتهم إلى الشام، والصاعقة: المهلكة من كل شيء .

﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ ﴾ ظرف لـ(أَنْذَرْتُكُمْ)؛ أي: إن كذبتهم، يحل بكم ما حل بهم حين جاءتهم ﴿ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من كل جانب ﴿ إِلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ ﴾ .

فثم ﴿ قَالُوا ﴾ استخفافاً برسولهم: ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا ﴾ هدايتنا ﴿ لَأَنْزَلَ ﴾ بدل هؤلاء الرسل ﴿ مَلَائِكَةً ﴾ فآمننا بهم .

﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ لأنكم بشر مثلنا، لا مزية لكم علينا .

لطيفة^(١) :

روي أن عتبة بن ربيعة قال لقريش: أنا أستخبر لكم محمداً، وكان قد قرأ الكتب، وتعلم الكتابة والكهانة، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة، عقدنا لك اللواء، فكنت

(١) «لطيفة» ساقطة من «ت» .

رئيسنا، وإن تك بك الباءة، زوجناك عشر نسوة، تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك حب المال، جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فوثب عتبة، ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله أن يسكت، فسكت، وانصرف عنه، فأخبرهم أنه سمع ما لا يشبه كهانة ولا شعراً ولا سحراً، قال: ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي (١).

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ تعظّموا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن استولوا عليها، وأخذوها من أهلها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ظلماً ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ نحن ندفعه إذا نزل بنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، فكان أحدهم يقتلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث شاء، قال الله رداً عليهم:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾
ينكرونها، وهم يعرفون أنها حق.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٦٠-٦١). وقد رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/٢٤٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/٢٢٧).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ عاصفة شديدة الصوت، تُحرق بيردها كحرق النار بحرهما ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، والباقون: بكسرها^(١)؛ أي: نكدات مشؤومات، فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين، ودأبت عليهم الريح بلا مطر.

﴿ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾ الذل ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وصف العذاب بالخزي؛ لأنه حيث حل، حل الخزي معه.

﴿ وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ أشد ﴿ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ بينا لهم سبيل الهدى.

﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ ﴾ الكفر.

﴿ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ الإيمان.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٦٦-٦٧).

﴿ فَأَخَذْتَهُمْ صَٰعِقَةً ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾ الذي يُهينهم .

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من اختيار الكفر .

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ قرن تعالى بذكرهم ذكر من آمن

واتقى ، ونجاته ؛ لبيان الفرق .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم ﴿ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ ﴾ يُجمعون ﴿ إِلَى ٱلنَّارِ

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبس أولهم على آخرهم . قرأ نافع ، ويعقوب : (نَحْشَرُ)

بالنون وفتحها وضم الشين (أَعْدَاءُ) بالنصب ، وقرأ الباقون : بالياء وضمها

وفتح الشين ، ورفع (أَعْدَاءُ) على البناء للفاعل^(١) ، وهو الله سبحانه .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ (ما) زائدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور .

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يُنطقها الله تعالى

كإنطاق اللسان ، فتشهد بما صدر منها .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٧٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٣) ،

و«تفسير البغوي» (٤/٦٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٦٩) .

﴿ وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الكفار ﴿ لَجُودِهِمْ ﴾ توبيخاً لهم:

﴿ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ فعنكن كنا نناضل؟

﴿ قَالُوا ﴾ معذرين: ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ له النطق.

﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء

وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١).

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٢].

[٢٢] فأخبر الله تعالى: أن الجلود ترد جوابهم؛ بأن الله الخالق المبدئ المعيد هو الذي أنطقهم ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ ﴾ بالحجب عن ارتكاب الفواحش ﴿ أَنْ ﴾ أي: لأن.

﴿ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ المعنى: لم تستتروا عند ارتكاب الفاحشة خوف شهادة جوارحكم عليكم؛ لأنكم لم توقنوا بالبعث.

﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ ﴾ عند استتاركم.

﴿ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الخفيات.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٠).

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ
الْخَيْرِينَ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ
الْخَيْرِينَ ﴾ .

﴿ فَإِنْ يَصِّرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ
الْمُعْتَبِينَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿ فَإِنْ يَصِّرُوا ﴾ على
العذاب.

﴿ فَالْنَّارُ مَثْوًى ﴾ منزل ﴿ لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا ﴾ يطلبوا العتبي، وهي
الرجوع عن الإساءة، وطلب الرضا ﴿ فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ المجابين.

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَسِرِينَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ﴿ وَقَيَّضْنَا ﴾ بعثنا ﴿ لَهُمْ ﴾ .

ووكلنا ﴿ قُرَنَاءَ ﴾ نظراء من الشياطين .

﴿ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا، وما تقدم من أعمالهم .

﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب، وما هم

عازمون عليه من الأعمال .

﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ بالعذاب ﴿ فِي أُمَّمٍ ﴾ في جملة أمم (١).
﴿ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْحَيْنِ وَالْآنِ إِتْنَهُمْ كَانُوا ﴾ أي: جميع المذكورين
﴿ حَسِيرِينَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ حين قراءته ﷺ: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا
فِيهِ ﴾ عارضوه إذا قرئ بإكثار الصياح بالهذيان والخرافات، وإنشاد
الأشعار، واللغو: هو الساقط من الكلام.
﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ محمداً على قراءته، فيسكت.

﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ وهو النار.
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أقبح جزاء عملهم.

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ﴾ عطف بيان لجزاء قبل. واختلاف

(١) «في جملة أمم» زيادة من (ت).

القراء في الهمزتين من ﴿ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴾ كاختلافهم فيهما من قوله: ﴿ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ ﴾ في سورة النمل [الآية: ٣٢] ﴿ هَلُمَّ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ الإقامة .
 ﴿ جَزَاءُ ﴾ مصدر أو حال ﴿ بِمَا كَانُوا يَأْتِينَا يَجْحَدُونَ ﴾ ينكرون الحق .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهم في النار: ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ يعنون: إبليس، وقاييل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأنهما سنا الكفر والمعصية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، والسوسي عن أبي عمرو: (أَرْنَا) بإسكان الراء، وروي عن الدوري: اختلاس كسرتها، وقرأ الباقون: بكسر^(١) الراء، وكلها لغات بمعنى الرؤية^(٢)، وقرأ ابن كثير: (الَّذِينَ) بتشديد النون والمد وتمكين الياء لالتقاء الساكنين، والباقون: بالتخفيف^(٣).

﴿ نَجَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ في النار ﴿ لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ فيها جزاء إضلالهم إيانا .

(١) في «ت»: «إسكان»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ على قولهم، فلم يختل توحيدهم، ولا اضطرب إيمانهم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ عند الموت بالبشرى ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ أمانة عامة في كل مهم مستأنف، وتسليّة عامة في كل فئات ماض، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه؛ من فوات نافع، أو حصول ضار، والمعنى: أن الله كتب لكم الأمن من كل غم، فلن تذوقوه أبداً.

﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا على لسان الرسل .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ ﴾ يعني: حفظتكم .

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ﴾ من الكرامات (١) .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ تتمنون .

﴿ نَزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿ نَزُلًا ﴾ رزقاً، ونصبه على المصدر ﴿ مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ .

(١) في «ت»: «المكرامات» .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣].

[٣٣] ونزل فيه ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى توحيده .

﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ فيما بينه وبين ربه ، وبينه وبين العباد .

﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ معتقداً ذلك .

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤].

[٣٤] ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ فالحسنة أفضل ، وكرر (لا) في قوله (ولا السيئة) تأكيداً؛ ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا السيئة والحسنة ، فحذفنا اختصاراً ، ودلت (لا) على هذا الحذف .

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحكم ، المعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعل أو بالسيرة التي هي أحسن الفعلات والسير ، فمن ذلك: بذل السلام ، وحسن الأدب ، وكظم الغيظ ، والسماحة في القضاء والاقتضاء ، وغيره .

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ المعنى: إذا فعلت ذلك ، صار العدو كالصديق القريب في محبته .

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ ، ثم

أسلم^(١) فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة، أو نزلت في شأن أبي جهل
وإيذائه رسول الله^(٢) ﷺ، فأمر بالصفح عنه، ونسختها آية القتال^(٣).

﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا ﴾ أي : هذه الخصلة .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على كظم الغيظ .

﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ في الخير والثواب .

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾^(٣٦).

[٣٦] ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ (إمّا) شرط، وجواب الشرط

قوله : ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ والنزغ شبه النخس، وهو الوسوسة، فكان الشيطان^(٤)

ينخس الإنسان، ويحركه، ويبعثه على ما لا يحل، المعنى : إن صرفك

الشيطان بوسوسته عن الخير، فاستعذ ﴿ بِاللَّهِ ﴾ منه، وهو يعصمك .

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتك ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنيتك .

(١) «ثم أسلم» زيادة من «ت» .

(٢) في «ت» : «الرسول» .

(٣) انظر : «تفسير البغوي» (٤/٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١٥/٣٦٢) .

(٤) «فكان الشيطان» زيادة من «ت» .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴾ [٣٧]

[٣٧] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنهما مخلوقان مثلكم .

﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة، وأنت؛
لأنها آيات .

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فإن السجود أخص العبادات، وهذا محل
السجدة عند الإمام مالك رضي الله عنه .

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [٣٨]

[٣٨] ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا ﴾ عن امثال أمرك في ترك السجود لغير الله
سبحانه .

﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة .
﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ يصلون ﴿ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ دائماً .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ لا يملون، وهذا محل السجدة عند أبي حنيفة
والشافعي وأحمد - رضي الله عنهم -، وكل من الأئمة على أصله في
السجود، فأبو حنيفة هو واجب، ومالك هو فضيلة، والشافعي وأحمد هو

سنة، وتقدم ذكر اختلافهم ملخصاً^(١) عند سجدة مريم.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ
إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ دلائل قدرته .

﴿ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ يابسة لا نبات فيها .

﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ انتفخت بالنبات، وتزخرفت .

﴿ وَرَبَّتْ ﴾ زادت . قرأ أبو جعفر: (وَرَبَّتْ) بهمزة مفتوحة بعد الباء،

والباقون: بحذفها^(٢) .

﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا ﴾ بعد موتها .

﴿ لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الإحياء والإماتة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُؤَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ
يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون ﴿ فِي آيَاتِنَا ﴾ بالطعن فيها . قرأ حمزة:

(يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء^(٣) .

(١) «ملخصاً» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٣-٧٤) .

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٤) .

﴿ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فنجازيهم على إلحادهم، ونزل استفهاماً ووعيداً
ووعداً:

﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ أمر تهديد
ووعيد.

﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم به .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴾ .

[٤١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ وجواب (إن)

محذوف؛ أي: خسروا، ثم وصف الذكر فقال:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴾ كريم على الله .

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ ﴾ .

[٤٢] ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أي: ليس فيما تقدمه من

الكتب ما يبطل شيئاً منه، وليس فيما^(١) بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل
ما يبطل شيئاً منه، ولا يتطرق إليه ما يبطله من جهة ما، ولا يجد إليه
سبيلاً.

وهو ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ يحمده كل مخلوق .

(١) في «ت»: «يأتي» .

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ يا محمد؛ من التكذيب ﴿ إِلَّا ﴾ مثل .

﴿ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ ﴾ من التكذيب ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ وهو تسليية له ﷺ عن مقالات قومه ، وما يلقي من المكروه منهم .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لأوليائه ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لأعدائه .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءِئْتِنَا بِالْحَقِّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي : هذا الكتاب الذي يُقرأ على الناس .

﴿ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ يُقرأ بغير لغة العرب .

﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ﴾ هَلَّا بَيَّنَّت ﴿ آيَاتُهُ ﴾ بالعربية .

﴿ أَءِئْتِنَا بِالْحَقِّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ الهمزة للإنكار، المعنى : لأنكروا، وقالوا: قرآن

أعجمي، ورسول عربي؟ والأعجمي - بسكون العين - : من لا يفصح، وإن كان عربياً، وليست نسبة حقيقة، إنما هي توكيد لمعنى الصفة؛ كأحمري في أحمر. قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب باختلاف عنهم: (أَعْجَمِيٌّ) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين، والباقون: يحققون

الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والألف، وهم على أصولهم، فورش
 اختلف عنه في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، وأبو عمرو،
 وأبو جعفر، وقالون: يفتلون بين الهمزتين بألف، واختلف عن هشام في
 تسهيلها وتحقيقها وإدخال الألف بينهما مع تحقيقهما، وروي عن ابن ذكوان
 وحنفص: إدخال الألف بين الهمزتين مع تحقيقهما^(١) ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة.

﴿وَشَفَاءٌ﴾ لما في القلوب من الشكوك.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هو^(٢) ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصامهم عند سماعه، وتعاميهم عما يرون
 من آياته، ولما كانوا لا يعون ما يسمعون من القرآن، قال:

﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم
 واستماعهم له بمن يُنادى من بعد، لم يسمع، ولم يفهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ
 رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ كما اختلف في القرآن،

فصدقه قوم، وكذبه آخرون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦-٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص:
 ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم
 القراءات القرآنية» (٦/٧٥-٧٦).

(٢) «هو» زيادة من «ت».

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأن يفصل يوم القيامة بين
الخلائق، والكلمة: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بتعجيل إهلاك المكذبين.

﴿وَأَيُّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ﴾ من صدقك.

﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضرره.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فلا يضع شيئاً من عقوبات عبده في غير

موضعها، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل عبد بكسبه.

﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ ۖ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ۖ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أَنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ ۖ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ۖ قَالُوا ۗ أَدْنَاكَ مَا مِنَّا
مِنْ شَيْءٍ﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمه غيره تعالى.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحمزة،

والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (ثَمَرَةٌ) بغير ألف على

التوحيد، وقرأ الباقر: بألف بعد الراء على الجمع^(١)؛ لاختلاف الأنواع

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (٧١/٤)، و«النشر في =

﴿مِّنْ أَكْمَامِيهَا﴾ جمع كِمٍّ، وهو وعاء الثمر .
 ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ أي: ما يحدث حدوثًا؛ من خروج ثمرٍ،
 وحملٍ حاملٍ ووضعِهِ، وغير ذلك .
 ﴿إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ فيعلمه تعالى على أي وصف وجد .
 ﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ بزعمكم .
 ﴿قَالُوا أَأُذْنَكُ﴾ أعلمناك ﴿مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد يشهد بأن لك
 شريكاً، لما عاينوا العذاب . قرأ ابن كثير: (شُرَكَائِي) بفتح الياء، والباقون:
 بإسكانها^(١) .

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ [٤٨] .

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ثم ﴿مَّا كَانُوا يُدْعُونَ﴾ يعبدون .

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام .

﴿وَضَنُوا﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ مهرب .

﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [٤٩] .

[٤٩] ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ﴾ لا يمل الكافر .

﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال .

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٧) .
 (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)،
 و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٨) .

﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الفقر والشدة .

﴿ فَيُؤْسُ ﴾ من فضل الله ﴿ قَنُوطٌ ﴾ قاطع الرجاء من رحمته .

﴿ وَلَيْنَ أَدَقُّنَهُ رَحْمَةً مِّمَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَّاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ وَلَيْنَ أَدَقُّنَهُ ﴾ آتيناها ﴿ رَحْمَةً ﴾ سعة وعافية .

﴿ مِّمَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَّاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ أي : بعملتي . قرأ أبو عمرو : (مِنْ
بَعْدِ ضِرَّاءٍ) بإدغام الدال في الضاد^(١) .

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ كزعم محمد .

﴿ وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ فرضاً . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو :
(رَبِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها ، واختلف عن قالون^(٢) .

﴿ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ، يقول ذلك استهزاء .

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ من الأعمال الموجبة لهم النار .

﴿ وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد .

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٤٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٦) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٧٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٤) ،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٧/٢) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧٨/٦) .

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ (٥١).

[٥١] ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴾ عن شكره تعالى .

﴿ وَنَسَا بِجَانِبِهِ ﴾ بعدد، ولم يمل إلى شكر ولا طاعة. قرأ أبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَنَاءً) بألف قبل الهمز مثل وناع؛ من النوء، وهو النهوض والقيام، والباقون: بألف بعد الهمزة، [وأمال الكسائي، وخلف نفسه وعن حمزة فتحة النون والهمزة]^(١)، وأمال السوسي عن أبي عمرو بخلاف عنه، وخلاص عن حمزة فتح الهمزة فقط، وفتح النون، وقرأ الباقون: بفتح النون والهمزة على وزن نعي^(٢).

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٥٢).

[٥٢] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ كَانَ ﴾ القرآن .

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٧٩) .

﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ عناداً، أستم على هلكة من قبل الله .
﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق؛ أي: فلا أحد أضل
منكم؛ لأنكم أهلكتم أنفسكم بتكذيبه .

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥٣] .

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ يعني وقائع الله في الأمم،
وما يفتحه الله^(١) على رسوله ﷺ من الأقطار حول مكة وغير ذلك من
الأرض؛ كخيبر، وقهر العرب والعجم .

﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ يوم بدر، وفتح مكة .
﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ أي: الشرع والقرآن .
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مُطَّلَع لا يغيب عنه شيء .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٥٤] .

[٥٤] ﴿ أَلَّا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ في شك من البعث .
﴿ أَلَّا إِنَّهُ ﴾ تعالى ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ علماً وقدرةً، ومعناه الوعيد
لهم، والله أعلم .

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت» .

سُورَةُ الشُّورَى

مكية، وقال مقاتل: فيها مدني ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿الْصُّدُورِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ إلى ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾، وآيها: ثلاث وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسة مئة وثمانية وثمانون حرفاً، وكلمتها: ثمان مئة وست وستون كلمة، وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، والقول الثاني: أنه من سورة النجم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾.

[٢-١] ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾ تقدم ذكر الإمالة، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول غافر، وأشبع ورش مد (ع) بخلاف عنه؛ كأول سورة مريم، قال ابن عباس: «إن (حَمَّ عَسَقَ) هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي أنزل عليه كتاب الله (١)» (٢) ولذلك قال تعالى:

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٧٣/٤)، و«تفسير الرازي» (١٢٣/٢٧). قال الرازي:

وهذا عندي بعيد.

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ وَفُصِّلَتْ (حَم) مِنْ (عَسَقَ)، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِ(كَهَيْعَصَ) لِتَجْرِي هَذِهِ مَجْرَى الْحَوَامِيمِ أَخَوَاتِهَا، وَلِأَنَّهَا عُدًّا آيَتَيْنِ، وَ(كَهَيْعَصَ) عُدَّتْ آيَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْأَقْوَالُ فِي هَذِهِ كَالْأَقْوَالِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - : أنه قال : «(ح) حلمه (م) مجده (ع) علمه (س) سناؤه (ق) قدرته، أقسم الله بها»^(١).

وروي عن علي - رضي الله عنه - : أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور^(٢).

وروى حذيفة بن اليمان : «أن رجلاً يقال له : عبد الإله، أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً، فتهلك إحدى المدينتين ليلاً، ثم تصبح الأخرى سالمة، فيجتمع فيها جبابرة

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/٧٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/٥٢٥)، وقال : وقيل غير ذلك مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل، وجاءت به حجة ولا شبهة حجة.

(٢) قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائده رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصّل لي فيها عشرون قولاً وأزيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم. انظر : «الإتقان» للسيوطي (٢/٢٦)، وفي مقدمة من نفى هذا العلم عن سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -، هذا ولمّا سئل السبكي عن دلالة ﴿كَهَيْعَصَ﴾ فكان من إجابته رحمه الله - : . . . وأكثر ذلك يكون معصية ممّا يجب إنكاره وبعضه ممّا جربناه فلم نجده صحيحاً ممّا لا فائدة فيه. انظر : «فتاوى السبكي» (٢/٥٦٣).

المدينتين متعجبين من سلامتها، فتهلك من الليلة القابلة، وإن (حَم) معناه: حتم^(١) هذا الأمر، و(عين) معناه: عدلاً من الله، و(سين): سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم^(٢).

﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٣﴾

[٣] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني.

﴿ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَإِلَى ﴾ الرسل ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: كما أوحينا إليك، وأوحينا إليهم. قرأ ابن كثير: (يُوحَى) بفتح الحاء مجهولاً، القائم مقام الفاعل (إليك)، وقرأ الباقر: بكسر الحاء معلوماً، فالفاعل (الله) تعالى، وقرأ أبان عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة^(٣)، فعلى قراءة ابن كثير (كَذَلِكَ) مبتدأ، خبره (يُوحَى)، وعلى قراءة الباقر (اللَّهُ) مبتدأ، خبره (العزیز الحكيم)، وقال (يُوحِي) مضارعاً دون ﴿أَوْحَى﴾؛ للإيدان أن إيجاد مثله عادته، و(العزیز الحكيم) صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به.

(١) في «ت»: «حُم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٧/٢١). قال ابن كثير في «تفسيره» (١٠٧/٤): غريب عجيب.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤٩/٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«تفسير البغوي» (٧٤/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٤-٨٣/٦).

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

[٤] ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ في قدره ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ في سلطانه .

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[٥] ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء مذكراً؛

لتذكير الجمع، والباقون: بالتاء مؤنثاً^(١)؛ لتأنيث (السَّمَوَاتِ)، و(كاد) من
أفعال المقاربة .

﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم:

(يَنْفَطِرْنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة؛ وقرأ الباكون: بالتاء وفتح الطاء
مشددة^(٢)؛ أي: يتشققن ﴿ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: كل^(٣) منها تنفطر فوق التي
تليها، أو من فوق الأرضين السبع، من قول المشركين: ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾
[البقرة: ١١٦] .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقولون: سبحان الله، وقيل: يصلون .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤) .

(٣) في «ت» زيادة: «من» بعد «كل» .

﴿وَيَسْتَعْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾ الذي يطلب هذا منه؛ إذ هذه أوصافه، وهو أهل المغفرة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ﴾.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء.

﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب يحصي أعمالهم؛ ليجازي بها.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بموكل بهم، ولا بلازم لأمرهم حتى يؤمنوا،
والوكيل: المقيم على الأمر، وما في هذا^(١) اللفظ من موادة، فهو منسوخ
بآية السيف.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ
الْجَمْعِ لَأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإيحاء اليبين.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة؛ أي: أصل البلاد،
والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (مَنْ) في الأغلب
لمن يعقل؛ يعني: قرى الأرض كلها.

﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ هو يوم القيامة؛ أي: تخوفهم إياه؛ لما

(١) في «ت»: «هذه».

فيه من عذاب من كفر، ويسمى يوم الجمع؛ لاجتماع أهل الأرض وأهل السماء فيه.

﴿لَارِيبَ فِيهِ﴾ أي: في نفسه وذاته، وارتباب الكفار فيه لا يعتد به، ثم بعد الجمع يتفرقون.

﴿فَرِيقٌ﴾ مرتفع على خبر الابتداء المضمرة؛ أي: هم فريق.

﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ هم المؤمنون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ هم الكافرون.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٨] ثم قرن^(١) تعالى تسليية نبيه بأن عرفه بأن الأمور موقوفة على مشيئته تعالى، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد، وهو الإسلام.

﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيمانه، وهو من سبقت له السعادة عنده.

﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ في دين الإسلام.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون الميسرون لعمل الشقاوة.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينقذهم من عذابه تعالى.

(١) في «ت»: «قَوَى».

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ﴾ وهذا كلام منقطع مما قبله، وليس بمعادلة، ولكن الكلام كأنه (١) أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة، فقال: بل اتخذوا ﴿ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ شركاء وأنداداً، و(الفاء) بعد جواب شرط مقدر، تقديره: بعد نفي جميع الآلهة إن أرادوا ولياً حقاً.

﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ لك يا محمد ولمن اتبعك .

﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ ﴾ يبعثهم من قبورهم .

﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قدرته تعطي هذا وتقتضيه .

﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ثم أمر ﷺ أن يقول للمؤمنين حيث اختلفوا هم و(٢) المشركون بين يديه:

﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ ﴾ أنتم والكفار .

﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من الدين وغيره ﴿ فَحُكْمُهُ ﴾ مردود ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ .

(١) «كأنه» زيادة من «ت» .

(٢) «و»: سقط من «ت» .

﴿ذَلِكُمْ﴾ الموصوف بهذا الوصف .

﴿اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع الأمور .

﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَرْجِع .

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) .

[١١] وهو ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : خالق الآفاق .

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي : من جنسكم . قرأ أبو عمرو ، ورويس عن يعقوب : (جَعَلَ لَكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(١) .

﴿أَزْوَاجًا﴾ حلائل ، وليس الأزواج هاهنا الأنواع ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكراً وأنثى ؛ إكراماً لكم .

﴿يَذُرُّكُمْ﴾ يخلقكم ، والضمير للأناسي والأنعام ، فغلب الأناسي .
﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير ، وهو جعلُ الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ أي : ليس كهو ﴿شَيْءٌ﴾ يزاوجه ويناسبه ، والمراد من (مثله) : ذاته ، والشيء : عبارة عن الموجود ، قال ابن عباس : «ليس له نظير»^(٢) ، فالتوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ، ولا معطلة من

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٤٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٨٦) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٤ / ٧٧) .

الصفات، ليس كذاته ذوات^(١)، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجَلَّتْ الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن تكون للذات المحدثه صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزه عنهما الخالق تعالى، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد بأنه ما عرف الله إلا الله.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لكل ما يُسْمَعُ وَيُبْصَرُ.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسّع ويضيّق؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما تقتضيه حكمته.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

(١) في «ت»: «ذات».

الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ شَرَعَ ﴾ بَيْنَ .

﴿ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ وهو أول أنبياء الشريعة .

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (إِبْرَاهِيمَ) بألف بين الهاء والميم^(١)
﴿ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ثم بين المشروع المشترك فيه هؤلاء، وهو:
﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ وهو توحيد الله وطاعته، وما به يكون الإنسان مسلماً .

﴿ وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ ﴾ في القدر المشترك بينكم من الدين، ولم يرد
الاشترك في جميع الشرائع؛ لأنها متفاوتة؛ لقوله تعالى:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم أخبر تعالى نبيه ﷺ
بصعوبة موقع هذه الدعوة إلى إقامة الدين على المشركين بالله العابدين
للأصنام بقوله:

﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ ﴾ يا محمد .

﴿ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد، ثم سألهم عنهم بقوله:

﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي ﴾ يختار ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي: لدينه^(٢) .

﴿ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ﴾ بالتوفيق .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١/٨٦) .

(٢) «أي: لدينه» زيادة من «ت» .

﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ يُقبل إلى طاعته، وكان نبينا ﷺ قبل البعثة متعبداً في الفروع بشرع من قبله مطلقاً، وقيل: مُعَيَّن، فقيل: آدم، أو نوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، وقيل: بوضع شريعة اختارها، وقيل: بالإلهام، ولم يكن ﷺ على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة وإجماع الأمة.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: من زعمه، فقول سوء.

وامتناع المعصية منه ﷺ قبل البعثة عقلاً مبني على التقيح العقلي، وبعدها معصوم من تعمد ما يُخِلُّ بصدقه فيما دلت المعجزة على صدقه من رسالة وتبليغ بالاتفاق.

﴿وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَمَا نَفَرَقُوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأن التفرق ضلال ﴿بَعِيًّا﴾ لأجل البغي الحاصل.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ المؤدي إلى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب والجزاء.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو يوم القيامة.

﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا، وغلب المحقُّ المبطل.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى المعاصرين

لمحمد ﷺ.

﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد من تقدمهم ﴿ لَفِي شَكِّ مَنْهٖ ﴾ من محمد ﷺ
 ﴿ مُرِيبٍ ﴾ ووصف الشك بمريب مبالغة فيه .

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ
 بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا
 أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ
 الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ فَلِذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ﴿ فَادْعُ ﴾
 أنت إلى ربك، وبلغ ما أرسلت به ﴿ وَاسْتَقِمْ ﴾ على دينهم .
 ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي: دُم على استقامتك؛ لأنه كان مستقيماً، وفي هذا
 المعنى قال النبي ﷺ: «شيبني هوذٌ وأخواتها»، فقيل له: لم ذلك؟ فقال:
 «لأن فيها ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾»^(١)، وهذا خطاب له ﷺ بحسب قوته في
 أمر الله تعالى، وقال هو لأمته بحسب ضعفهم: «استقيموا ولن تحصوا»^(٢) .
 ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ يعني: قريشاً فيما كانوا يهوونه من أن يعظم
 محمد ﷺ آلهتهم، وغير ذلك .
 ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من
 عند الله، وهو أمر يعم سائر أمته .

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: المحافظة على الوضوء، والإمام
 أحمد في «المسند» (٢٧٦/٥)، من حديث ثوبان رضي الله عنه . وصححه
 المنذري في «الترغيب والترهيب» (٩٧/١) .

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدَلَ ﴾ واللام بمعنى أن؛ أي: أمرت بأن أعدل .
 ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ في الحكم، ولا أطلبكم بأكثر مما افترض الله عليكم .
 ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ خالق كل شيء .
 ﴿ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾ وكلُّ مجازي بعمله .
 ﴿ لَا حِجَّةَ ﴾ لا مخاصمة ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ نسخها آية القتال .
 ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ وعيد للكفار .

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾ أي: في توحيدهِ .
 ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ ﴾ أي: من بعد ما أجاب المسلمون بالإيمان .
 ﴿ حُجَّتْهُمْ ﴾ مجادلتهُم ﴿ دَاحِضَةٌ ﴾ باطلة .
 ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في الآخرة .

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ في أحكامهِ .
 ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ العدل، سمي ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف، ولما
 سئل ﷺ عن الساعة، نزل:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ ﴾^(١) أي: البعث ﴿ قَرِيبٌ ﴾ .

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾^(١٨) .

[١٨] ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها ، فقال :

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ﴾ استهزاء ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ بقيامها .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خائفون من شدائدھا .

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ﴾ أي : مجيئها ﴿ الْحَقُّ ﴾ الواقع .

﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ ﴾ يجادلون ﴿ فِي السَّاعَةِ ﴾ وإبطال مجيئها عناداً .

﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق .

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾^(١٩) .

[١٩] ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ بارٌّ بعباده بصنوف من البر ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾

ما يشاء^(٢) ، فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته .

﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ القادر ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُغلب .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧٨/٤) .

(٢) «ما يشاء» زيادة من «ت» .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ عملها؛ أي: من كان يريد بعمله
الآخرة.

﴿ نَزِدْ لَهُ فِي ﴾ جزاء ﴿ حَرْثِهِ ﴾ بتضعيف الحسنة إلى العشر، وتزاد إلى
ما شاء الله .

﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا ﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما قسم له
بلا تضعيف ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ لأنه لم يعمل لها . قرأ أبو عمرو،
وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: (نُؤْتَهُ) بسكون الهاء، واختلف عن
أبي جعفر، وقرأ يعقوب، وقالون عن نافع: بكسر الهاء من غير صلة،
واختلف عن أبي جعفر وهشام، وقرأ الباقر، وهم ابن كثير، وابن عامر،
والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: بصلتها،
واختلف عن هشام^(١).

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ والهمزة للتقرير والتفريع،

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(١/٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٨٧).

وشركاؤهم شياطينهم ﴿ شَرَعُوا ﴾ أي: عملوا شريعة لهم .

﴿ مِّنَ الَّذِينَ ﴾ الفاسد، وهو الشرك .

﴿ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ لأنه سبحانه منزه أن يأذن في عمل الباطل .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﴾ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء .

﴿ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا .

﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة .

﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ وجليين .

﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ من السيئات ﴿ وَهُوَ ﴾ أي: جزاء كسبهم ﴿ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾

أشفقوا، أو لم يشفقوا . قرأ أبو عمرو (وهو وَاقِعٌ) بإدغام الواو في الواو^(١) .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾ أي: أطيب

بقاعها، وهي المواضع المؤنقة، وهي مرتفعة في الأغلب، وهي الممدوحة
عند العرب وغيرهم .

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ ﴾ أي: ما يشتهون ثابت لهم ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَبِيرُ ﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا .

(١) انظر: «الغيث» للصفافسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٨٨) .

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المَعَدُّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ ﴿ الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ ﴾ بِهِ .

﴿ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (يَبَشِّرُ) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة؛ من بَشَرَ، وقرأ الباقر: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة^(١)؛ من بَشَّرَ، وهما لغتان بمعنى البشارة .

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿ أَجْرًا ﴾ نفعاً منكم .
 ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم، قال ابن عباس: «لم يكن بطن من قريش إلا له فيهم قرابة»^(٢) .
 روي أنها لما نزلت، قيل: يا رسول الله! من قرابتك من هؤلاء؟ قال: «عليّ وفاطمة وابناها»^(٣)، وقيل: آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل العباس^(٤) .

-
- (١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٨٨-٨٩) .
 (٢) رواه البخاري (٤٥٤١)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .
 (٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٥٩) عن ابن عباس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٧): فيه جماعة ضعفاء وقد ثقوا كلهم، وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات .
 (٤) انظر: «تفسير البغوي» (٨١/٤) .

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ يَكْسِبُ طَاعَةَ ﴿ تَزِدُّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ بتضعيفها .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ سَاتِرٌ ذُنُوبٍ ^(١) عبيده ﴿ شَكُورٌ ﴾ مجازٌ على الدقيقة من
 الخير ، لا يضيع عنده لعامل عمل .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْخَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ
 الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمْ ﴾ أي : بل ﴿ يَقُولُونَ ﴾ كفار مكة : ﴿ أَفْخَرَى ﴾ محمد .

﴿ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبته القرآن إلى الله ﴿ فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي :
 ينسبك القرآن ، والمراد : الرد على مقالة الكفار ، وبيان إبطالها ، وذلك كأنه
 يقول : وكيف يصح أن تكون مفترياً ، وأنت من الله بمرأى ومسمع ، ولو
 شاء الله أن يختم على قلبك ، فلا تعقل ولا تنطق ، ولا يستمر افتراؤك؟!
 فمقصد اللفظ هذا المعنى ، وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً ،
 وهذا التأويل تهديد لهم ، وقيل : المعنى : يختم على قلبك بالصبر ، فلا
 تتأذى منهم ، وهذا التأويل تسلية له ﷺ .
 قال ابن عطية ^(٢) : هذا التأويل لا يتضمن الرد على مقالتهم .

﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ وهو الكفر ، فعل مستقبل خبر من الله تعالى أنه يمحو
 الباطل ولا بد ، إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، وكتبت (يَمْحُ) في المصحف
 بحاء مرسلة ، كما كتبوا ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ ﴾ [الإسراء : ١١] إلى غير ذلك مما ذهبوا

(١) في «ت» : «عيوب» .

(٢) في «المحرر الوجيز» (٣٥ / ٥) .

فيه إلى الحذف والاختصار نظراً إلى اللفظ وحملاً للوقف على الوصل .

﴿ وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ ﴾ يُثَبِّتُ الْإِسْلَامَ .

﴿ بِكَلِمَاتٍ ﴾ بوحيه وقضائه، وقد فعل الله تعالى ذلك، فمحا باطلهم،

وأعلى كلمة الإسلام .

﴿ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الصُّدُورِ ﴾ بما تضرمه القلوب، فيجازي كلاً بعمله .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا

تَفَعَّلُونَ ﴾ .

[٢٥] قال ابن عباس : لما نزل ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾

ووقع في قلوب قوم منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل، فأخبره أنهم اتهموه، وأنزل هذه الآية، فقال القوم:

يا رسول الله! فإننا^(١) نشهد أنك صادق، فنزل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ^(٢)

أَي: من ﴿ عِبَادِهِ ﴾ يريد: أوليائه وأهل طاعته، والتوبة: الرجوع عن الذنب

ندماً، والعزم ألا يعود إليه أبداً ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ إذا تيب منها،

فيمحوها ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفَعَّلُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص

عن عاصم: (تَفَعَّلُونَ) بالخطاب؛ لأنه خطاب للمشركين، وقرأ الباقون:

بالغيب^(٣)؛ لأنه بين خبرين عن قوم .

(١) «فإننا» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٨٢/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٦/١٦) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)،

و«تفسير البغوي» (٨٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٦) .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦).

[٢٦] فقال قلبه: ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ ، وبعده: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: يجيب تعالى دعاء المؤمنين الصالحين إذا دعوه.
﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ زيادة على ثواب عملهم؛ تفضلاً منه.
﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيهاها، فأنزل الله الآية^(١). والبغي: الطغيان والعتو في الأرض
﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ من الأرزاق.
﴿يُقَدِّرُ مَّا يَشَاءُ﴾ مصلحة لعباده.

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعلم ما ظهر من أمرهم وما بطن. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون وهم ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنَزِّلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي^(٢)، واختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافهم

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٢٢٨)، و«تفسير الرازي» (٢٧/١٤٧).
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

فيهما من (مَنْ نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

في الحديث: عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله سبحانه: «وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه [إلا الفقر، ولو أغنيته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه]^(١) إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير»^(٢).

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ المطر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بالتشديد كما تقدم، والباقون: بالتخفيف.
﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أيسوا منه، روي أن الله حبس المطر على أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكّرهم تعالى نعمته.

= (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٠).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/٢٨٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. وانظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/٤٥).

﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وهي الشمس، فذلك تعديد نعمة غير الأولى^(١)، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنط، حسن موقعه، فإذا دام، سئم، فتجيء الشمس بعده عظيمة المواقع.

﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ لأهل طاعته ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على كل حال.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٢٩).

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ﴾ أي: فرَّق.

﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ﴾ أي: وقت يشاء.

﴿قَدِيرٌ﴾ متمكن منه، والمراد: يوم القيامة عند الحشر من القبور.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣٠).

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة.

﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فيسبب معاصيكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن

عامر: (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء قبل الباء، وكذلك هي في مصاحف المدينة

والشام، وقرأ الباقون: بالفاء، وكذلك هي في مصاحفهم^(٢)، فالقراءة

(١) «غير الأولى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٥)، و«النشر في =

بالفاء جواب ما قبل؛ لأنها شرطية محلها رفع ابتداء، ومن حذف الفاء،
جعل ما في أول الآية مبتدأ، و﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ خبرها.

قال ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا،
﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، والله أكرم من أن يُثَنِّي عليكم العقوبة في الآخرة^(١)
﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها. قال ﷺ: «والذي
نفسى بيده! ما من حَدْسٍ، ولا عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا
بذنّب، وما يعفو الله عنه أكثر»^(٢).

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ﴾^(٣).

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ هرباً حيثما كنتم.
﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنكم المصائب.

= القراءات العشر لابن الجزري (٣٦٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٩١/٦).

(١) رواه أحمد في «المسند» (٨٥/١)، وأبو يعلى الموصلي في «المسند»
(٤٥٣). قال الهيثمي في «المجمع» (١٠٤/٧): فيه أزهر بن راشد، وهو
ضعيف.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢/٣)، وابن جرير الطبري في «تفسيره»
(٥٥٨/٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٧٨/١٠).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ ﴾ السفن. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وصلماً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلماً ووقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين، وأمال فتحة الواو حيث وقع: الدوري عن الكسائي^(١).

﴿ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾ أي: كالجبال، وكل مرتفع علم.

﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿ إِنْ يَشَأْ ﴾ شرط ﴿ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ جوابه، وتعطف عليه ﴿ فَيَظْلَلْنَ ﴾ أي: السفن ﴿ رَوَاكِدَ ﴾ سواكن ﴿ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ أي: ظهر البحر.

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: لكل مؤمن؛ لأن من صفتة الصبر في الشدة، والشكر في الرخاء. قرأ نافع، وأبو جعفر:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٨)، وقرأها الكسائي (الجوري) بالإمالة في «الكشف» لمكي (١/١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩١-٩٢).

(الرِّيَاحَ) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع، والباقون: بإسكان الياء وحذف الألف على الأفراد^(١).

﴿أَوْيُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣٤).

[٣٤] وتعطف على الجواب ﴿أَوْيُوبِقَهُنَّ﴾ يهلكهن بالغرق.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب، وتعطف على (يوبقهن).

﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجْدِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجْدِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ تكذيباً. قرأ نافع، وأبو جعفر،

وابن عامر: (وَيَعْلَمُ) برفع الميم [على الاستئناف، وقرأ الباقون: بنصبها عطفاً على تعليل محذوف^(٢)، تقديره: لينتقم منهم]^(٣)، وليعلم.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ مهرب.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ شرط، جوابه :

﴿ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تمتعوا به يسيراً، ثم يزول.

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ من حطام الدنيا.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين

أنفق جميع ماله، وتصدق به، فلامه الناس^(١).

﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] وعطف على قوله: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ

الْإِثْمِ ﴾ هي الشرك، وقتل النفس، وقذف المحصن، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وتقدم الكلام على ذلك في سورة النساء. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: بفتح الباء والألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع^(٢) ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ هي موجبات الحدود.

﴿ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ يكظمون الغيظ، ويتجاوزون.

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٥/١٦).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته .

﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ الخمس .

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ أي : يتشاورون فيه ، لا ينفرد واحد منهم برأي دون

صاحبه .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبل الخير ، فهؤلاء صنف .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ صنف ؛ أي : ينتقمون من

ظالمهم^(١) من غير أن يعتدوا .

﴿ وَحِزْوًا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ ﴾ [٤٠].

[٤٠] ﴿ وَحِزْوًا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ سمي الجزاء سيئة ؛ لتشابههما في

الصورة .

﴿ فَمَنْ عَفَا ﴾ عن ظالمه ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ الودَّ بينه وبين خصمه بالعفو .

﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ عِدَّةٌ مبهمة تدل على عظم الموعود .

(١) «من ظالمهم» ساقطة من «ت» .

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين يتدثون بالسيئة، أو يتجاوزون في الانتقام.

﴿ وَلَمَنَ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿ وَلَمَنَ أَنْصَرَ ﴾ اقتصر ﴿ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه.

﴿ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ طعن ولا عيب.

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ تكبراً.

﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ يعملون فيها بالمعاصي.

﴿ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على ظلمهم وبغيهم.

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَظْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٤٣).

[٤٣] ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ فلم ينتصر.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ منه.

﴿ لَمِن عَظْمِ ﴾ أي: محكم ﴿ الْأُمُورِ ﴾ ومتينها.

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَجِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ ﴾ أي : يخذله .

﴿ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَجِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يلي هدايته .

﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ يوم القيامة .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ مِنْ سَبِيلِ ﴾ ؟

﴿ وَتَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَتَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار ﴿ خَشِيعَاتٍ ﴾ خاضعين .

﴿ مِنْ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ضعيف ، يسارقون النظر إلى النار ؛ خوفاً منها ؛ كنظر المقتول إلى السيف .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا ﴾ أي : يخسرون .

﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي : الحور المعدة

لهم في الجنة^(١) ، لو آمنوا .

﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ دائم ، وهذا تمام كلام المؤمنين ،

ويحتمل أنه تصديق من الله لهم .

(١) «في الجنة» ساقطة من «ت» .

﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لِئَلَّا يَهْتَدِيَ النَّاسُ بِأَسْبَابِهِ ﴾ [٤٦] .

[٤٦] ﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من دون عذابه .

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لِئَلَّا يَهْتَدِيَ النَّاسُ بِأَسْبَابِهِ ﴾ طريق إلى الهداية .

﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ مَّجَاجٍ يُومِئِدُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ ﴾ [٤٧] .

[٤٧] ﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ أجبوا داعي الله ؛ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ، وهو يوم

القيامة . قرأ حمزة : (لا مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع .

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَّجَاجٍ يُومِئِدُ ﴾ من عذابه ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ ﴾ أي : لا تقدر

أن تنكروا شيئاً مما اقترتموه ، تلخيصه : أنتم عجزة معترفون ثم بذنوبكم .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِّمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [٤٨] .

[٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ عن إنذارك يا محمد .

﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ ﴾

ونسخ هذا بآية السيف ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ أراد الجنس ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾

نعمة .

﴿ فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ بلاء .

﴿ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ ﴾ الكافر ﴿ كَفُورٌ ﴾ يفرح بالنعمة ،

ويكفر بسبب النعمة .

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [٤٩] .

[٤٩] ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له التصرف فيهما بما يريد .

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ من غير لزوم .

﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ لا اعتراض عليه .

قال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ يُؤْمِنُ الْمَرْأَةَ تَبْكِيرَهَا بِالْإِنثَى قَبْلَ الذَّكْرِ»، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾^(١) ألا ترى أنه بدأ بالإناث قبل الذكور، وقدّم (إناثاً)، ونكرهن، وعرف الذكور؛ لأنه في معرض أنه فعال لما يختار، لا لما يختاره العباد .

قال الكواشي: ويجوز أنهن قدّمن توييخاً لمن كان يئدهن، ونُكِرْنَ إيماء إلى ضعفهن؛ ليرحمهن، فيُحَسِّنَ إليهن، ثم قدم الذكور عليهن بعد، مع

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٥/٤٧)، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه . وإسناده ضعيف جداً، وصرح ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧٦/٢) أنه موضوع . وانظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١٦٢/٣) .

جمعهن معهم منكرين؛ إيداناً أن لا غناء لأحدهما عن الآخر، ولأنهما أصل الخلق، انتهى.

واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَاثًا) كاختلافهم فيهما من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كما تقدم التنبيه عليه.

﴿ أَوْ يُرْجِعْهُمْ ذُرَّانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلْ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَوْ يُرْجِعْهُمْ ذُرَّانًا وَإِنثًا ﴾ يجمع له بينهما، فيولد له الذكور والإناث.

﴿ وَيَجْعَلْ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ فلا تلد، ولا يولد له، والعقم في اللغة: المنع.

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ يفعل ما يختار بحكمته.

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يشاء إنَّه على حكيم ﴾.

[٥١] ولما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه كموسى إن كنت نبياً؟ نزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾^(١) أي: ما صح لأحد.

﴿ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أي: إلهاً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٨٩-٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٥٣).

﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ فيسمع صوتاً، ولا يرى شخصاً ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾ تعالى
﴿رَسُولًا﴾ إما جبريل، أو غيره ﴿فِيُوحِي﴾ تعالى إلى ذلك الرسول
﴿بِإِذْنِهِ﴾ باختياره تعالى.

﴿مَا يَشَاءُ﴾ من الوحي، فيكلم ذلك الرسول بالموحي إليه الرسل؛ بأن
يلقيه عليهم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. قرأ نافع (أَوْ
يُرْسِلُ) برفع اللام على الاستئناف (فِيُوحِي) بإسكان الياء عطف على
(يُرْسِلُ)؛ أي: ما جاز أن يفهم ما عنده تعالى أحد من البشر إلا من هذه
الأوجه الثلاثة، أو بعضها، مع عدم الرؤية. وقرأ الباقون: بنصب اللام
والياء عطفاً على محل (وَحِيًّا)^(١)؛ لأنه بتأويل المصدر ف (مِنْ) في (مِنْ
وَرَاءٍ) متعلقة بمحذوف تقديره: إلا أن يوحى، أو أن يُسمع من وراء
حجاب، أو أن يرسل، و(فيوحي) عطف على (يُرْسِلُ)، وتقدم التنبيه على
اختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) في الحرف المتقدم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل إيحائنا إلى الرسل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)،
و«تفسير البغوي» (٤/٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩٦).

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ أي: نبوة؛ لأن الموحى إليه للدين كالروح للجسد.

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا أَلْكَتَبُ﴾ أي: القرآن.

﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يعني: شرائعه ومعالمه، والأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان محمد ﷺ يعبد على دين إبراهيم - عليه السلام -، وقيل: غيره.

في الحديث: أنه ﷺ كان يوحد، ويُبغض اللات والعزى، ويحج ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم، وتقدم ذكر الخلاف في ذلك، وما كان يتعبد به قبل البعثة عند تفسير قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الآية: ١٣].

﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ﴾ أي: نُرشد.

﴿مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بالتوفيق للقبول.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ لندعو ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.

[٥٣] وتبدل من (مُسْتَقِيمٍ) ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ أي: شرع الله ورحمته وجنته.

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أمور جميع الخلائق في الآخرة، وهي صائفة على الدوام إلى الله تعالى، وفيه وعد ووعد للمطيعين والمجرمين، والله أعلم.

* * *





مكية إلا ﴿ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ، نزلت ببيت المقدس ليلة أسري به ﷺ (١) ، وآيها: تسع وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وأربع مئة حرف، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثلاثون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمِّ ﴿١﴾ ﴾ .

[١] ﴿ حَمِّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف .

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ثم تبتدىء مقسماً ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴾ يعني: القرآن الذي أبان الهدى، وما تحتاج إليه الأمة .

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦١٢/٢١)، و«تفسير البغوي» (١٠١/٤)، و«تفسير القرطبي» (٩٥/١٦).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ ﴾ أي: أنزلناه وبيناه، ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضمير في (جَعَلْنَاهُ) عائد على (الكِتَابِ).

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسانكم؛ لئلا يبقى لكم عذر.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ترَجُّ بحسب معتقد البشر؛ أي: إذا أبصر المبصر من البشر هذا الفعل منا، يرجى منه أن يعقل الكلام، ويفهم؛ لأنه لو نزل بغير لغتهم، ما فهموه.

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ في اللوح المحفوظ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمٌّ) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتداءً، ضمَّها، وبه قرأ الباقر في الحاليين^(١).

﴿ لَدَيْنَا ﴾ عندنا ﴿ لَعَلِيَّ ﴾ رفيع الشأن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة.

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا

مُسرِّفِينَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ثم استفهم منكرأ فقال: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أفترك

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠١).

عنكم الوحي وإنزال القرآن عفواً عنكم، وغفراً لإجرامكم ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾
قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر
الهمزة؛ أي: إذ كنتم، والباقون: بفتحها^(١)؛ أي: لأن كنتم.
﴿قَوْمًا سْرِيفِينَ﴾ في كفركم، فلا تؤمرون ولا تنهون.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ تسليّةً لنبية ﷺ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٧] وذكر أسوة له، ووعيد لهم وتهديد: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ نصب على التمييز.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلف في القرآن في غير موضع ذكر

قصتهم التي يُسار بها لشهرتها مسير الأمثال، وهم قوم نوح وعاد وثمود
وغيرهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«تفسير البغوي» (٩٢/٤)، و«النشر
في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٠١/٦).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴾ .

[٩] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني : قومك .

﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ وهم مع ذلك
يعبدون أصناماً، ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا:
خلقهن الله، فلما ذكر تعالى المعنى، جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزير
العليم؛ ليكون ذلك توطئة لما عدده بعد من أوصافه التي ابتداء الإخبار بها،
وقطعها من الكلام الذي حكي معناه عن قريش .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴾ .

[١٠] وهو قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتستقرون
فيها . قرأ الكوفيون : (مهداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف،
والباقون : بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها^(١) ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا ﴾
طرقاً تسلكونها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص :
٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٢) .

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ ﴾ بمقدار الحاجة، ولم يكن طوفاناً كالمرسل على قوم نوح حتى أهلكهم .

﴿ فَأَنْشَرْنَا ﴾ فأحيينا ﴿ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ مال عنه النماء، وذُكِّر؛ لأن البلدة بمعنى البلد. قرأ أبو جعفر: (مَيْتًا) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها^(١).

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل إحياء هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ من قبوركم أحياءً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء^(٢).

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ ﴾ الأصناف .

﴿ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ في البحر والبر .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٢/٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٢-١٠٣/٦).

﴿ لِنَسْتَوْأُ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ لِنَسْتَوْأُ عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ ذُكِّرَ الضمير رداً إلى لفظ (ما)؛ أي: لتثبتوا

على ظهور ما تركبونه .

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ عليكم ﴿ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ على مركوبكم .

﴿ وَتَقُولُوا ﴾: ما نقل عن النبي ﷺ حين وضع رجله في الركاب، وهو: «باسم الله»، فلما استوى على الدابة قال: «الحمد لله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾»^(١)؛ أي: ذلله . قرأ أبو عمرو: (سَخَّرَ لَنَا) بإدغام الراء في اللام^(٢) ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ مُطِيقِينَ، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله، ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣)، ويقال إذا ركب السفينة: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جَبْرِيهَا وَمُرْسَهَآ إِنِّي لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ لمنصرفون في المعاد .

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٠٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي (٣٤٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب الناقة وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٩٧/١) من حديث عليٍّ - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٦).

(٣) انظر: تخريج الحديث السابق .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ ﴾ أي: حكموا أن الله تعالى ﴿ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ أي: نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء الوالد. قرأ أبو جعفر: (جُزًّا) بتشديد الزاي بغير همز، وقرأ أبو بكر: بضم الزاي والهمز، والباقون: بالجزم والهمز^(١).

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ ظاهر الكفران .

﴿ أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ثم جيء (بأم) المنقطعة تجهيلاً لهم، فقيل: ﴿ أَمْ أُتَّخَذَ ﴾ تعالى لنفسه.

﴿ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ ﴾ أَخْلَصَكُمْ .

﴿ بِالْبَنِينَ ﴾ هذا مستحيل في صفاته .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴾ بالجنس الذي جعل له مثلاً؛ إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٣/٦).

﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ أي: صار وجهه أسود.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ والكظيم: الممتلىء غيظاً، الذي قد ردَّ غيظه إلى جوفه،

فهو يتجرَّعه ويروم رده، وهذا محسوس عند الغيظ.

﴿أَوْ مَنْ يُنَشِّؤُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [١٨].

[١٨] ثم زاد توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَوْ مَنْ يُنَشِّؤُا﴾ قرأ حمزة،

والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يُنَشِّؤُا) بضم الياء وفتح النون

وتشديد الشين؛ أي: يُرَبِّي، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان النون

وتخفيف الشين^(١)؛ أي: يَنْبُتُ ﴿فِي الْحَلِيَّةِ﴾ في الزينة؛ يعني: النساء

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ بالحجة؛ من ضعفهن، والمعنى: أو يجعل

للرحمن من الولد^(٢) مَنْ هذه صفته؟

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ

سَتَكُنُّنَّ شَهِدَاتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر،

وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (عِنْدَ) بالنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف

على أنه ظرف، وتصديقه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقرأ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)،

و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٤).

(٢) «من الولد» زيادة من «ت».

الباقون: بالباء وألف بعدها ورفع الدال^(١)، جمع عبد؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَشْهَدُوا) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة على أصلهما، مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وقالون على أصلهما؛ أي: أَحْضَرُوا، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين^(٢)؛ أي: أَحْضَرُوا خَلَقَ الملائكة إناثاً؟ وهذا استهزاء بهم، وتوبيخ لهم.

روي أنه ﷺ قال: «وما يُدريكُم أن الملائكة إناثٌ؟» قالوا: سمعنا من آبائنا، ونشهد بصدقهم، فنزل:

﴿سَتَكُنُّنَّ شَهَدَاتُهُمْ﴾^(٣) على آبائهم بأنوثة الملائكة هنا.

﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيجازون عليها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ يعنون: الملائكة وغيرهم؛ أي:

لولم يرض، لعجل عقوبتنا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٩٤-٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٥-١٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٩٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٧٣).

قال الله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ ﴾ المقول ﴿ مِنْ عِلْمٍ ﴾ لأنهم لو قالوا: لو شاء الرحمن، معتقدين ذلك، لوصفوا بالعلم، ولمدحوا على ذلك، وأيضاً فحال الكافر يقتضي الاستهزاء بالمؤمن في كل وقته، ويدل على استهزائهم أيضاً أن قيل: ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون.

﴿ أَمْ أَلَيْنَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ (٢١).

[٢١] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿ أَمْ أَلَيْنَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿ فَهُمْ بِهِ ﴾ بالكتاب^(١) ﴿ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾.

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢٢).

[٢٢] فلم يجيبوا انقطاعاً، ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ طريقة وملة.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آباءهم مهتدين، فلا حجة لهم على ذلك غير تقليد آباءهم الجهلة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أغنياؤها

ورؤساؤها:

(١) «بالكتاب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَاعِلٍ وَآئِمَّةٍ وَإِنَّا عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ متبعون .

﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿ قُلْ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص: (قَالَ) على الخبر، وقرأ الباقون: (قُلْ) على الأمر^(١) ﴿ أُولُو حِجَّتِكُمْ ﴾ ألف الاستفهام دخلت على واو العطف. قرأ أبو جعفر: (حِجَّتِكُمْ) بنون وألف على الجمع، ويبدل الهمزة ياء ساكنة، ويصل الميم بواو في اللفظ حالة الوصل على أصله، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة على التوحيد، وأبو عمرو يبدل الهمزة كأبي جعفر، وابن كثير وقالون يصلان الميم بخلاف عن الثاني^(٢) .

﴿ بِأَهْدَى ﴾ بدين أصوب .

﴿ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ ﴾ أتبعون آباءكم، فأبوا أن يقبلوا .

﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ أيها الرسل .

﴿ كَافِرُونَ ﴾ أي: ثابتون على الكفر .

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٨) .
- (٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٨) .

﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بإهلاكهم .

﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ وعيد لقريش، وضربٌ مثل لمن

سلف من الأمم المعذبة المكذبة بأبيائها كما كذبت هي برسول الله ﷺ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي : واذكر وقت قوله ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾ :

﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ ﴾ أي : متبريء ولا يُثني (البراء) ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأنه

مصدر وُضع موضع النعت ﴿ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ من ألهمتكم .

﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ استثناء منقطع؛ أي : لكن الذي فطرنى لا أبرأ

منه .

﴿ فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴾ يرشدني، قال هنا : (سَيِّدِي)، وقال في الشعراء

[الآية : ٧٨] : (يَهْدِينِ)؛ للإيدان بدوام الهداية حالاً واستقبالاً . قرأ

يعقوب : (سَيِّدِينِي) بإثبات الياء، والباقون : بحذفها^(١) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/١٠٩) .

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢٨]

[٢٨] ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ إبراهيم ﴿ كَلِمَةً ﴾ يعني : كلمة التوحيد .

﴿ بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾ ذريته ، فلا يزال فيهم من يوحد الله .

﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي : كفار مكة ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإيمان إذا علموا أن أباهم إبراهيم أوصى بذلك ، وهي قوله - عز وجل - : ﴿ وَوَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [٢٩]

[٢٩] ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ ﴾ المشركين بدنياهم ﴿ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين الأحكام ويوضحها ، وهو محمد ﷺ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [٣٠]

[٣٠] ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ القرآن ؛ لينبئهم عن غفلتهم ، جاؤوا بما هو أقبح من غفلتهم ؛ حيث ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ضموا إلى شركهم : معاندة الحق ، واستخفاف القرآن ، واستحقار الرسول ﷺ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٣١]

[٣١] ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ هالاً ﴿ نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾ مكة

والطائفِ ﴿عَظِيمٌ﴾ في رئاسته بالمال والجاه، يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، وقيل غيرهما.

﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

[٣٢] ثم قال تعالى: على جهة التوبيخ لهم: ﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: نبوته، فيجعلون من شاؤوا أنبياء مع عجزهم؟ و(رَحْمَت) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(١). ثم قال تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأننا قادرون على ذلك.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالفقر والغنى، والحرية والرق ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ بضم السين باتفاق القراء؛ من التسخير؛ أي: ليسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب معاش، فيلتئم قوام أمر العالم.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال.

(١) وقد سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾^(٣٣) .

[٣٣] ثم أوماً تعالى إلى أن لا قدر للدنيا عنده بقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: لولا أن يصيروا كلهم كفاراً، فيجتمعون على
الكفر.

﴿ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ ﴾ وتبدل من (لِمَنْ) ﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ ﴾
قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (سُقْفًا) بفتح السين وإسكان القاف
مفرداً، وقرأ الباقون: بضم السين والقاف جمعاً^(١).

﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ مصاعِد، جمع مَعْرَجٍ ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون إلى السطح.

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴾^(٣٤) .

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا ﴾ من فِضَّةٍ ﴿ عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر:
(يَتَكُونُونَ) بضم الكاف وإسكان الواو من غير همز، والباقون: بكسر الكاف
والهمز^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٧٩/٤)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١١١/٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٧/٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١١٢/٦).

﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ ذهباً؛ أي: لولا الخوف على المؤمن، لأعطينا
الكافر هنا عطاءً جزيلاً؛ إذ لاحظ له في الآخرة في النعيم .

﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَمَّا ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، وابن جماز
عن أبي جعفر، وهشام بخلاف عنه: (لَمَّا) بتشديد الميم، فتكون (إِنْ) نافية
بمعنى (ما)، و (لَمَّا) بمعنى (إِلَّا)، تقديره: وما كُلُّ ذلك إِلَّا، وقرأ الباقون:
بتخفيف الميم^(١)، فتكون (إِنْ) مخففة من الثقيلة، و (لَمَّا) بمعنى الذي،
والعائد عليها من صلتها محذوف، والتقدير: وإن كُلُّ ذلك لَلَّذِي هو .

﴿ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ تلخيصه: حطام الدنيا يزول، وقد يشترك فيه
المؤمن والكافر في الدنيا .

﴿ وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: الجنة خاصة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الكفر .

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو كانت الدنيا تزُنُ عندَ الله جناحَ بعوضة، لما سقى منها
كافراً شربة ماء»^(٢) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)،
و«تفسير البغوي» (٩٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٢-١١٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز
وجل وقال: صحيح غريب، وابن ماجه (٤١١٠)، كتاب: الزهد، باب: مثل
الدنيا . من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - .

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَمَنْ يَعِشْ ﴾ يُعرض ﴿ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ فلم يخف عقابه ، والمراد بذكر الرحمن : القرآن^(١) .

[قال رسول الله ﷺ : «عليكم بلا إله إلا الله ، والاستغفار ، وأكثروا منهما؟ فإن إبليس قال : أهلكتُ الناسَ بالذنوب ، وأهلكوني بالاستغفار ، ولا إله إلا الله ، فلما رأيت ذلك ، أهلكتهم بالأهواء ، وهم يحسبون أنهم مهتدون»] (٢) (٣) .

﴿ نُقِضْ ﴾ نسب ﴿ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ نسلطه عليه . قرأ يعقوب : (يُقَيِّضُ) بالياء ؛ أي : الرحمن ، وقرأ الباقون : بالنون ، واختلف عن أبي بكر راوي عاصم^(٤) .

﴿ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ لا يفارقه يغويه دائماً .

- (١) «القرآن» زيادة من «ت» .
- (٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت» .
- (٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩/١) ، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٦) ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٧/١٠) : فيه عثمان بن مطر . وهو ضعيف .
- (٤) انظر : «تفسير البغوي» (٩٩/٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٦٩/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٤/٦) .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [٣٧].

[٣٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ يعني: الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾ يمنعون العاشين .

﴿ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ عن طريق الهدى ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾ كفارُ الإنس ﴿ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ
الْقَرِينُ ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر،
وأبو بكر عن عاصم: (جاءنا) بألف بعد الهمزة على التثنية؛ أي: العاشي
والشيطان، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد^(١)؛ أي: إذا جاء العاشي
القيامة، ورأى أهوالها ﴿ قَالَ ﴾ لشيطانه تندماً:

﴿ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ ﴾ أي: بُعد ما بين المشرق
والمغرب، فغلّب المشرق كتغليب القمر في القمرين للشمس والقمر.
﴿ الْقَرِينُ ﴾ الشيطان.

﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [٣٩].

[٣٩] فعند دخول العاشين النار يقال لهم: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ ﴾ في

الآخرة .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٩٩)، و«النشر
في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦/١١٤-١١٥).

﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَتَكْفُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي : لا ينفعكم الاشتراك في العذاب، ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً منه؛ لأن لكل واحد منهم^(١) من الكفار والشياطين الحظَّ الأوفر من العذاب .

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[٤٠] ولما كان ﷺ يباليغ في طلب إيمان الكفار، نزل إيماءً إلى أن لا نافع إلا هو تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ والمراد: من حقت عليه كلمة العذاب .

﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾

[٤١] ﴿فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد؛ بأن نُميتك قبل تعذيب الكفار، هنا قرأ رويس عن يعقوب: (نَذْهَبَنَّ) (أَوْ نُرِينَنَّ) بإسكان النون مخففة فيهما، والباقون: بفتحها مشددة فيهما^(٢) .

﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعدك بالقتل وفي الآخرة بالعذاب .

(١) «منهم» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٥-١١٦) .

﴿ أَوْ نُزِينَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ أَوْ نُزِينَكَ ﴾ في حياتك ﴿ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ به من العذاب إن لم

يؤمنوا .

﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾ وعلى إهلاكهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ قادرون .

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ وهو القرآن، واعمل به، أمر له ﷺ،

والمراد غيره .

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عوج له .

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَذِكْرٌ ﴾ لشرف ﴿ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قریش .

﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ عن القيام بحق القرآن .

﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً

يُعْبَدُونَ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ أي: الأنبياء الذين لقيتهم ليلة

الإسراء، وهم سبعون جمعوا له بيت المقدس :

﴿ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ومعنى السؤال: التقرير لمشركي

مكة أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ، فلم يشكك ﷺ ، ولم يسألهم ، وكان أثبت يقيناً من ذلك ، وتقدم ذكر ذلك في سورة الإسراء في قصة المعراج . **قرأ** ابن كثير ، والكسائي ، وخلف : (وَسَلَّ) بالنقل ، والباقون : بالهمز ، **وقرأ** أبو عمرو : (رُسِلْنَا) بإسكان السين ، والباقون : بضمها^(١) .

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ .

[٤٦] ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ وهذه آية ضرب مثل وأسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام ، ولكفار قريش بقوم فرعون وملئه ، والآيات التي أرسل بها موسى هي التسع وغيرها .

﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾** ﴾ .

[٤٧] ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾** ﴾ استهزاء .

﴿ **وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾** ﴾ .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدديايطي (ص : ٣٨٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٦/٦) .

[٤٨] ﴿وَمَا نُزِيهِمْ﴾ أي: القبط ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ كالطوفان والجراد والضفادع.

﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي قبلها؛ ليكون العذاب أعظم. قرأ يعقوب: (نُزِيهِمْ) بضم الهاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: (نُزِيهِمُو) بصلة الميم بواو في اللفظ^(١) حالة الوصل، والباقون: بكسر الهاء وإسكان الميم^(٢).

﴿وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بالسنين، والطوفان، وغيرهما.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

﴿وَقَالُوا يَتَّيِّهَ الْسَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾^(٤٩).

[٤٩] وعند مجيء موسى - عليه السلام - بالآيات، ذلوا ﴿وَقَالُوا﴾ تعظيماً له:

﴿يَتَّيِّهَ الْسَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل. قرأ ابن عامر: (يَا أَيُّه) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بفتحها، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: يقفون (يَا أَيُّهَا) بالالف، والباقون: بغير ألف^(٣) ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾ أي:

(١) «في اللفظ» زيادة من «ت».

(٢) انظرها عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١-١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٧-١١٨).

بعهده ﴿عِنْدَكَ﴾ أنك مجاب الدعوة .

﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ مؤمنون ، وعدُّ منهم معلن بشرط الدعاء .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴾ بدعاء موسى .

﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ينقضون عهدهم ، ويُبصِرُونَ على كفرهم .

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بَصِيرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ﴾ افتخاراً .

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل ﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ وهي الخلجان الكبار الخارجة من النيل ، وأعظمها نهر الإسكندرية ، وتنبس ، ودمياط ، ونهر طولون ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ أي : من تحت قصوري وسريري ، وبين يدي^(١) ، وفي بساتيني .

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي - رحمه الله - يوماً في قول فرعون :

﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ : ويحه ! افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه . قرأ

الكوفيون ، وابن عامر ، ويعقوب ، وقنبل عن ابن كثير : (تَحْتِي) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها^(٢) .

(١) «وبين يدي» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٧) ، =

﴿ أَفَلَا تَبْصُرُونَ عَظْمَتِي؟ ﴾

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ أَمْ ﴾ أي : بل ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير .

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ معنى كلامه إشارة إلى العقدة في لسانه التي حدثت بسبب الجمرة .

﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً ﴿ أُلْقِيَ عَلَيْهِ ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ جمع سوار؛ لأنهم إذا سَوَدُوا رجلاً، ألبسوه أسورة ذهب، وطوقوه طوق ذهب، فقال فرعون: هلاً ألقى رب موسى عليه من السماء أسورة من ذهب إن كان سيدياً تجب طاعته . قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (أَسْوِرَةٌ) بإسكان السين من غير ألف بعدها جمع سوار، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها^(١)، جمع أسورة، وهي جمع الجمع .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه .

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٨) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١١٩-١٢٠) .

﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ ﴾ استعجلهم وطلب خفتهم، وطلب^(١) إجابتهم إلى غرضه ﴿ فَاطَاعُوهُ ﴾ فيما يريد .
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق .

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ أغضبونا^(٢) .

﴿ انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في اليم .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بضم السين واللام، جمع سليف؛ من سلف؛ أي: تقدم، وقرأ الباقون: بفتحهما^(٣)، جمع سالف؛ أي: جعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون ﴿ وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقدِّمون على مثل فعالهم .

(١) «وطلب» ساقطة من «ت» .

(٢) «أغضبونا» زيادة من «ت» .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٠) .

﴿ وَمَا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ وَمَا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ في خلقه من غير أب، فشبهه بآدم في خلقه من غير أب ولا أم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وحمزة: بكسر الصاد؛ أي: يَضِجُونَ، يقولون: ما يريد محمدٌ منا إلا أن نعبده ونتخذه إلهاً؛ كما عبدت النصارى عيسى، وقرأ الباقون: بضم الصاد^(١)؛ أي: يعرضون.

﴿ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ يعنون محمداً، فنعبده ونترك آلهتنا. قرأ الكوفيون، وروح عن يعقوب: (أَلِهَتُنَا) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية^(٢)، ولم يدخل هنا أحد بينهما ألفاً؛ لثلا يصير اللفظ في تقدير أربع ألفات: الأولى همزة الاستفهام، والثانية الألف الفاصلة، والثالثة همزة القطع، والرابعة المبدلة من الهمزة الساكنة، وذلك إفراط في التطويل، وخروج عن كلام العرب.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٣)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٦٤-٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢١-١٢٢).

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ ﴾ أي: هذا المثل، وهو ﴿ أَلِهْتَنَا خَيْرًا مِنْهُ هُوَ ﴾ .
﴿ إِلَّا جَدَلًا ﴾ خصومة بالباطل .

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ لُدُّ شديدو الخصومة، والجدل: قتل الخصم عن قصده؛ لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف وإظهار الحق بالاتفاق .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ .

[٥٩] ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أي: عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ ﴾ مربوبٌ، فلا يجوز أن يكون إلهًا، لكن ﴿ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا ﴾ آية ﴿ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يستدلون بها على قدرة الله على خلقه من غير أب .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ أي: أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم .
﴿ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ يكونون خلفاً منكم .

﴿ وَإِنَّهُ لِعَلْمٍ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ .

[٦١] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: نزول عيسى ﴿ لِعَلْمٍ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي: شرط من أشراف

الساعة .

﴿ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا ﴾ لا تشكُنَّ فيها ﴿ وَأَتَّبِعُونَ ﴾ على التوحيد .
 ﴿ هَذَا ﴾ الذي أمركم به ﴿ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ لا يضل سالكه . قرأ
 أبو عمرو، وأبو جعفر: (وَأَتَّبِعُونِي) بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب: بإثباتها
 وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(١) .

﴿ وَلَا يَصِدَّنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .
 [٦٢] ﴿ وَلَا يَصِدَّنَكُمْ ﴾ يصرفنكم ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ عن دين الله .
 ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ بينُ العداوة .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .
 [٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى ﴾ بني إسرائيل ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات
 والشرائع ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴾ بشرائع الإنجيل ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ من أحكام التوراة؛ لأنهم اختلفوا في أمر الدين وغيره،
 فبين لهم أمر الدين دون أمر الدنيا .
 ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ قرأ يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون:
 بحذفها^(٢) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٣) .
 (٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦/ ١٢٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بيان لما أمرهم به ، وهو التوحيد .

﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ حكاية عن عيسى ؛ إذ أشار إلى شرعه .

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْيَوْمِ ﴾ [٦٥].

[٦٥] ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا من بني إسرائيل ، فمنهم من آمن به ، وهو قليل ، وكفر الغير ، وهذا إذ كان معهم حاضراً ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ من تلقائهم ، ومن أنفسهم ثار شرهم ، ولم يدخل عليهم اختلاف من غيرهم .

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المشركون .

﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾ هو يوم القيامة .

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ [٦٦].

[٦٦] ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي : ينتظرون ؛ يعني : قريشاً ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ

بَغْتَةً ﴾ فجأة دون مقدمة ولا إنذار بها ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ لاشتغالهم بالدنيا .

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿ الْأَخِلَّاءُ ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة .

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته ؛ فإن
خلتهم نافعة أبداً.

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿يَعْبَادِ﴾ أي: يقال للمتقين: يا عبادي. قرأ أبو بكر عن
عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِي) بفتح الياء، ووقفا عليها ساكنة،
وأسكنها نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر في الوصل والوقف،
وحذفها الباقون في الحالين، وهذه الياء مثبتة في مصاحف المدينة والشام،
محذوفة في مصحف أهل مكة والعراق^(١).

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [٦٩].

[٦٩] روي أن الناس يبعثون، وكلُّ فرع، فينادي مناد: ﴿يَعْبَادِ﴾
الآية، فيرجوها الناس كلهم، فإذا قيل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ﴾ فيئسسون منها غير المسلمين^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٢٤/٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٦٣٩)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/١٠٦).

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ تُسْرُونَ .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] فإذا دخلوا الجنة، واستقروا فيها ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ ﴾ بقصاع ﴿ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ جمع صحيفة، وهي القصعة الواسعة ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب، وهي أباريق لا عرا لها ولا خراطيم؛ ليشرب الشارب من حيث شاء .

﴿ وَفِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ﴾ تلذذاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ضمير مذكر بعد الياء على الأصل، وكذلك هو في المصاحف المدنية والشامية، وقرأ الباقون: بحذفها استخفافاً، وكذلك هو في مصاحف العراق^(١) ﴿ وَتَلَذُّ ﴾ أي: تلذُّ به ﴿ الْأَعْيُنُ ﴾ إذا شوهد. ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون .

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ وَتِلْكَ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ الْجَنَّةُ ﴾ صفتها .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٥) .

﴿الَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المعنى: أن الجنة قد دخلت في ملككم كدخول الميراث في ملك وارثه؛ بفضل الله وهداه، وليس المعنى: أن أعمالهم أوجبت على الله دخولهم الجنة، وإنما حظوظهم منها على قدر أعمالهم. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (أورثتُموها) بإدغام التاء في التاء، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ في الحديث: «لا ينزع رجلٌ من الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاًها»^(٢).

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ﴾ وهم الكفار ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ خبر (إن).

﴿لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿لَا يَفْتَرُّ﴾ لا يُخَفِّفُ ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب.

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٥/٦).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١٠/٤١٤) - «مجمع الزوائد» للهيثمي، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٩)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. قال الهيثمي: وأحد إسنادي البزار ثقات.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بأن وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه .

﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ بأن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها،

ووضعوا الكفر في جنب الله .

﴿ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ وَنَادُوا ﴾ عند طول مكثهم وشدة العذاب: ﴿ يَمْلِكُ ﴾ يدعون

خازن النار ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ ﴾ أي: ليمتنا فنستريح، قال مجيباً لهم بعد ألف سنة:

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ ﴾ مقيمون في العذاب .

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ [٧٨].

[٧٨] ثم يقال لهم توبيخاً: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ ﴾ أي أرسلنا إليكم رسولنا .

﴿ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس، وقد

ورد لفظ القضاء في القرآن على عشرة أوجه: الأول: بمعنى الفراغ من الشيء، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾

[الآية: ٢٠٠]، الثاني: بمعنى وجوب العذاب، ومنه قوله تعالى في سورة

البقرة أيضاً: ﴿ وَقَضَى الْأَمْرُ ﴾ [الآية: ٢١٠]، الثالث: بمعنى تقدير المدة، ومنه

قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ﴾ [الآية: ٢]، الرابع: بمعنى

التمام، ومنه قوله في سورة الأنعام أيضاً: ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الآية: ٦٠]،

الخامس: بمعنى الفصل، ومنه قوله في سورة يونس: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: ٥٤]، السادس: بمعنى الختم، ومنه قوله في سورة يوسف: ﴿قَضَىٰ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية: ٤١]، السابع: بمعنى الخبر، ومنه قوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الآية: ٤]، الثامن: بمعنى الأمر، ومنه قوله في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ﴾ [الآية: ٢٣]، التاسع: بمعنى الفعل، وهو قوله في طه: ﴿فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [الآية: ٧٢]، العاشر: بمعنى الموت، ومنه قوله هنا: ﴿وَأَدَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ نَارُكَ﴾، وقد ذكر كل شيء من ذلك في محله.

﴿أَمْ أَرْبَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿أَمْ أَرْبَمُوا﴾ أحكموا: أهل مكة ﴿أَمْراً﴾ في كيد محمد ﷺ؛ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله في دار الندوة، إلى غير ذلك.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا بإهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [٨٠].

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخطر ببالهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يتناجون بينهم جهراً ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ﴿وَرُسُلْنَا﴾ الحفظه ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يسرون وما يعلنون.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ في زعمكم . قرأ حمزة ، والكسائي : (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللام ، والباقون : بفتحهما^(١) ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ لله ؛ فإنه واحد لا شريك له ، ولا ولد ، نزلت لما قيل : الملائكة بنات الله ؛ تبيكتاً لهم . قرأ نافع ، وأبو جعفر : (فَأَنَا أَوَّلٌ) بالمد^(٢) .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ثم نزه تعالى نفسه ، فقال : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾^(٣) . ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ يقولون ؛ من الكذب ، وخص السموات والأرض والعرش ؛ لأنها أعظم المخلوقات .

﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ في دنياهم . ﴿ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب ، وهو يوم القيامة . قرأ

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٤٩-١٥٠) ، و«الكشف» لمكي (٢/٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٧) .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٠-٢٣١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٧-١٢٨) .

(٣) لفظ الجلالة «الله» سقط من «ت» .

أبو جعفر: (يَلْقَوُا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها،
وقرأ الباكون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف^(١).

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨٤]

[٨٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ أي: هو النافذ أمره في كل شيء، وهو المستحق لأن يُعبد في السماء والأرض.
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بصلاحهم. واختلاف القراءة في الهمزتين من قوله: (في السَّمَاءِ إِلَهُ) كاختلافهم فيهما من قوله (عَلَى الْبُغَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٥]

[٨٥] ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ تعظّم وتقدّس.
﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من جميع الموجودات.
﴿ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: علمٌ تحديد قِيَامِهَا، والوقوف على تعيينه وحصره.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٨).

ورويس عن يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم روح عن يعقوب، ويعقوب على أصله في فتح حرف المضارعة وكسر الجيم^(١).

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٨٦).

[٨٦] ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ﴾ آلهتهم ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من دون الله ﴿ الشَّفَعَةَ ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم عبدوا من دون الله، ويملكون شفاعته بأن يملكها الله إياهم؛ إذ هم ممن شهد بالحق، وهو قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنْتَ يُؤْفَكُونَ ﴾^(٨٧).

[٨٧] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنْتَ يُؤْفَكُونَ ﴾ يُصْرَفُونَ^(٢) عن

عبادته.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٢٩).

(٢) «يصرفون» زيادة من «ت».

﴿ وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٨٨]

[٨٨] ﴿ وَقِيلَهُ يَا رَبِّ ﴾ يعني: قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه: يا ربَّ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (وَقِيلَهُ) بخفض اللام وكسر الهاء على معنى: وعنده علم الساعة وعلم قيله: يا رب! وقرأ الباقون: بنصب اللام وضم الهاء^(١)، ولها وجهان: أحدهما: معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيل: يا رب! والوجه الثاني: وقال وقيل.

﴿ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٨٩]

[٨٩] ﴿ فَأَصْفَحَ ﴾ فاعف ﴿ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ ﴾ أي: قولاً تسلم به من شرهم، ومعناه: المتاركة، ونسختها آية السيف.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ من الله لهم، وتسليّةٌ للنبي ﷺ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢)، والله أعلم.

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٣٠).
- (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/١٨١٠) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٣١).

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

مكية إلا قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ الآية، وآيها: تسع وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأحد وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وست وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ ﴾ .

[١] ﴿ حَمْدٌ ﴾ تقدم الكلام في معناه ومذاهب القراء فيه أول سورة غافر، وتقدم إعرابه في أول الزخرف.

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ .

[٢] ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ تقدم تفسيره، وهو قَسَمَ أقسم الله به.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ .

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ أي: الكتاب، وهو القرآن ﴿ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ﴾ هي ليلة القدر على المشهور، ويأتي الكلام عليها في سورة القدر،

نزل فيها القرآن من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل - عليه السلام - نجوماً في نيف وعشرين سنة، وقيل: هي ليلة النصف من شعبان، وسميت مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها على العالمين.

روي عن النبي - عليه السلام -: أنه قال: «ينزل الله - جل ثناؤه - ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا إنساناً في قلبه شيء»^(١)؛ أي: شركاً بالله.

وعنه عليه السلام: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، ولقد أخرج اسمه في الموتى»^(٢).

﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ للكافر بالعذاب.

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾.

[٤] ﴿ فِيهَا ﴾ في الليلة المباركة ﴿ يُفْرَقُ ﴾ يفصل^(٣) ﴿ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ محكم من خير وشر، وأجل ورزق، وكل ما هو كائن من السنة إلى السنة.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٢٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/٢٩)، من حديث القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر رضي الله عنه، به. وإسناده ضعيف. قال العقيلي: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٣٩) عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأحنس، مرسلًا.

(٣) «يفصل» زيادة من «ت».

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ أَمْرًا ﴾ أي : أنزلناه أمراً .

﴿ مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ محمداً ﷺ إلى عبادنا .

﴿ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴾ قال ابن عباس : «رأفة مني بخلقِي، ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل»^(١) .

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إن الله رب السموات والأرض . قرأ الكوفيون : (رَبِّ السَّمَوَاتِ) بالخفض رداً على قوله : (مِنْ رَبِّكَ) ، والباقون : بالرفع رداً على قوله : (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، وإن شئت على الابتداء^(٢) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/١١٢) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٨) ، و«تفسير البغوي» (٤/١١٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٣٦) .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا شريك له ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ بقدرته .

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فأيقنوا أن القرآن تنزيله، وأن محمداً

رسوله .

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ بَلْ ﴾ إضراب قبله نفي مقدر؛ كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن

يؤمن، بل .

﴿ هُمْ فِي شَكٍّ ﴾ من الساعة والقرآن ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ استهزاء بك يا محمد .

﴿ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ فَأَرْتَقِبْ ﴾ فانتظر ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر، وذلك

لما دعا النبي ﷺ على قريش فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، فجاء أبو سفيان النبي ﷺ، وقال: يا محمد! تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع لهم؛ فإنهم لك مطيعون، فقرأ: ﴿ فَأَرْتَقِبْ ﴾ إلى ﴿ عَائِدُونَ ﴾ ^(١) .

(١) رواه البخاري في (٤٤٩٦)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الروم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال ابن بطال (١٩/١٧٢): كان ﷺ يدعو على المشركين على حسب ذنوبهم وإجرامهم، فكان يبالي في الدعاء على مَنْ =

﴿ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ يَعْشَى النَّاسَ ﴾ يحيط بهم، فإذا غشيتهم، قالوا: ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢).

[١٢] ويقولون: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ مصدقون بنبينا.

﴿ أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٣).

[١٣] وعلم الله تعالى قولهم في حال الشدة: (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) إنما هو عن حقيقة منهم، فدل على ذلك بقوله: ﴿ أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى ﴾ كيف يتذكرون الإيمان عند نزول العذاب.

﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين لهم أحكام الدين؛ يعني: محمداً ﷺ.

= اشتد أذاه للمسلمين، ألا ترى أنه لما بئس من قومه قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر..» ودعا على أبي جهل، ودعا على الأحزاب بالهزيمة والزلزلة، فأجاب الله دعاءه فيهم... فبالغ في الدعاء عليهم لشدة إجرامهم، ونهى عائشة عن الرد على اليهود باللعنة، وأمرها بالرفق في المقارضة لهم، والرد عليهم مثل قولهم، ولم يبيح لها الزيادة والتصريح، فيمكن أن يكون كان ذلك منه ﷺ على وجه التألف لهم والطمع في إسلامهم. والله أعلم.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا ﴿ عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ ﴾ أي: علّم ما جاء به، وليس من عند الله، يقول هذا بعضهم، وبعضهم يقول: إنه ﴿ مِّجْنُونٌ ﴾.

﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [١٥].

[١٥] قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ أي: زماناً يسيراً، وإن كشفناه عنكم.

﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ إلى كفركم، فرغ عنهم القحط بدعاء النبي ﷺ، فعادوا إلى الشرك.

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿ يَوْمَ ﴾ المعنى: ننتقم منكم إن عدتم إلى كفركم يوم.

﴿ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ وهو يوم بدر.

﴿ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (نَبْطِشُ) بضم الطاء، والباقون:

بكسرها^(١)، والكسائي يميل الشين حيث وقف على هاء التانيث.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ﴾ بلونا ﴿ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قريش.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٣).

﴿ قَوْمٌ فَرَعُونَ ﴾ بالإمهال، وكثرة الأموال، فارتكبوا المعاصي .
﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ على الله، وهو موسى بن عمران عليه السلام .

﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (١٨) .

[١٨] فقال لهم: ﴿ أَنْ أَدُّوا ﴾ سَلَّمُوا ﴿ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ بني إسرائيل؛
لأذهب بهم إلى الشام ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الوحي .

﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا ﴾ تَطَّغُوا ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ فتعصوه ﴿ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴾
حجة ظاهرة، ودليل واضح على رسالتي . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن
كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) .

﴿ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ (٢٠) .

[٢٠] فلما قال ذلك، توعدوه بالقتل، فقال:
﴿ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ أي: تقتلون . قرأ نافع، وأبو جعفر،
وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب بخلاف عن أبي جعفر: (عُدْتُ)

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٣٨/٦) .

بإظهار الذال عند التاء^(١)، والباقون: بإدغامها^(٢)، **وقراً** ورش: (تَرْجُمُونِي) بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحاليين^(٣).

﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴾ فاعتزلوا أذاي باليد واللسان. واختلاف القراء في (فَاعَزَّلُونِي) كاختلافهم في (تَرْجُمُونِ)، وورش بفتح الياء من (لِي)، والباقون يسكنونها.

﴿ فَدَعَارِبُهُ أَنْ هَتُولَاءَ قَوْمٌ مَجْرُمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] فلم يؤمنوا ﴿ فَدَعَارِبُهُ ﴾ عليهم ﴿ أَنْ ﴾ أي: بأن. ﴿ هَتُولَاءَ قَوْمٌ مَجْرُمُونَ ﴾ مشركون.

﴿ فَأَسْرٍ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] فقال الله تعالى: ﴿ فَأَسْرٍ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير:

-
- (١) «عند التاء» زيادة من «ت» .
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٨/٦) .
(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٨-١٣٩) .

بوصل الألف، والباقون: بقطع الهمزة مفتوحة^(١).

﴿بِعَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليقتلکم.

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَفُونَ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾ ساكناً بعد أن انفرق؛ لأن موسى لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم؛ خوفاً أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر كحاله حتى يدخله القبط.

﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَفُونَ﴾ أخبر موسى بإغراقهم؛ ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونٍ﴾^(٢٥).

[٢٥] ثم ذكر ما تركوه بمصر، فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ (كَمْ) خبر للتكثير. ﴿مِنْ جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَعَيْونٍ﴾ روي أنها كانت متصلة من رشيد إلى أسوان، وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعَيْونٍ) بكسر العين، والباقون: بضمها^(٢).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٣٩-١٤٠).

(٢) المصدران السابقان.

﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ مجلس حسن، وسمي كريماً؛ لأنه مجلس الملوك .

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ - بفتح النون - : الترفُّه، وبالكسر : الإنعام، و- بالضم - : المسرة، والتلاوة بالأول ﴿ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر : (فَاكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ أي : بطرين، وقرأ الباقون : بالألف^(١)؛ أي : ناعمين .

﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمَاءَ آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : أفعل بمن عصاني ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾ أي : أموال القبط .
﴿ قَوْمَاءَ آخَرِينَ ﴾ من بني إسرائيل .

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ذلك أن المؤمن إذا مات، تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٤-٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٠) .

الأرض عليه، فأهلكوا، ولم يكن لهم قدر.

﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخَّرين عند نزول العذاب^(١).

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٣٠).

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء، واستحياء

النساء، والتعب من العمل.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣١).

[٣١] وتبدل من العذاب ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ متكبراً^(٢).

﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في العتو.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣٢).

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منّا بحالهم.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم.

﴿وَأَنبَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُّبِينٌ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿وَأَنبَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ كفرق البحر، والمن والسلوى، وغيرها.

(١) «عند نزول العذاب» زيادة من «ت».

(٢) «متكبراً» زيادة من «ت».

﴿ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُّبِينٌ ﴾ اختبار ظاهر، والله تعالى يختبر بالنعمة كما يختبر
بالنقم .

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني : مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ حين قيل لهم :
إنكم تموتون ثم تحيون :

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ ﴾ التي في الدنيا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾
بمبعوثين .

﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا ﴾ الذين ماتوا ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنا نبعث أحياء
بعد الموت .

﴿ أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية، فقال : ﴿ أَهْمٌ خَيْرٌ ﴾ في
القوة والمنعة .

﴿ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ ﴾ هو الحِمِيرِيُّ ملك اليمن، سمي بذلك ؛ لكثرة أتباعه،
وكل واحد منهم يسمى تُبَعًّا ؛ لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا يعبد النار، فأسلم

ودعا قومه إلى الإسلام، وهم حَمِيرٌ، فكذبوه، فذم الله قومه ولم يذمه، وكانت عائشة تقول: «لا تَسُبُّوا تَبَعاً؛ فإنه كان رجلاً صالحاً»^(١)، وقال سعيد بن جبير: «هو الذي كسا البيت، وهو الذي بنى سمرقند، وكان اسمه أسعد»^(٣) أبو كرب بن مليك»^(٤).

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تَسُبُّوا تَبَعاً؛ فإنه كان قد أسلم»^(٥).

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْتَهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾^(٣٨).

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الجنسين ﴿لَعِينًا﴾ لاهين.

- (١) «صالحاً» ساقطة من «ت».
- (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٠/٢٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (١١٨/٤).
- (٣) «أسعد» زيادة من «ت».
- (٤) انظر: «تفسير البغوي» (١١٨/٤)، و«تفسير القرطبي» (١٤٦/١٦).
- (٥) رواه أحمد في «المسند» (٣٤٠/٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١٣)، من حديث سهل بن سعد الساعدي، ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٧٩٠) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال ابن حجر في «الفتح» (٥٧١/٨) رواه أحمد من حديث سهل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس مثله، وإسناده أصلح من إسناد سهل.

﴿ مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿ مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ بالواجب المقتضي للخيرات .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلّة نظرهم .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ، وهو يوم القيامة .

﴿ مِيقَتُهُمْ ﴾ وقت اجتماع الخلائق .

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ يوافي الأولون والآخرون .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤١).

[٤١] وتبدل من ﴿ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى ﴾ من قرابة ، وغيرها

من موالي العتق والصدقة ﴿ عَنْ ﴾ أي ﴿ مَوْلَى ﴾ كان ﴿ شَيْئًا ﴾ من العذاب

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من العذاب .

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴾ من المؤمنين ؛ فإنه يُشَفِّع له ، ويُشَفِّع ، استثناء

متصل .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُنصر منه من أراد تعذيبه .

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

﴿ إِنِّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴾ [٤٣]

[٤٣] ﴿ إِنِّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴾ تقدم ذكرها في سورة الصافات . وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب على (شَجَرَة) بالهاء^(١).

﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾ [٤٤]

[٤٤] ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾ أي : كثير الإثم، وهو أبو جهل وأصحابه .
روي عن أبي الدرداء : «أنه أقرأ إنساناً ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾ ، فقال : طَعَامُ
اليتيم، مراراً، فقال : قُلْ : طعامُ الفاجرِ يا هذا»^(٢)، وفي هذا دليل لمن
يجوزُ إبدالَ كلمة بكلمة إذا أدَّت معناها، وتقدم في الفصل الرابع أول
التفسير ذكر الخلاف في جواز القراءة بالفارسية .

﴿ كَأَلْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [٤٥]

[٤٥] ﴿ كَأَلْمُهَلِّ ﴾ وهو دُرْدِيُّ الزيت ﴿ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ قرأ ابن كثير،
وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب : (يَغْلِي) بالياء على التذكير؛
يعني : المهل، وقرأ الباقون : بالتاء على التأنيث^(٣) ؛ يعني : الشجرة .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٤١/٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٨٤).
وانظر : «الدر المنثور» للسيوطي (٤١٨/٧).

(٣) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١١٩/٤)، و«النشر في =

﴿ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ (٤٦).

[٤٦] ﴿ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه .

﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٤٧).

[٤٧] فيؤمر بإلقاء الكافر في النار، فيقال للزبانية: ﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (فَأَعْتَلُوهُ) بضم التاء، والباقون: بكسرهما، وهما لغتان^(١)؛ أي: سوقوه بعنف ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ وسطه .

﴿ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ .

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٤٩).

[٤٩] ثم يقال لأبي جهل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ قرأ الكسائي: (أَنَّكَ) بفتح الهمزة؛ أي: لأنك ﴿ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ على سبيل التهكم، وقرأ الباقون: بكسرهما على الابتداء^(٢).

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٢/٦).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٢٠)، وباقي المصادر في التعليق السابق .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٢-١٤٣).

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.

[٥٠] وذلك أن أبا جهل كان يقول للنبي ﷺ: أنا أعز أهل الوادي، وأكرمهم، فوالله لن تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً^(١)، فثمَّ يقال له:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: الأمر الذي أنتم فيه ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ تشكُّون.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مُقَامٍ) بضم الميم على المصدر؛ أي: في إقامة، وقرأ الباقون: بالنصب^(٢)؛ أي: مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ من الفتن والمحن.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بدل من مقام ﴿وَعُيُونٍ﴾ تقدم اختلاف القراء في كسر العين وضمها من (عُيُونٍ) في الحرف المتقدم [الآية: ٢٥].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٨/٢٢) عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» (١٢٠/٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥١/١٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١٢٠/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٣/٦).

﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [٥٣].

[٥٣] ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ ﴾ وهو ما رقّ من الديباج ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو ما غلظ منه ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسرة بهم.

﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: والأمر كذلك ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ ﴾ قرأناهم. ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ عظام العيون حسانها، نقيات البياض؛ أي: جعلناهم اثنين اثنين، ذكراً وأنثى، ليس من عقد التزويج.

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ﴾ يطلبون في الجنة أن يجاؤوا ﴿ بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ﴾ اشتهوها ﴿ آمِنِينَ ﴾ من انقطاعها ومضرتها، ومن كل مخوف.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [٥٦].

[٥٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ التي في الدنيا. ﴿ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: أعطوا ذلك تفضلاً منه ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك؛ لتفهمه العرب عنك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون فيؤمنون.

﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿ فَأَرْتَقِبْ ﴾ فانتظر نصرنا لك ﴿ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ فيما يظنون الدوائر عليك، وفي هذه الآية وعد له ﷺ، ووعد لهم، وفيه متاركة لهم، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السيف، والله أعلم.

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

مكية إلا ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا ﴾ الآية، وآيها: سبع وثلاثون آية،
وحروفها: ألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثمان
وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ ﴾ .

[١] ﴿ حَمْدٌ ﴾ مبتدأ.

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

[٢] خبره ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ في شدةٍ أخذه إذا انتقم،

ودفاعه إذا حمى ونصر ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ المحكم للأشياء.

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٣] ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: في خلقها ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ لدلالاتٍ على

قدرته تعالى وتوحيده ﴿ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤).

[٤] ﴿ وَفِي ﴾ تغيير ﴿ خَلْقِكُمْ ﴾ من حال إلى حال دلالة أيضاً على ذلك .

﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ يفرِّق في الأرض ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ هي كل حيوان يدب .

﴿ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (آيَاتِ)

بكسر التاء رداً على قوله : (لآيَاتِ) ، وهي موضع النصب ، وقرأ الباقون : بالرفع على الاستثناف^(١) .

﴿ وَأُخْلِفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَتَصْرَفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

[٥] ﴿ وَأُخْلِفَ ﴾ جرب (في) غير الأولى ، التقدير : وفي اختلاف .

﴿ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾ بالنور والظلام .

﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ﴾ أي : مطر ؛ لأنه سبب الرزق .

﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها .

﴿ وَتَصْرَفِ الرِّيحِ ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها .

﴿ آيَاتٌ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي : (الرِّيحِ) بغير ألف على التوحيد

(آيَاتِ) بكسر التاء ، وقرأ خلف : (الرِّيحِ) على التوحيد ، (آيَاتِ) بالرفع ،

وقرأ يعقوب : (الرِّيحِ) بألف على الجمع ، (آيَاتِ) بالكسر ، وقرأ الباقون :

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٩٨) ، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٧) ، وقراءة (آيَاتِ) بكسر التاء هي قراءة يعقوب أيضاً .

(الرِّيَاح) على الجمع، (آيَاتُ) بالرفع^(١)، تلخيصه: إن في المذكور دلالاتٍ على الوحدانية ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل، فيؤمنون.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورات.

﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: بعد كتابه ﴿وَآيَاتِهِ﴾ معجزات أنبيائه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ توبيخ وتقريع، وفيه قوة التهديد. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وروح، وحفص: (يُؤْمِنُونَ) بالغيب موافقة لما قبله، وقرأ الباقر: بالخطاب^(٢) على معنى: قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون؟

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٧).

[٧] ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ وهو النضر بن الحارث.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧١-٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٤٨-١٤٩).

﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

[٨] ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ صفة أئيم ﴿ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ يقيم على كفره .

﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عن الإيمان، وجيء بـ(ثم) هنا؛ لاستبعاد الإصرار على الكفر بعد سماع القرآن .

﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أي: كأنه، فخفف، وحذف ضمير الشأن، المعنى: يصير على الكفر مثل غير السامع .

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فقتل يوم بدر صبراً .

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

[٩] ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا ﴾ أي: جميع الآيات؛ لمبالغته في الكفر ﴿ هُزُوًا ﴾ سخرية؛ كفعل أبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر، وقال: تزقّموا، فهذا ما يتوعدكم به محمد. قرأ حفص: (هُزُوًا) بضم الزاي ونصب الواو بغير همز، وحمزة وخلف: بإسكان الزاي والهمز، والباقون: بضم الزاي والهمز^(١) ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: الأفاكون .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ذكر بلفظ الجمع إشارة إلى كل أفاك أئيم؛ لشموله الأفاكين .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٩/٦) .

﴿ مِّنْ وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ مِّنْ وَّرَائِهِمْ ﴾ أي: أمامهم ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ وأصله ما توارى عنك من خلف أو قدام ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ﴾ من الأموال .
﴿ شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الأصنام .
﴿ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يتحملونه .

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ هَذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ هُدًى ﴾ بيان من الضلالة .
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزِ أَلِيمٍ ﴾ والرجز: أشد العذاب .
قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ) والباقون: بالجر صفة (رَجَزٍ) (١) .

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ ﴾ على ضعفكم .
﴿ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٠١-٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٠) .

﴿وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة والصيد وغيرهما .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١٣]

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، والسحاب والرياح والهواء، والملائكة الموكلة بهذا كله ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم والمياه والأودية والجبال، وغير ذلك ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أي: كلُّ إنعام فهو من فضله تعالى؛ لأنه لا يستحق أحد عليه شيئاً، بل هو يوجبه على نفسه تكريماً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٤]

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اغفروا ﴿يَغْفِرُوا﴾ يعفوا ويصفحوا .

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه في الأمم الماضية، ولا يخشون نقمته .

﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الإحسان والغفر للكافر، نزلت في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وذلك أن رجلاً من بني غفار

شتمه بمكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله الآية، وأمره أن يعفو عنه^(١).
 قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لِنَجْزِي) بالنون التي للعظمة،
 وقرأ الباقون، ومنهم أبو جعفر: بضم الياء وفتح الزاي مجهولاً، وجاءت
 أيضاً عن عاصم^(٢)، وهذا على أن يكون التقدير: لِيُجْزَى الجِزَاءُ قوماً،
 ونظيره (وَنُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء؛
 أي: نُجِّي النَّجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وتقدم التنبيه على ذلك في محله.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ ﴾ ثوابه ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ عقابه .
 ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم . قرأ يعقوب: (تُرْجَعُونَ)
 بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(٣).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ التوراة .

-
- (١) انظر: «المحجر الوجيز» لابن عطية (٨٣/٥).
 (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٥)، و«النشر في
 القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥١).
 (٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦/١٥٢).

﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقہ ﴿وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات؛
كالمن والسلوى .

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم .

﴿وَعَاتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧) .

[١٧] ﴿وَعَاتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ دلالات على العلم بمبعث

محمد ﷺ .

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في محمد ﷺ ، وكفروا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾
به ، وبالدين ﴿بَغِيًّا﴾ أي : لبغي حدث ﴿بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعداوة له ﷺ .
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمؤاخذه
والمجازاة .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ سنة وطريقة مسلوكة .

﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين .

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم رؤساء قريش كانوا يقولون

له : ارجع إلى دين آبائك .

﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا﴾ لن يدفعوا .

﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي : من عذاب الله (١) .

﴿شَيْئًا﴾ إن اتبعت أهواءهم .

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فَوَالِهِ بالتقوى واتباع
الشريعة .

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ أي : القرآن ﴿بَصِيرَةٌ﴾ معالمٌ ﴿لِلنَّاسِ﴾ يتبصرون بها
دينهم .

﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

[٢١] ولما قال نفر من مشركي مكة للمؤمنين : لئن كان ما تقولون من
البعث حقاً ، لَنُفَضِّلَنَّ عليكم في الآخرة كما فُضِّلْنَا في الدنيا ، نزل إنكاراً

(١) «الله» : لفظ الجلالة لم يرد في «ت» .

عليهم، وأن لا مساواة بينهم: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾^(١) اكتسبوا.
﴿السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ﴾ أن نصيّرهم.

﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مثلهم.

﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن
عاصم: (سَوَاءً) بالنصب؛ أي: نجعلهم سواءً؛ يعني: أحسبوا أن حياة
الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين سواء؟ كلا، وقرأ الباقر: بالرفع على
الابتداء والخبر^(٢)؛ أي: محياهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى
المؤمنين والكافرين جميعاً، وقرأ الكسائي: (مَحْيَاهُمْ) بالإمالة، والباقر:
بالفتح^(٣)، المعنى: لا يستويان في موتهما كما استويا في حياتهما، لأن
المؤمن والكافر قد استويا في الرزق والصحة والمرض وغيرها في الدنيا،
وافترقا في الآخرة بالجنة والنار ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢٢).

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لما فيه من فيض الخيرات،
وليدل على قدرته تعالى ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر
﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا بتضعيف عقاب.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٨٥/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٦)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٦/١٥٢-١٥٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/١٥٣).

﴿ أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ
عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣).

[٢٣] ونزل توبيخاً لمن عبد غير الله كالأصنام بهوى نفسه :

﴿ أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ﴾ كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب
والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول، رموه أو كسروه وعبدوا
الآخر.

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الله تعالى بأنه من أهل النار، وقيل: على علم
من الضال بطريق الهداية بأن ضل عناداً.

﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ فلم يسمع ولم يعقل الهدى.

﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً ﴾ ظلمة، فهو لا يبصر الهدى. قرأ حمزة،
والكسائي، وخلف: (غِشْوَةً) بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف، وقرأ
الباقون: بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها^(١).

﴿ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ﴾ إضلال ﴿ اللَّهُ ﴾ إياه.

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن
عاصم: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديد^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)،
و«تفسير البغوي» (٣/١٢٦-١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٤-
١٥٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/١٥٤-١٥٥).

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : منكري البعث :

﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ التي نحن فيها .

﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي : يموت البعض ، ويحيا البعض .

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ أي : ممر السنين والأيام ، وكانت العرب إذا أصابهم سوء ، نسبوه إليه اعتقاداً منهم أنه الفاعل له ، فقال ﷺ : « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللهُ (١) ، بيده الأمر » (٢) ؛ أي : الله الفاعل لذلك .

﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ ﴾ القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ذلك ظناً بلا تحقيق .

(١) في «ت» : «فإن الله هو الدهر» .

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، ومسلم (٢٢٤٦) ، كتاب : الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب : النهي عن سب الدهر ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٥٦٥ / ١٠) : معنى النهي عن سب الدهر : أن من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبّه أخطأ ، فإن الله هو الفاعل ، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السبُّ إلى الله . . . ومحض ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن المراد أن الله هو الدهر : أي المدبر للأمور ، ثانيها : أنه على حذف مضاف ، أي صاحب الدهر ، ثالثها : التقدير : مقلّب الدهر . اهـ .

﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا بُنَاءً بَنَاءً إِنَّا إِذًا نَكْتُمُ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات الدلالة .

﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾ ما كان لهم متشبهت يعارضونها به .

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا بُنَاءً بَنَاءً إِنَّا إِذًا نَكْتُمُ الصَّادِقِينَ ﴾ أَنَا نُبْعَثُ . قراءة الجمهور : (حُجَّتَهُمْ) بالنصب خبر (كان)، واسمها (إِلَّا أَنْ قَالُوا)، وانفرد ابن العلاف عن رويس راوي يعقوب بالرفع، ووردت عن أبي بكر وابن عامر، فتكون (حُجَّتَهُمْ) في هذه القراءة اسم (كان)، والخبر (إِلَّا أَنْ قَالُوا) (١) .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فإن القادر على الإبداء قادر على الإعادة .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلّة تفكرهم، وقصور نظرهم .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ تبديل منه

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٦) .

﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾ أي: يظهر خسرانهم ثمَّ.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ باركةً على الرُّكْب، وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قرأ يعقوب: (كُلُّ) بنصب اللام على أنه بدل الأول، و(تُدْعَى) صفة، وقرأ الباقون: برفعها على أنه مبتدأ^(١)، خبره:
﴿تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ الذي فيه أعمالها؛ لتحاسب، ويقال لهم:
﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ ديوان الحفظة، أو القرآن.

﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم ببيان شافٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نستكتب الحفظة.

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأننا لا نهمل شيئاً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٦-١٥٧).

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ﴾ جنته .
﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ الظفرُ الظاهر .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يُقال لهم تهديداً : ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾
بالإنذار على لسان رسلي .

﴿ فَاَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين^(١) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصَدِّقِينَ ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لكم : ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ كائن ﴿ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾
أي : لا شك في البعث . قرأ حمزة : (السَّاعَةُ) بالنصب عطفاً على (وَعْدَ)،
والباقون : بالرفع على الابتداء^(٢) .

(١) «كافرين» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٩) ، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٥٧) .

﴿ قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أي : لا اعتقادَ لنا إلا الشكُّ ، والظنُّ أحد طرفي الشك بصفة الرجحان ، ويجيء الظن بمعنى اليقين ؛ نحو قوله : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٧١] ؛ أي : أيقنوا أن الجبل واقع بهم .
﴿ وَمَا حُنُّ بِمُسْتَقِيمِينَ ﴾ أنها كائنة .

﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَبَدَأَ ﴾ ظهر ﴿ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ في الدنيا .

﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ وهو الجزاء . قرأ أبو جعفر : (يَسْتَهْزُونَ) بضم الزاي بغير همز ، والباقون : بكسر الزاي والهمز^(١) .

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِنَكُمْ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُكُمْ ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسي الذي لا يُلتفت إليه .

﴿ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ أي : كما تركتم العمل للقائه هذا اليوم .

﴿ وَمَأْوِنَكُمْ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴾ يخلصونكم من عذابها .

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦٤) من سورة التوبة .

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ العذابُ النازلُ بكم ﴿ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ﴾ أي: بسبب اتخاذكم .

﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ هُزُوءًا ﴾ استهزأتم بها . قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام، وقرأ حفص: (هُزُوءًا) بإبدال الهمزة واوًا، والباقون: بالهمز^(١) .
﴿ وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴾ حتى قلتم: لا بعثَ ولا حساب .

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُخْرِجُونَ) بفتح الياء وضم الراء، والباقون: بضم الياء وفتح الراء^(٢) .
﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا يطلب منهم أن يُعتبوا ربهم؛ أي: يُرضوه بالطاعة؛ لأنه لا عذر في ذلك اليوم ولا توبة .

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تحميدٌ لله، وتحقيق لألوهيته، وفي ذلك كسر لأمر الأصنام .

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٦) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٤/١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٧-٢٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٦) .

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إذ ظهر فيهما

آثارها .

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما قضى .

وفي الحديث الشريف: يقول الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزارِي، فمن نازعني شيئاً منهما، قَصَمْتُهُ»^(١)، والله أعلم .

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، وابن ماجه (٤١٧٤)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ورواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة» .



مكية، لم يُختلف منها إلا في آيتين، وهو قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَاؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وُضعتا في سورة مكية قاله ابن عطية^(١).

وقال الكواشي^(٢): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث.

وآيها: خمس وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وست مئة حرف، وكلمها: ست مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾.

[٢-١] ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ تقدم نظيره في

الجاثية.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٩١/٥).

(٢) «وقال الكواشي» زيادة من «ت».

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ [٣].

[٣] ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا ﴾ خَلْقًا مَلْتَبِسًا^(١) ﴿ بِالْحَقِّ ﴾

الواجب الذي حق أن يكون .

﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وَقْتَانَهُ وَجَعَلْنَاهُ مَوْعِدًا لِفَسَادِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: مَوْعِظَةٌ وَزَجْرٌ؛ أَي: فَانْتَبِهُوا أَيُّهَا النَّاسُ، وَانظُرُوا مَا يَرَادُ بِكُمْ، وَلَمْ تُخَلِّقْتُمْ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا ﴾ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ عَنِ الْإِهْتِمَامِ لِذَلِكَ الْمَقَامِ.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٤].

[٤] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ اسْتَفْهَامٌ عَلَىٰ مَعْنَى التَّوْبِيخِ ﴿ مَا نَدْعُونَ ﴾ تَعْبُدُونَ.

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ ﴾ أَي: لِلْأَصْنَامِ ﴿ شِرْكٌ ﴾ أَي:

مُشَارَكَةٌ ﴿ فِي ﴾ خَلَقَ ﴿ السَّمَوَاتِ ﴾ مَعَ اللَّهِ حَتَّىٰ تَشْرِكُوهُمْ فِي عِبَادَتِهِ.

﴿ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ يَعْنِي: جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ قَبْلَ الْقُرْآنِ فِيهِ بَيَانٌ

مَا تَقُولُونَ.

(١) «خَلْقًا مَلْتَبِسًا» زِيَادَةٌ مِنْ «ت».

﴿أَوْ أَثَرَوْا مِنْ عِلْمٍ﴾ أي : بقية من علم يؤثر عن الأولين .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ .

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ إنكار أن يكون
أحد أضلّ من المشركين ؛ حيث تركوا عبادة الله ، وعبدوا الأصنام التي
لا تسمع دعاءهم ، ولا تجيبهم .

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني : أبداً ما دامت الدنيا .

﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون .

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ .

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي : الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ أي : لعابديها .

﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا﴾ أي : الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾

جاحدين ، بيانه ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص : ٦٣] .

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ﴾ .

[٧] ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ﴾ أي : لما يسمع المشركون القرآن .

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهره بطلانه .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٨) .

[٨] ﴿ أَمْ ﴾ أي : بل (١) ﴿ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ اختلق محمد القرآن، إضرابٌ عن ذكر تسميتهم القرآن سحراً، إلى ذكر ما هو أشنع منه، وإنكار له .

﴿ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ ﴾ فرضاً ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : من عذابه ﴿ شَيْئًا ﴾ أن : تردّوه عني إن عذبي على افترائي .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ ﴾ تخوضون ﴿ فِيهِ ﴾ من التكذيب بآياته، والقدح فيها .

﴿ كَفَىٰ بِهِ ﴾ تعالى ﴿ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق، وعليكم بالكذب .

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ترجية واستدعاء إلى التوبة؛ لأنه في خلال تهديده إياهم بالله تعالى جاءت هاتان الصفتان .

(١) «أي: بل» زيادة من «ت» .

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٩).

[٩] ثم أمر تعالى بأن يحتج عليهم، فقال: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ ﴾ أي: بديعاً؛ أي: لست بأول مرسل، قد بُعث قبلي غيري، والبدع والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله، المعنى: فكيف تنكرون نبوتي؟.

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ قال ابن عباس وأنس وغيرهما: «معناه: في الآخرة»^(١)، وكان هذا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك عرفه تعالى بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير، وهو الجنة، وبأن الكافرين في نار جهنم.

وروي أن رسول الله ﷺ رأى في النوم مهاجرة إلى أرض ذات نخل، فأخبر أصحابه، فسأله عنها، فسكت، فنزل: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾^(٢)، المعنى: وما أدري أخرج أم أُخرج كما أُخرج الأنبياء قبلي، أم أُقتل كما قُتلوا، وأنتم أيها المصدقون ما أدري أخرجون معي^(٣)، أم تتركون، وأنتم أيها المكذبون ما أدري أترمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم.

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣٠١/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٩٤/٥)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٠٠/٢٢) عن الحسن قوله: أما في الآخرة، فمعاذ الله؛ فقد علم الله أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ في الدنيا. وهو الصحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٨٦/١٦).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٩٤/٥)، و«تفسير القرطبي» (١٨٧/١٦).

(٣) «معني» زيادة من «ت».

﴿إِنْ أَتَيْعُ﴾ ما أتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰكَ﴾ من القرآن، وما أبتدع من عندي شيئاً.

﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين الإنذار بالمعجزات الظاهرة. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن قالون: (أَنَا إِلَّا) بالمد^(١).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا تقولون ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن.

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - . قرأ أبو عمرو: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ) بإدغام الدال في الشين^(٢) ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: القرآن، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة له.

﴿فَتَمَنَّ﴾ الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، وجواب الشرط في (أَرَأَيْتُمْ) محذوف، وهو: أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ؟ لدلالة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لدينه.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٦).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من اليهود ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ ﴾ دينُ

محمد .

﴿ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ يعني : عبد الله بن سلام وأصحابه ، وقيل : نزلت في مشركي مكة ، وقالوا : لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً ، ما سبقنا إليه عمار وصهيب وبلال ونحوهم ممن أسلم ، وهم دوننا في الشرف .

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان ، والعامل في ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ محذوف تقديره : وقت عدم إيمانهم ظهر عنادهم .

﴿ فَيَقُولُونَ هَذَا ﴾ أي : القرآن ﴿ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ قَدِيمٌ ﴾ ووصفوه بالقدم بمعنى أنه في أمور متقدمة .

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرُ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي : القرآن ، أو محمد ﷺ .

﴿ كِتَابٌ مُّوسَىٰ ﴾ التوراة .

﴿ إِمَامًا ﴾ يؤتمُّ به في دين الله وشرائعه ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن آمن به ، وفي الكلام محذوف تقديره : وتقدمه كتاب موسى إماماً ، ولم يهتدوا به ؛ كما قال في الآية الأولى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ ﴿ وَهَذَا ﴾ أي : القرآن ﴿ كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ ﴾ للكتب قبله ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال من ضمير (كِتَابٌ) في (مُصَدِّقٌ) ؛

أي: القرآن مصدق لسان محمد ﷺ، وهو عربي ﴿يُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) بوضع العبادة في غير موضعها، وهم مشركو مكة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِتُنذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالغيب؛ يعني: الكتاب، واختلف عن البزي راوي ابن كثير^(١) ﴿وَبَشِّرِ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (وبشري) في محل الرفع؛ أي: هذا كتاب مصدق وبشري.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٣).

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على العمل بموجب الإقرار بالتوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يحل بالكفرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على أمر ما.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٤).

[١٤] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٤).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ
 وَفَصَلُّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
 أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ
 لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ألزمناه^(١)، والمراد: النوع، فهي وصية من الله في عباده ﴿بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أي: ليفعل ذا حسن. قرأ الكوفيون: (إِحْسَانًا) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها، وكذلك هو في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون: بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا ألف، وكذلك هو في مصاحفهم^(٢).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ على مشقة حين تتوقع حوادثه ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: كارهة، والمراد: شدة الطلق. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (كُرْهًا) بضم الكاف، والباقون: بالنصب فيهما، وهما لغتان^(٣)، وقد عدد تعالى على الأبناء منن الأمهات، وذكر الأم في هذه الآيات في أربع مراتب، والأب في واحدة، جمعها الذكر في قوله: ﴿لَهُمْ

(١) «ألزمناه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٥-١٦٦).

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿﴾ ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه
 بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأم ثلاثة أرباع
 البر، والربع للأب، وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله! من أبر؟ قال:
 «أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم
 أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أبك»^(١).

﴿وَحَمْلُهُ﴾ أي: مدة حملة ﴿وَفِصْلُهُ﴾ عن الرضاع، والمراد: فطامه.
 قرأ يعقوب: (وَفِصْلُهُ) بفتح الفاء وإسكان الصاد من غير ألف، وقرأ
 الباقر: بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها^(٢).

﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يريد: أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة
 الرضاع أربعة وعشرون شهراً.

وعن ابن عباس قال: «إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعت إحدى
 وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر، أرضعت أربعة وعشرين
 شهراً»^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦)، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة،
 ومسلم (٢٥٤٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنها أحق
 به، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١٣٦/٤ - ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
 الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧).

واففق الأئمة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة: سنتان، والمشهور عن مالك: خمس سنين، وروي عنه: أربع، وسبع، وعند الشافعي وأحمد: أربع سنين، وغالبها: تسعة أشهر، وتقدم نظير ذلك في سورة الرعد.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، وأكثره أربعون سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - [وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمّه أم الخير بنتِ صخر بن عمر^(١)].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [٢]: الآية في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده^(٣)، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة، ونبئ النبي ﷺ، آمن به، ثم دعا ربه، و﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني. قرأ ورش عن نافع، والبزي عن ابن كثير: (أَوْزِعْنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٩٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/١٩٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/١٩٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦-٥٩٧)، و«التيسير» للداني

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾ بها، وهي التوحيد.

﴿ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلَاحًا تَرْضَاهُ ﴾ قال ابن عباس: «هي الصلوات الخمس»،
وقيل: أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله تعالى.

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ اجعل الصلاح راسخاً فيهم.

﴿ إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عما لا ترضاه ﴿ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المخلصين لك،
فأجابه - الله عز وجل -، فأعتق تسعة من المؤمنين يُعذبون في الله، ولم
يُرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا، فاجتمع
له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه
أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر^(١)، وابن عبد الرحمن هو محمد
يكنى: أبا عتيق، كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من
الصحابة.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ يعني: طاعاتهم.

﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ فلا يعاقبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف،

= (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم
القراءات القرآنية» (١٦٦/٦).

(١) «بن أبي بكر» زيادة من «ت».

وحفص عن عاصم: (نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ) (وَنَتَجَاوَزُ) بنون مفتوحة فيهما، وهي النون التي للعظمة (أَحْسَنَ) بالنصب، **وَقَرَأَ** الباقون (يُتَقَبَّلُ) (وَيُتَجَاوَزُ) بالياء مضمومة فيهما على بناء الفعل للمفعول (أَحْسَنُ) بالرفع^(١).

﴿ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمة الله .

﴿ وَعَدَّ الصَّدَقِ ﴾ نصب على المصدر المؤكد لما قبله؛ فإن يتقبل

ويتجاوز وعد .

﴿ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهٗ أُفٍّ لَّكُمْ أَتَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْثِبَانِ اللَّهَ وَيَلُكَّ ءِامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٧) .

[١٧] ونزل في كافر عاقٍ لوالديه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهٗ ﴾ إذ دعواه للإيمان بالله، والإقرار بالبعث: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ وهي كلمة كراهية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفٍّ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)،

و«تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)،

و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/١٦٨).

﴿ أَعْدَانِي ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: بنون واحدة مشددة، وقرأ
الباقون: بنونين مكسورتين، وفتح ياء الإضافة: نافع، وأبو جعفر، وابن
كثير، وأسكنها: الباقون^(١).

﴿ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ من قبري بعد الموت.

﴿ وَقَدْ خَلَّتْ ﴾ مضت ﴿ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ فلم يُبعث منهم أحد.

﴿ وَهُمَا يَسْتَعِيشَانِ ﴾ يستصرخان ﴿ اللَّهُ ﴾ عليه، ويقولان له:

﴿ وَيَلِكْ ءَامِنْ ﴾ بالبعث، وهو دعاء عليه بالويل، والمراد به: الحث على

الإيمان.

﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا ﴾ القول.

﴿ إِلَّا أَصْطِيرُ ﴾ أباطيل^(٢) ﴿ الْأُولَيْنِ ﴾ التي كتبوها.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴾ [١٨].

[١٨] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ ﴾ أي: وجب ﴿ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ منه تعالى

بتعذيبهم.

﴿ فِي أَمْرٍ ﴾ أي: مع أمم ﴿ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧-٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص:
١٩٩-٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٣ و ٢/٣٧٣)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٦٨-١٦٩).

(٢) «أباطيل» زيادة من «ت».

خَسِرِينَ ﴿﴾ وزعم بعضهم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه^(١)، وأنكرته عائشة - رضي الله عنها -^(٢)، والصحيح ما تقدم أنها نزلت في رجل كافر، ويدل على فساد قول من زعم أنها في عبد الرحمن بن أبي بكر قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية، أعلم الله سبحانه أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب^(٣)، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه، وصار من أفاضل المسلمين، فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، والله أعلم.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيهم أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ تنوينه عوض من ضمير جنس المؤمن والكافر؛ أي: ولكل الجنسين ﴿دَرَجَتٌ﴾ منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، فدرج أهل

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٣٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/١٦٠). قال الحافظ ابن كثير: هذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن، فقوله ضعيف؛ لأنه أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

(٢) روى البخاري (٤٥٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفٍ لَكُمْ﴾ عن يوسف بن ماهك، وقال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب... فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفٍ لَكُمْ أَتَيْدَانِي﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

(٣) «العذاب» زيادة من «ت».

النار يذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة يذهب علواً.

﴿مَّمَّا عَمِلُوا﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلِيُوقِيَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِنُوقِيَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلف عن هشام^(١) ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا زيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ وهذا العرض هو بالباشرة كما تقول عرضت العود على النار، والجاني على السوط، فيقال لهم:

﴿أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ المعدة لكم في الجنة لو آمنتم؛ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، والكوفيون: (أَدْهَبْتُمْ) بهمزة مفتوحة^(٢) واحدة على الخبر، وقرأ الباقون، وهم: ابن عامر، وابن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)،

و«تفسير البغوي» (٤/١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٠).

(٢) «مفتوحة» ساقطة من «ت».

كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فابن ذكوان عن ابن عامر يحقق الهمزتين على الأصل، وهشام عنه بهمزة ومدة؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة القطع، فجعلت همزة القطع بين الهمزة والألف، والثلاثة يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية، وأبو جعفر على أصله في إدخال ألف بين الهمزة المحققة والمليئة، وكلاهما فصيحان؛ لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أَذَهَبْتَ ففعلتَ كذا، وذهبتَ ففعلتَ كذا^(١).

﴿وَأَسْتَمْنَعُمُ﴾ تمتعتم ﴿بِهَآ﴾ فما بقي لكم منها شيء.

﴿فَالْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ نَفْسُفُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله.

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتهيت يا جابر اشتريت؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذَهَبْتُمْ طِينَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٦/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٠-١٧١).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/٩٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٥٢٤) والحاكم في «المستدرک» (٣٦٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما شبع آل محمد خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ^(١).

﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

[٢١] ثم أمر تعالى نبيه بذكر هود وقومه على جهة المثال لقريش، فقال:

﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هوداً عليه السلام، وهذه الأخوة أخوة القرابة؛ لأن هوداً كان من أشرف القبيلة التي هي عاد.

﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الصحيح من الأقوال: أن بلاد عاد كانت في اليمن، ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع حقف، وهو العجل المستطيل المعوج من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الرياح تصنع ذلك.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ من قبله ومن بعده، المعنى: خوَّف قومه وهم بهذا المكان بقوله:

﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هائل؛ بسبب شرككم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٩٧٠) في أول كتاب: الزهد والرقائق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٢/٦).

﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَآ عَنْ ءَاهِتِنآ فَاِنِنآ بِمَا تَعِدُنآ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَآ ﴾ لتصرفنا ﴿ عَنْ ﴾ عبادة .

﴿ ءَاهِتِنآ فَاِنِنآ بِمَا تَعِدُنآ ﴾ من العذاب .

﴿ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ في وعدك .

﴿ قَالَ اِنَّمَا اَلْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاُبَلِّغُكُمْ مَّا اُرْسِلْتُ بِهِءِ وَلَكِنِّيْ اَرٰنَكُمْ قَوْمًا بَجْهَلُوْنَ ﴾ (٢٣) .

[٢٣] ﴿ قَالَ اِنَّمَا اَلْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ ﴾ هو يعلم متى ياتيكم العذاب .

﴿ وَاُبَلِّغُكُمْ مَّا اُرْسِلْتُ بِهِءِ ﴾ من الوحي اليكم^(١) ، ﴿ وَمَا عَلٰى الرَّسُوْلِ اِلَّا الْبَلٰغُ ﴾

[النور: ٥٤] .

﴿ وَلَكِنِّيْ اَرٰنَكُمْ قَوْمًا بَجْهَلُوْنَ ﴾ باستعجالكم العذاب . قرأ أبو عمرو :

﴿ وَاُبَلِّغُكُمْ ﴾ بإسكان الباء وتخفيف اللام ، والباقون : بفتح الباء وتشديد

اللام^(٢) ، قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، والبزي عن ابن كثير :

﴿ وَلَكِنِّيْ ﴾ بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(٣) .

(١) «إليكم» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١١١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢) .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٩٨-٥٩٩) ، و«النشر في القراءات العشر»

لابن الجزري (٢/ ٣٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢) .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا بَلْ هُوَ مَا
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢٤] .

[٢٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَارِضًا ﴾ نصب على الحال؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء؛ لأنهم لما رأوا العذاب ﴿ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ ظنوه سحاباً؛ لأنهم قد حبس عنهم المطر، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها، استبشروا. و ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا ﴾ يأتيها بالمطر، فقال لهم هود: ليس الأمر كما رأيتم.

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ في قولكم: ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدْنَا ﴾ . ثم قال: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فجعلت^(١) الريح تحمل الفسطاط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جرادة.

﴿ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمَجْرِمِينَ ﴾ [٢٥] .

[٢٥] ﴿ تَدْمُرُ ﴾ تهلك ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالهم. ﴿ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ وجلس هود بمؤمنيه في حضيرة لا يصيبهم منها إلا ما يلين أبشارهم، وتلتذ^(٢) بها نفوسهم، وروي أن هذه^(٣) الريح أمالت عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم،

(١) في «ت»: «فجعل».

(٢) في «ت»: «تلتذ».

(٣) في «ت»: «هذا».

واحتملتهم الريح، ورمتهم أجمعين في البحر.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنَهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف:
(يَرَى) بياء مضمومة على الغيب مجهولاً، (مَسَٰكِنُهُمْ) بالرفع فاعل
المجهول، وقرأ الباقون: بالتاء وفتحها على الخطاب معلوماً^(١)؛ أي:
لا ترى يا محمد إلا مساكنهم، ونصب (مَسَٰكِنَهُمْ) مفعولاً صريحاً، وأمال
أبو عمرو والكسائي الراء من (تَرَى)^(٢)، المعنى: هلكوا بأموالهم، وبقيت
مساكنهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

كان ﷺ إذا رأى الريح، فزع، ويقول: «اللهم إني أسألك خيرها وخير
ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به»^(٣).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعَدَّةً
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَدِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٢٦] ثم خاطب تعالى قريشاً على جهة الموعظة، فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ
فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ (ما) موصولة بمعنى الذي، و(إن) نافية بمعنى (ما)

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٤٢)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٦/١٧٣-١٧٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/١٧٣).

(٣) رواه مسلم (٨٩٩)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح
والغيمة والفرح بالمطر، من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

وقعت مكانها؛ ليختلف اللفظ تخفيفاً؛ لئلا يجمع بين كلمتين بلفظ واحد^(١)، المعنى: مكَّنا عاداً في الذي ما مكناكم فيه يا كفار مكة .
﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ فكانت أعمارهم^(٢) طويلة،
وأجسادهم قوية، وأموالهم كثيرة .

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ فما دفع ذلك عنهم شيئاً مما حل بهم من العذاب .
﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ ﴿بِهِمْ﴾ نَزْلٌ ﴿بِهِمْ﴾ جَزَاءٌ ﴿مَا كَانُوا بِهِ﴾ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب، وهذا تهديد للمشركين .

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢٧) .

[٢٧] ثم زادهم تهديداً بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة .

﴿مِّنَ أَهْلِ الْقَرْيِ﴾ كعاد وشمود وقوم لوط .

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ بيَّناها بالإنذار بالعذاب .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم .

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢٨) .

(١) «واحد» زيادة من «ت» .

(٢) «في ت»: «أعمالهم» .

[٢٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ ﴿ فِهَلَا ﴾^(١) ﴿ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾

يعني: الأوثان يتقربون بها إلى الله عز وجل.

﴿ بَلْ صَلَّوْا ﴾ غابوا عند نزول العذاب بهم ﴿ عَنْهُمْ ﴾ ﴿ قرأ الكسائي: (بل صَلَّوْا) بإدغام اللام في الضاد، والباقون: بالإظهار^(٢).

﴿ وَذَلِكَ ﴾ اتخذهم الآلهة واعتقادهم فيها ﴿ إِنْ كُفَّهِمْ ﴾ ﴿ كَذَّبَهُمْ ﴾ ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾^(٣) .

[٢٩] ولما مات أبو طالب، خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فلم يطيعوه، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة عند سوق عكاظ، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، ولَّوْا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا، وأجابوا لما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه، فقال: ﴿ وَإِذْ ﴾^(٣) أي: واذكر إذ ﴿ صَرَفْنَا ﴾ ﴿ أَمَلْنَا ﴾ ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف: (وَإِذْ صَرَفْنَا) بإظهار

(١) «فهلا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٧٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٤١٩) وما بعد.

الذال عند الصاد، والباقون: بالإدغام^(١) ﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين
 اليمن، قال ابن عباس: «هم تسعة: سليط، وشاصر، وماصر، وحسا،
 ومسا، وعليم، والأرقم، والأدرس، وحاصر^(٢)»^(٣).
 ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ منك .

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: استماع القرآن؛ أي: كانوا منه بحيث يسمعون
 ﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا﴾ أصغوا لاستماعه، قالوا:
 صه .

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من تلاوته ﴿وَلَوْ﴾ رجعوا .
 ﴿إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوفين بأمر النبي ﷺ .
 في الحديث: «الجنُّ ثلاثة أصناف: صنفٌ لهم أجنحة يطفرون في
 الهواء، وصنف كلاب وحيات، وصنف يحلُّون ويرتحلون»^(٤).



-
- (١) انظر: «الغيث» للصفاقي (ص: ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي
 (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٦/٦) .
 (٢) انظر: «الروض الأنف» (١/٣٥٤ و ٢/٢٣٥) و«فتح الباري» لابن حجر
 (٨/٦٧٤) .
 (٣) جاء على هامش النسخة «ت»: [أسماء الجن: وفيها، وكذا في عددهم خلاف
 ذكره السهيلي وغيره، ونصيبين بفتح النون -: بلدة بالجزيرة بشمال سنجار وفي
 قرب منها جبل الجودي كما في «تقويم البلدان» وغيره .
 (٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»
 (٢٢/٢١٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٧٠٢)، من حديث أبي ثعلبة الخشني
 رضي الله عنه . قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/٥٣٩): رفعه غريب جداً .

﴿ قَالُوا يَتَقَوَّمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٠).

[٣٠] وكان دينهم اليهودية، فلذلك ﴿ قَالُوا يَتَقَوَّمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا ﴾ هو القرآن ﴿ أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ قال ابن عباس: «إنهم لم يعلموا بعيسى، فلذلك قالوا: من بعد موسى» ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ هي التوراة ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ العمل به.

﴿ يَتَقَوَّمَنَا أٰجِبُوا دَاعِيَ ٱللّٰهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْءَلِيمِ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ يَتَقَوَّمَنَا أٰجِبُوا دَاعِيَ ٱللّٰهِ ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان.

﴿ وَءَامِنُوا بِهِۦ ﴾ الضمير عائد على (الله).

﴿ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم، وقيل: المراد: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى، لا مظالم العباد؛ لأنه تعالى لا يغفرها إلا برضا أربابها.

﴿ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْءَلِيمِ ﴾ هو مُعَدُّ للكفار، فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا لرسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم^(١)، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً^(٢)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢١٧).

(٢) «مبعوثاً» زيادة من «ت».

إلى الإنس والجن جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما جميعاً.

واختلف الأئمة في حكم مؤمني الجن، فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم^(١)، وقال مالك والشافعي وأحمد: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة؛ كالإنس، وهم في حكم بني آدم؛ لأنهم مكلفون مثلهم.

ولم يرسل ﷺ إلى الملائكة، صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان»، وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه، وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النفسي» حكاية الإجماع، قال ابن حامد من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراج الملائكة عن التكليف، والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق، إلا من استثني؛ كإبليس، وهاروت وماروت، على القول بأنهم من الملائكة.

﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ ليس له مهرب .

﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ ﴾ من دون عذابه تعالى ﴿ أَوْلِيَاءٌ ﴾ أنصاراً يمنعونه

من الله .

(١) جاء على هامش «ت»: «وفي شرح عقائد الطحاوي لابن السراج: أن أبا حنيفة - رحمه الله تعالى - توقف في كيفية ثوابهم؛ حيث لم ينص شيء في القرآن».

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ واختلف القراء في الهمزتين من (أُولِيَاءُ أُوْلِيَّكَ)، ولم يرد في القرآن همزتان متفتقتان بالضم في كلمتين إلا في هذا المحل، **فقرأ** أبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى منهما بلا عوض منها، وتحقيق الثانية، **وقرأ** قالون عن نافع، والبزي عن ابن كثير: بتسهيل الأولى بين الهمزة والواو، وتحقيق الثانية، **وقرأ** أبو جعفر، ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، واختلف عن قبل راوي ابن كثير، وورش راوي نافع، فروي عن الأول: جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني: إبدال الهمزة الثانية حرف مد، وروي عنه: تسهيلها بين بين، **وقرأ** الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين (١).

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ﴾ لم يتحير فيه، ولم يعجز عنه ﴿بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ الباء في قوله (بِقَادِرٍ) زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدم نفي في صدر الكلام، حَسُنَ التَّأَكِيدُ بِالْبَاءِ، ولم يكن المنفي ما دخلت هي عليه؛ كما في قولك: ما زيدٌ بقائمٍ، كأنَّ بدل (أَوْلَمْ يَرَوْا): أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ. **قرأ** يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٧-١٧٦/٦).

وإسكان القاف من غير ألف وضم الراء، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها، وخفض الراء منونة^(١). قرر القدرة على إحياء الموتى، وأكده بقوله:

﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كما قرر الربوبية بد(بلى) في قوله^(٢):
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣٤).

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ ويقال^(٣) لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ وذلك تصديق حيث لا ينفع ﴿قَالَ﴾ أي: فيقول لهم المجابوب من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

﴿فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ أي: الجدد والعزم ﴿مِّن الرُّسُلِ﴾

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٤٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢) (٣٥٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٧/٦).

(٣) «في قوله» سقط من «ت».

(٣) في «ت»: «فيقال».

وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فهم مع محمد ﷺ خمسة، ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَأِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وفي قوله: ﴿وَأَشْرَحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، المعنى: اصبر على أذى قريش؛ كصبر الرسل قبلك.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ نزول العذاب؛ فإنه نازل.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ المعنى: إذا عاينوا العذاب، استقصروا من هولته مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ، فظنوها ساعة.

﴿مِنْ نَهَارٍ﴾ لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن.

﴿بَلَّغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه تبليغ من الله إليكم.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن

أمر الله، وفي هذه الألفاظ وعد محض، وإنذار بيِّن، والله أعلم.

* * *



وتسمى: سورة القتال، مدنية بإجماع، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ الآية نزلت بمكة في وقت دخول النبي ﷺ فيها عام الفتح، أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا، فهو معدود في المدني؛ لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها، وآبها: ثمان وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وثلاث مئة وتسعة وأربعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وتسع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [١].

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ ﴿وَصَدُّوا﴾ نفوسهم وغيرهم.

﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: شرع الله وطريقه الذي دعا إليه، وهو الإسلام، وخبر المبتدأ.

﴿أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ أبطلها، فلم يقبلها، وهي ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، والإشارة في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [٢].

[٢] ثم أشار إلى الأنصار أهل المدينة الذين آووه بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مبتدأ أيضاً ﴿ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ يعني: القرآن .
﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وسمي دينُ محمد حقاً؛ لأنه لا يردُّ عليه النسخ،
وخبر المبتدأ.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ سترها بالإيمان .

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ حالهم؛ بتوفيقه .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [٣].

[٣] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الواقع من الضلالة والهدى ﴿ بِأَنَّ ﴾ أي: بسبب أن .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾ الشيطان .

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وهو القرآن .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك الضرب .

﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ أي: يذكر لهؤلاء الناس قصصَ أمثالهم؛

ليتعضوا بهم .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا انْتَحَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْتًا
بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٤].

[٤] ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في المحاربة ﴿ فَضَرْبِ الرِّقَابِ ﴾ مصدر بمعنى
الفاعل؛ أي: فاضربوا الرقاب ضرباً، المعنى: إذا لقيتموهم، فاقتلوهم،
وعين من أنواع القتل أشهره وأعرفه، فذكره.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا انْتَحَمُوهُمْ ﴾ أكثرتم فيهم القتل، وأوهنتموهم به .
﴿ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾ أي: فأسروهم، واحتفظوا بهم حتى لا يُفلتوا منكم،
ولما قوي الإسلام، نزل:

﴿ فَإِمَّا مَأْتًا بَعْدَ ﴾ أي: تمنون عليهم مناً بإطلاقهم بعد أسرهم .
﴿ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ أي: تفادوهم فداء؛ أي: أنتم مخيرون في ذلك .
﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ ﴾ أي: أصحابها .
﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ سلاحها، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر: ما يحمله
الإنسان .

واختلفوا في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿ فَإِمَّا تَثَقَفَتِمْ
فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وبقوله: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، وهو قول أبي حنيفة، وذهب آخرون إلى أنها
محكمة، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر
بين أن يقتلهم، أو يسترقهم، أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض، أو يفاديهم
بالمال، أو بأسارى المسلمين، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد؛ لأنه

عمل به رسول الله ﷺ، والخلفاء بعده، ومعنى الآية: أثنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل^(١) كلها في الإسلام، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ [الأَنْفَال: ٣٩]، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ منذُ بعثني اللهُ إلى أن يُقاتلَ آخرُ أمتي الدجال»^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم بغير قتال.
﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم بالقتال ﴿لِيَبْلُؤُوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ ليختبر المؤمنين بالكافرين؛ بأن يجاهدوهم، فيستوجبوا^(٣) الثواب، والكافرين بالمؤمنين؛ بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم؛ ليرتدع بعضهم عن الكفر.
﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما؛ يعني: الشهداء، وقرأ الباقون: بفتح القاف والتاء وألف بينهما^(٤)؛ يعني: المجاهدين.

-
- (١) في «ت»: «الملك».
(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) في «ت»: «فيستجيبوا».
(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٨٤).

﴿ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ روي أنها نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل .

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِهِمُ ﴾ .

[٥] ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات .

﴿ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِهِمُ ﴾ يرضي خصماءهم، ويقبل أعمالهم .

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ ﴾ .

[٦] ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ ﴾ أي: عرفهم منازلهم فيها .

﴿ يَتَأَيُّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

[٧] ﴿ يَتَأَيُّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ ﴾ أي: دينه .

﴿ يَنْصُرْكُمْ ﴾ على أعدائكم .

﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ عند القتال .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

[٨] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مبتدأ، خبره محذوف؛ أي: تعسوا، يدل عليه:

﴿ فَتَعَسَّأَهُمْ ﴾ أي: عثاراً وسقوطاً، ودخلت الفاء للجزاء، وتعطف على

تعسوا المحذوف .

﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أبطلها .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ ذَلِكَ ﴾ التعسُّ والإضلالُ .

﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ من القرآن وأحكامه .

﴿ فَأَحْبَطَ ﴾ أبطل ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ثم خَوْفُ الكفار فقال : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أهلكتهم وأموالهم وأولادهم .

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ أمثالُ عاقبة المدمَّرِ عليهم إن لم يؤمنوا، توعدُ لمشركي مكة .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكورُ من نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى

الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وليهم وناصرهم ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ يُنجيهم ، والمراد : ولاية النصره ، لا ولاية العبودية ؛ فإن الخلق كلهم عباده تعالى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [١٢].

[١٢] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ ﴾ ليس لهم همة إلا
بطونهم وفروجهم، ولا يفكرون في مآلهم ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ أي: موضع
إقامتهم.

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ
لَهُمْ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ ﴾ أهل^(١) ﴿ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ﴾ أي:
أخرجك أهلها، المعنى: كم رجال هم أشدُّ من أهل مكة.
﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ من إهلاكنا. وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ)
في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ قال ابن
عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال:
«أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليّ، ولو أن المشركين لم
يخرجوني، لم أخرج منك»، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

(١) «أهل» زيادة من «ت».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٦٨)، والإمام أحمد في «المسند»
(٣٠٥/٤)، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، ورواه الإمام أحمد في «المسند»
(٣٠٥/٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ يقين من دينه، وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر (مَنْ):

﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ المعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرَابِ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ أي: صفتها. ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ قرأ ابن كثير: (أَسِنٍ) بقصر الهمزة، والباقون: بمدها^(١)؛ أي: غير متغير الطعم والرائحة. ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ ﴾ كلبن الدنيا.

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرَابِ ﴾ لم تدسها الأرجل، ولم تدسها الأيدي؛ لأن خمر الدنيا كريهة الطعم عند التناول، وشربها يبعد من الله تعالى؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٨٧).

بخلاف خمر الجنة. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة بخلاف عنه .

﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ لا شمع فيه ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ مع كل (١) ذلك .
﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أصناف ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ عطف على الصنف المحذوف؛
أي : ونعيم أعطته المغفرة وسببته ، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة .
﴿ كَمَنْ ﴾ أي : أمثال أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن .
﴿ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾ شديد الحر يُسقط فروة الوجه عند الشرب .
﴿ فَفَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ما في بطونهم من الحوايا ؛ من فرط الحرارة ، فخرجت
من أديبارهم .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا
قَالَ أَنْفَاءً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿١٦﴾ .
[١٦] ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي : المنافقين ﴿ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ولا يعون كلامك .
﴿ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ من الصحابة ؛ استهزاءً
وسخرية .

﴿ مَاذَا قَالَ ﴾ محمد ﴿ أَنْفَاءً ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه : (أَنْفَاءً)
بقصر الهمزة ، والباقون : بمدها (٢) ؛ يعني : الآن ، ونصبه ظرف ؛ أي : وقتاً
مؤتلفاً ، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ، ويعيب المنافقين ، فإذا خرجوا من

(١) «كل» ساقطة من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٠) ،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٨٨) .

المسجد، سألوا عبد الله بن مسعود: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ أي: ما معناه؟ وما نفعه؟ قال ابن عباس: «وقد سُئِلتَ فيمن سُئِلَ»^(١).
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالنفاق ﴿وَأَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الكفر، فلا يؤمنون.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْهُمْ نَفْسُهُمْ﴾^(١٧).
 [١٧] ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وهم المسلمون ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ علماً وبصيرة.
 ﴿وَوَسَّعَتْهُمْ﴾ تعالى ﴿نَفْسُهُمْ﴾ أي: جعلهم متقين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ط فَإِذَا جَاءَهُمْ ذُكْرُهُمْ﴾^(١٨).
 [١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ وتبدل من (الساعة) بدل اشتغال ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، وبعثه ﷺ من أشراطها، ومن أشراطها: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل والربا وشرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد^(٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٧٠٥).
 (٢) رواه البخاري (٨٠)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم (٢٦٧١)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ﷺ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ، فانتظروا الساعة»، فقيل: كيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فانتظرِ الساعة»^(١).

واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) كاختلافهم فيهما من قوله^(٢): (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ فمن أين لهم التذكر والاعتاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ لا ينفعهم ثم، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾^(١٩).

[١٩] ﴿ فَأَعْلَمَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي: دُم موحداً.

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ ﴾ ليستن بك غيرك.

﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ لتغفر ذنوبهم.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴾ منصرفكم في الدنيا.

﴿ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار.

(١) رواه البخاري (٥٩)، كتاب: العلم، باب: من سئل وهو مشغل في حديثه، فأتى

الحديث ثم أجاب السائل، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) «قوله» ساقطة من «ت».

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فِإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ حرصاً على طلب الجهاد: ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاً .

﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها ذكرُ الجهاد .

﴿ فِإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ مثبته غير منسوخة الأحكام من الجهاد وغيره .

﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أي : الأمر به .

﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ أي : شك ، وهم المنافقون .

﴿ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ﴾ أي : نظراً مثل ﴿ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ إذا نزل به ، وعاین الملائكة ؛ بغضاً لك ، وخوفاً منك ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ وعيد بمعنى : فويل ؛ أي : قَرَّبَ منهم ما يكرهون .

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فِإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ استثناء ، والخبر محذوف ؛ أي : هما خير

لهم ، والقول المعروف : هو الأمر المرضي .

﴿ فِإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ ﴾ أي : جَدَّ ولزِمَ فرض القتال ، وجواب (إذا) محذوف ؛

أي : كذبوا .

﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة إذا جد أصحاب أمر القتال .

﴿ لَكَانَ ﴾ الصدق ﴿ حَيْرًا لَهُمْ ﴾ من الكراهة والكذب .

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [٢٢] .

[٢٢] ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب لضرب من الإرهاب، فقال :
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ أي : فلعلكم ﴿ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أمر هذه الأمة، وقيل : معناه : إن أعرضتم عن الحق .

﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي، والافتراق بعد الاجتماع على الإسلام .

﴿ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ بالقتل والعقوق ووأد البنات، المعنى : فهل يتوقع منكم إلا الإفساد وتقطيع الأرحام؟ قال البغوي^(١) : نزلت في بني أمية وبني هاشم . قرأ نافع : (عَسَيْتُمْ) بكسر السين، والباقون : بفتحها^(٢) ، وقرأ رويس عن يعقوب : (تَوَلَّيْتُمْ) بضم التاء والواو وكسر اللام، والباقون : بفتحهن^(٣) ، وقرأ يعقوب : (تَقَطَّعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء

(١) في «تفسيره» (١٦٠/٤) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٨١) ، و«الكشف» لمكي (٣٠٣/١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٢/٦) .

(٣) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٤/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٢/٦) .

مخففة، [والباقون: بفتحهن، وقرأ يعقوب: (تَقَطَّعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة]^(١)، و**الباقون**: بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة^(٢).

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ** ﴾^(٢٣).

[٢٣] ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾ المفسدون ﴿ **الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** ﴾ لإفسادهم.

﴿ **فَأَصَمَّهُمْ** ﴾ عن استماع الحق ﴿ **وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ** ﴾ أي: بصائرهم عن طريق الهداية.

﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ فيعرفون الحق، والتدبر: النظر إلى ما يؤول إليه الكلام، فلما لم يتدبروا، أضرب عنهم، فقال: ﴿ **أَمْ** ﴾ أي: بل ﴿ **عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ المعنى: قلوبهم مقفلة، فلا يتدبرون، ولا يعون، ونكرت القلوب إرادة بعض القلوب^(٣)، وهي قلوب المنافقين وأعداء الدين.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٢-١٩٣).

(٣) «إرادة بعض القلوب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ونزل في اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾ ^(١) أي: رجعوا إلى الكفر.

﴿ مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ في التوراة، وهو أن محمداً حق ﴿ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ مبتدأ، خبره
﴿ سَوَّلَ ﴾ ﴿ زَيَّنَ ﴾ ﴿ لَهُمْ ﴾ أعمالهم ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب:
﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ بضم الهمزة وكسر اللام، فأبو عمرو يفتح الياء على ما لم يسم
فاعله، ويعقوب يسكنها على وجه الخبر من الله سبحانه عن نفسه أنه يفعل
ذلك، وقرأ الباقر: بفتح الهمزة واللام، وقلب الياء ألفاً^(٢)؛ أي: أطال
الشیطان لهم المدة، ومد لهم في الأمل.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي
بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الإضلال ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧٩/٢٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١١٩/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦٠-١٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٤-١٩٥).

وهم المشركون: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ التعاون على عداوة محمد ﷺ، وتثييط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً، فأظهره تعالى بقوله:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِسْرَارُهُمْ) بكسر الهمزة مصدر أَسْرَرَّ، وقرأ الباقون: بفتحها، جمع سِرٍّ^(١).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ﴾.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون.

﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع الحديد.

قال ابن عباس: «لا يُتَوَفَّى أَحَدٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ، إِلَّا تَضْرِبُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ وَدُبْرَهُ»^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٥/٦).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٣٢٩).

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿ ذَلِكِ ﴾ التوفي ﴿ يَأْتَهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ ﴾ من كتمان نعته عليه السلام ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ أي: أبغضوا العمل بما يرضيه . قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانَهُ) بضم الراء، والباقون: بكسرها^(١) .
﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أبطلها لذلك .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أظنَّ المنافقون .

﴿ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ يعرفوا نفاقهم .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ ﴾ أي: لو أردنا، لدللتناك على المنافقين .

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ ﴾ بعلامتهم .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٥) .

قال ابن عباس^(١): قال أنس: ما أخفيَ على النبي ﷺ شيء من أمر المنافقين بعد نزول هذه الآية^(٢).

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فحواه، المعنى: أنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمور المسلمين، فكان لا يتكلم عنده ﷺ منافق إلا عرفه، والأكابر يعرفون صدق المرید من كذبه بسؤاله وكلامه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيجازيكم بها.

﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوْنَا أَخْبَارَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ﴾ لنعاملنكم معاملة المختبرين؛ بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ والمراد: علم الظهور؛ أي: نبلوكم حتى يظهر ما نخبر به عنكم من أفعالكم؛ من جهاد وصبر وغيرهما ﴿وَنَبَلُوْنَا أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها بسبب طاعتكم وعصيانكم^(٣). قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى يَعْلَمَ)، (وَيَبْلُوْنَا) بالياء في الثلاثة؛ لقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)، وقرأهن الباقر: بالنون، لقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ

(١) قوله: «ابن عباس» سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٥٢/١٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (١٦١/٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٣٣٠/٤).

(٣) في «ت»: «إبائكم».

لَأَرْيَنَاكَهُمْ^(١)، وقرأ رويس عن يعقوب: (وَنَبُلُو) بإسكان الواو؛ أي: ونحن نبلو، وقرأ الباقون: بفتحها رداً على قوله: (حَتَّى نَعْلَمَ)^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾^(٣٢).

[٣٢] ونزل فيمن عصى الله وكره الإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ هم قريظة والنضير.

﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بكفرهم وبصدِّهم.

﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ يبطلها، فلا يرون لها ثواباً.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَلَكُمْ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾
بالمعاصي والكفر.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦٢)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٦/١٩٥-١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٦).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [٣٤].

[٣٤] ونزل في أصحاب القليب ومن جرى مجراهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمتهن على كفره سائر ذنوبه.

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ لا تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ أي: لا تدعوا إلى الصلح ابتداءً إذا لقيتم الكفار. قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (السُّلْم) بكسر السين، والباقون: بفتحها^(١)، وهما لغتان بمعنى.

﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ الغالبون ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بالعون والنصرة.

﴿ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ ﴾ ينقصكم ﴿ أَعْمَالَكُمْ ﴾ أي: ثواب أعمالكم.

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ [٣٦].

[٣٦] ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ ﴾ باطل وغرور، لا ثبات لها، فلا

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٥).

تهنوا في الجهاد بسببها ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الفواحش .

﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾
جميعها، بل الزكاة المفروضة، وهي ربع العشر، فطَيَّبُوا أَنْفُسَكُمْ .

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَفْنَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يُلِحَّ عليكم ﴿تَبَخَّلُوا﴾ بها
﴿وَيُخْرِجْ﴾ البخل ﴿أَضْعَفْنَكُمْ﴾ أحقادكم ومعتقداتكم السوء . قرأ يعقوب :
(وَنُخْرِجْ) بالنون، والباقون : بالياء^(١) .

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ
وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾ .

[٣٨] ﴿هَأَنْتُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع : بتسهيل الهمزة
بين بين، وقرأ الكوفيون، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب : بتحقيق الهمزة
بعد الألف، وروي عن ورش : (هَأَنْتُمْ) مداً بلا همزة، وعنه وجه ثان
(هَأَنْتُمْ) بهمزة مقصورة بين الهاء والنون؛ مثل : سَأَلْتُمْ، وروي عن قبل :
كالوجه الثاني عن ورش، أصلها أَأَنْتُمْ، قلبت الهمزة الأولى هاء؛ كقولهم
هَرَقْتُ، وَأَرَقْتُ^(٢) .

(١) انظر : «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص : ١٤١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٢ و ٦٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» =

﴿هَتُوْلَاءٍ﴾ أصله: أولاء، دخلت عليه هاء التنبيه، وهو في موضع النداء، يعني: أنتم يا هؤلاء المخاطبون، ثم استأنف فقال: .
﴿تُدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم .
﴿فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ﴾ بالزكاة المفروضة، و﴿يَبْخُلُ﴾ رفع؛ لأن (مَنْ) هذه ليست بشرط؛ لاستثناك ﴿وَمَنْ يَبْخُلُ﴾ بالصدقة والمفروض، و﴿يَبْخُلُ﴾ جزم؛ لأن (مَنْ) هذه شرط، جوابه ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ﴾ رفع أيضاً.
﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: عليها، المعنى: جزاءُ بخله مختص به .
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عنكم وعن صدقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم، وهم الأنصار.
﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ في البخل والتولي ونحوهما، بل يكونوا خيراً منكم، وأطوع لله، والله أعلم .

= لابن الجزري (١/٤٠٠-٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٩٨).



مدنية، نزلت على النبي ﷺ منصرفه من الحديبية^(١)، وهي بهذا في حكم المدني، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [١].

[١] ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ الأكثرون على أنه صلح الحديبية^(٢)، ونزلت السورة مؤانسة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم، ومن تلك^(٣) المهادنة التي هادتهم النبي ﷺ، فنزلت السورة مؤانسة لهم في صدهم عن البيت، ومذهبة ما كان في قلوبهم.

وملخص القصة: أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة معتمراً، لا يريد حرباً، وساق الهدى، وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المزار مهبط الحديبية أسفل مكة، والحديبية بئر،

(١) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري (٣٩٣٩)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، عن أنس.

(٣) «تلك» زيادة من «ت».

ووقع من معجزاته ﷺ آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه سهمه، وثاب الماء حتى كفى الجيش .

وتأهبت قريش للقتال، وبعثوا رسولهم إلى النبي ﷺ، فبعث إليهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يعلمهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم، أمسكوه وحسوه، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد، حتى قال سلمة بن الأكوع وغيره: «بايعنا رسول الله ﷺ على الموت»^(١)، ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل، ثم وقع الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش؛ فإنهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح، فأجاب النبي ﷺ، ثم دعا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أفاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال لعلي: امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: فأرنيه، فأراه إياه^(٢)، فمحاها النبي ﷺ، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠)، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (١٨٦٠)، كتاب: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

(٢) «إياه» زيادة من «ت» .

وعهدهم دخل فيه»، وأشهدوا في الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين، ثم نحر رسول الله ﷺ هديه، وحلق رأسه، وفعل الناس كذلك^(١)، ثم عاد إلى المدينة، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح. ودخل في^(٢) هذه السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر، فكان هذا الفتح الأعظم، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المسلمين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت^(٣) ملحمة عظيمة بين الروم وفارس، ظهرت فيها الروم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسر بها المؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وانحصار الشوكة العظمى من الكفرة، والفتح: الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً.

﴿ فَتَحْنَا مَبِيدًا ﴾ أي: قضينا لك قضاء بيئناً.

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾.

[٢] ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ هي لام (كي)؛ لكنها تخالفها في المعنى. قرأ

(١) رواه مطولاً البخاري (٢٥٨١)، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، من حديث المسور بن مخرمة، ومسلم (١٧٨٤)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «في» ساقطة من «ت».

(٣) «الوقت» زيادة من «ت».

أبو عمرو: (لِيَغْفِرَ لَكَ) بإدغام الراء في اللام^(١)، والمراد هنا: أن الله فتح لك؛ لكي يجعل ذلك أمانة وعلامة لغفرانه لك؛ فكأنها لام صيرورة، ولهذا قال ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبُّ إليّ من الدنيا»^(٢).

﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك.

﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك، وقيل: مقصد الآية: أنك مغفور

لك، غير مؤاخذ بذنب أن لو كان.

﴿ وَيُنَزِّلُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بإظهارك وتعليتك على عدوك، والرضوان في الآخرة.

﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي: إلى صراط؛ أي: يثبتك على الدين،

فجمع الله لنبية ﷺ في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة، وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاص، والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة بلاغ^(٣) الدرجة الكاملة، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة.

﴿ وَيُنْصِرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾.

[٣] ﴿ وَيُنْصِرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ وهو الذي معه غلبة العدو، والظهور عليه،

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠١/٦).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «إبلاغ».

والنصر غير العزيز: هو الذي مضمّنه الحماية ودفع العدو فقط .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

[٤] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو تسكينها لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنوا وعلموا أن وعد الله على لسان رسول الله ﷺ حق .

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ يقيناً ﴿ مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ الأول ، ويكثر تصديقهم .

قال ابن عباس : بعث ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه ، زادهم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الجهاد^(١) .
واختلف الأئمة في زيادة الإيمان ونقصانه ، فقال أبو حنيفة : لا يزيد ولا ينقص ، ولا استثناء فيه ، وقال الثلاثة : يزيد وينقص ، ويجوز الاستثناء فيه .

﴿ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم ، لفعل .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه ، وقوله : (وَكَانَ) ؛ أي :

كان ويكون ، فهي دالة على الوجود بهذه الصفة ، لا معينة وقتاً ماضياً .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٠٣) . وانظر : «تفسير البغوي» (٤/١٦٨) ، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢٦٤) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/٥١٤) .

﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

[٥] روي أنه لما أنزلت: ﴿ وَمَا آدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩]، تكلم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس معه؟ فبين الله في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾، فلما سمعها المؤمنون، قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزل: ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ . قال أهل المعاني: وإنما كررت اللام في قوله: (لِيَدْخُلَ) بتأويل تكرير الكلام، مجازه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إنا فتحنا لك؛ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار^(١).

﴿ وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ يسترها ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ الإدخال والتكفير.

﴿ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرر.

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ﴾
بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ .

[٦] روي أن النبي ﷺ أتى بجماعة، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزل:

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ﴾ بِاللَّهِ ظَنُّ
السَّوْءِ ﴿٦﴾ أن الله لا ينصر محمداً ﷺ .

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤٣/٩).

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بالعذاب والهلاك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين، وقرأ الباقون: بفتحها كالحرف الأول^(١)، وهما لغتان، غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، والمضموم جرى مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السُّوء، وأراد به الخير، وسَمِيَ المصيبة التي دعا بها عليهم: (دَائِرَةُ) من حيث يقال في الزمان: إنه يستدير، ألا ترى أن السنة والشهر كأنها مستديرات، تذهب على ترتيب، وتجيء من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النبي ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَقَ اللهُ^(٢) السمواتِ والأرضَ»^(٣)، ويحسُن أن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث إنها تدير: تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدائرة على السواء من النقطة.

﴿وَعَصَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم من رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٧).

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ﴾ الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ الغزاة في سبيل الله.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠١).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

(٣) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، من حديث أبي بكر - رضي الله عنه -.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا ﴾ على أمتك يوم القيامة .

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ بالجنة مَنْ عمل خيراً من أهل الإيمان .

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ منذراً أعداء الله بالنار، ومن عمل سوءاً .

﴿ لَتَتَّوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِرُوا وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ لَتَتَّوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا ﴾ يُعَوِّوهُ وينصروه ﴿ وَتُوقِرُوا ﴾

يعظموه ويفخّموه، والهاء في (يُعَزَّزُوا وَيُوقِرُوا) للنبي ﷺ، وهاهنا وقف،
والهاء في ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لله - عز وجل - أي: يصلوا له .

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ بالغداة والعشي . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو:

(لَيُؤَمِّنُوا) (وَيُعَزَّزُوا وَيُوقِرُوا وَيُسَبِّحُوهُ) بالغيب في الأربعة على استمرار

الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب للناس^(١)، على معنى: قل لهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ

فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

عَظِيمًا ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ يا محمد بيعة الرضوان بالحديبية على الأ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)،

و«تفسير البغوي» (٤/١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٢-٢٠٣) .

يفروا، وخبر (إِنَّ) ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حوله وقوته فوق حولهم وقوتهم؛ أي: في نصرك ونصرهم، وهذا تعديد نعمة عليهم مستقبلة مخبر بها.

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ﴾ فإنما يرجع وبال نقضه.

﴿عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ ثبت على البيعة. قرأ حفص عن عاصم: (عَلَيْهِ اللَّهُ) بضم الهاء، حذفت الواو لسكونها، وبقيت الضمة تدل عليها، وقرأ الباقون: بكسر الهاء، أبدلوا من الضمة كسرة^(١)، يقال: أوفى بالعهد، ووفى به: إذا لم ينقضه.

﴿فَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة فما فوقها. قرأ أبو عمرو، والكوفيون، ورويس عن يعقوب: (فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء؛ أي: فسَيُؤْتِيهِ اللَّهُ، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة^(٢).

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

[١١] ولما سار ﷺ إلى مكة عام الحديبية، طلب ناساً من الأعراب

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٤).

ليرتحلوا معه، فتخلفوا عنه جنباً، واعتلوا بالأموال والأولاد، فنزل: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴿ عَنكَ ﴿ مِّنَ الْأَعْرَابِ ﴿ إِذَا رَجَعْتَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ . ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ﴿ الله ليغفر لنا تخلفنا عنك، فكذبهم الله في اعتذارهم، فقال: ﴿ يَقُولُونَ ﴿ يُظْهِرُونَ . ﴿ بِاللَّيْسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لأنهم لا يبالون باستغفارك .

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ ﴿ سوءاً ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر ولا جلب نفع إلا هو تعالى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ضراً) بضم الضاد، والباقون: بفتحها^(١)، وهما لغتان، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه إن أراد شيئاً من ذلك، لم يقدر أحد على دفعه ﴿ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه .

﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ﴿ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ﴿

[١٢] ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ لظنكم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون. قرأ الكسائي، وهشام: (بل ظننتم) بإدغام اللام في الظاء، والباقون: بالإظهار^(٢) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٥).

﴿ وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فتمكن فيها ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّتِ السَّوَّةَ ﴾ وهو سائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ هلكى جمع بائر؛ أي: لا تصلحون لشيء من الخير.

﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ وهي النار المؤججة، ونكر^(١) (سَعِيرًا)؛ للتهويل.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يدبره بقدرته وحكمته .
﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ رحمته سابقة لغضبه؛ حيث يكفر السيئات باجتناّب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة.

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥).

[١٥] ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ عن الحديدية .

﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ ﴾ أي: غنائم خيبر .

(١) في «ت»: «وتنكير» .

﴿لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوءًا نَتَبَعَكُمُ﴾ لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً من غنائم أهل مكة؛ لأنهم انصرفوا منها على صلح، ولم يصيبوا منها^(١) شيئاً، قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَلِمَ اللَّهِ) بكسر اللام من غير ألف، جمع كلمة، وقرأ الباقون: بفتح اللام وألف بعدها^(٢)، والمعنى فيه متقارب، ومعناه: يريدون أن يغيروا وعده لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كقولي لكم ﴿قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل عودنا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ فلذلك قلت هذا القول.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم المؤمنون.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية، وكرر ذكرهم بهذا الاسم

(١) في «ت»: «منهم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٦).

مبالغةً في الدم، وإشعاراً بشناعة التخلف؛ أي: قل لهم إن كنتم تريدون الغزو:

﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَيْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم فارس والروم، أو هم بنو حنيفة والمرتدون، قال منذر بن سعيد: يتركب على هذا القول أن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -؛ لأن أبا بكر قاتل أهل الردة، وعمر قاتل فارس والروم^(١).

﴿نُقِنِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين لا غير، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم، أو يعطي الجزية.

وعن رافع بن خديج قال: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا^(٢).

﴿فَإِنْ تَطِيعُوا بُرُوتَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تعرّضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عام الحديبية. ﴿يَعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النار.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٧٢/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٢/١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١٩/١٩) عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» (١٧٢/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٣/١٦).

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟
فأنزل الله عز وجل ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ﴾ في التخلف عن الجهاد .
﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ هذا عذر لهم في تخلفهم
عن الحديبية .

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) (نُعَذِّبْهُ) بالنون فيهما
للعظمة، والباقون: بالياء فيهما؛ لقوله: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ) (١) .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ﴿١٨﴾ .
[١٨] ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ كانوا ألفاً وثلاث مئة، وقيل
غير ذلك .

﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ وكانت سَمُرَةً ﴿ فَعَلِمَ ﴾ الله ﴿ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٧) .

من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ﴾ جازاهم ﴿فَتَحًّا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافه من مكة .

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٩] .

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من أموال اليهود، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فقسمها رسول الله بينهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالباً ﴿حَكِيمًا﴾ مراعيًا مقتضى الحكمة .

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [٢٠] .

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ أي : مغانم خيبر .

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ هم قبائل من أسد وغطفان هموا أن يغيروا على عيال المسلمين وذرايرهم بالمدينة في غيبتهم في غزوة خيبر، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم .

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدقك .

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتكم على الإسلام .

ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع من الهجرة إلى خيبر، وهي على ثماني بُرْد من المدينة، فأشرف عليها، وقال لأصحابه: «قفوا،

ثم قال: اللهم ربّ السمواتِ وما أظللنَّ، وربّ الأَرْضِينَ وما أقلنَّ، وربّ الشياطينِ وما أضللنَّ، وربّ الرياحِ وما ذرّينَ، نسألكَ خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلها، ونعوذُ بك من شرّها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا باسمِ الله، ونزل عليها ليلاً، وكان إذا غزا لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً، أغار عليهم، فلما أصبحوا، خرجوا إلى عملهم بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوه عادوا وقالوا: محمدٌ والخميس، يعنون: الجيش، فقال النبي ﷺ: «الله أكبرُ خربتُ خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذرين»، ثم حاصرهم وضيق عليهم، فخرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمتُ خيرٌ أني مَرَحِبٌ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبٌ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلتُ تلتهبُ
فبرز إليه عامر وقال:

قد علمتُ خيرٌ أني عامرٌ شاكي السلاح بطلٌ مغامرٌ
فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، فمات رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «له أجره مرتين»، وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما أصبحوا، جاء علي، فتفل النبي ﷺ في عينيه، فما^(١) اشتكى رمداً بعدها، فلما مات عامر، برز علي لمرحب بعد أن أعطاه رسول الله ﷺ الراية، وقال رضي الله عنه:

(١) في «ت»: «فلما».

أنا الذي سمتني أمِّي حَيْدَرَهُ أَكَيْلُهُم بالسيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ
ليثٌ بغاباتٍ شديدٍ القسوره

واختلف بينهما ضربتان، فسبقه علي - رضي الله عنه - وضرب رأسه
فقتله، فسقط عدو الله ميتاً^(١).

وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه، فأخذ
رسول الله ﷺ الأموال، وفتح الحصون، ورجع إلى المدينة، وأصاب سبايا
منهن صفية بنت حيي، فاصطفاها ﷺ لنفسه، وجعل عتقها صداقها، وهو
مذهب الإمام أحمد - رضي الله عنه - مستدلاً بذلك، فإذا قال الرجل لأمته
الغن، أو المُدْبَرَةَ، أو المكاتبَةَ، أو أم ولده، أو المعلق عتقها على صفة:
أعتقتك وجعلت عتقك صداقك، أو جعلت عتق أمي صداقها، أو صداق
أمي عتقها، أو قد أعتقتها^(٢) وجعلت عتقها صداقها، أو أعتقتك على أن
أ تزوجك وعتقك صداقك، صح إن كان متصلاً^(٣) بحضرة شاهدين،
وينعقد النكاح والإعتاق، ويصح جعل صداق من بعضها رقيق عتق ذلك
البعض، وإن طلقها قبل الدخول، رجع عليها بنصف قيمتها، فإن لم تكن
قادرة، أجبرت على الاستسعاء، ولو أعتقها بسؤالها على أن تنكحه، أو
قال: أعتقتك على أن تنكحيني، ورضيت، صح، ثم إن نكحته، وإلا
لزمها قيمة نفسها، وهذا من مفردات مذهب أحمد؛ خلافاً للثلاثة رضي الله
عنهم.

(١) رواه مسلم (١٨٠٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قراد وغيرها. من

حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) «أو قد أعتقتها» زيادة من «ت».

(٣) «متصلاً» زيادة من «ت».

وفي غزوة خيبر أهديت للنبي ﷺ^(١) الشاة المسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها، ثم لفظها، وقال: «تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة»^(٢).

﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾^(٣).

[٢١] ﴿ وَأُخْرَى ﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ يعني: بلاد فارس والروم، وقيل: الإشارة إلى مكة، قال ابن عطية: وهذا هو القوي الذي يتسق معه المعنى ويتأيد^(٣)، وقيل: ومعنى (وَأُخْرَى)؛ أي: مغانم هوازن في غزوة حنين، ومعنى (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا)؛ لما كان فيها من اضطراب المسلمين.

﴿ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ بالقدرة والقهر لأهلها؛ أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أنهم لم يقدرُوا عليها.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

- (١) «أهديت للنبي ﷺ زيادة من «ت».
- (٢) رواه أبو داود (٤٥١٢)، كتاب: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٦٨/١)، و«فتح الباري» لابن حجر (٢٤٥/١٠).
- (٣) انظر: «المحرر الوجيز» (١٣٥/٥).

﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : أسد و غطفان وأهل خيبر .

﴿ لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ﴾ لانهمموا ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا ﴾ يحرسهم .

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه .

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ تغييراً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ بداخلها .

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﴾ أي : أظهركم عليهم ، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مئة إلى الحديبية يطلبون غرّة في عسكر رسول الله ﷺ ، فلما أحسّ بهم المسلمون ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، وسماه سيف الله في جملة من الناس ، فهزمهم حتى أدخلهم مكة ،

وأسر منهم جملة، فسيقوا إلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأطلقهم، فهذا هو أن كف الله أيديهم عن المسلمين بالرعب، وكف أيدي المسلمين عنهم بدخولهم مكة، تلخيصه: حجز بينكم بعد ظفركم بهم.

﴿ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ فيجازيهم. قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على ذكر الكفار وتمردهم، وقرأ الباقون: بالخطاب للكفار^(١).

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ وَصَدُّوكُمْ ﴾ منعوكم ﴿ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ عن دخوله والوصول إليه ﴿ وَالْهَدْيِ ﴾ أي: وصدوا الهدى، وكانت سبعين بدنة ﴿ مَعْكُوفًا ﴾ محبوساً، نصب على الحال. ﴿ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ ﴾ مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في محل النحر للمُحْضَر في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْضِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ﴾ يعني: المستضعفين بمكة.

﴿ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ لم تعرفوهم؛ لاختلاطهم بالمشركين ﴿ أَنْ تَطَّوَّهُمْ ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٨).

بالقتل . قرأ أبو جعفر : (تَطَّوَّهُمْ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون : بالهمز مضموماً^(١) .

﴿ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ ﴾ من جهتهم ﴿ مَعْرَةٌ ﴾ مشقة وإثم ﴿ بَعِيرٌ عَلِيٌّ ﴾ متعلق به (أَنْ تَطَّوَّهُمْ)، أي : تطؤوهم غير عالَمين بهم، وجواب (لَوْلَا) محذوف، تقديره : لأذن لكم في دخولها، ولكنه حال بينكم وبين ذلك .

﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ في دين الإسلام .

﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها .

﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ أي : تميزوا؛ يعني : المؤمنين من الكفار، وجواب (لَوْ تَزَيَّلُوا) :

﴿ لَعَدَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾ بدخولكم مكة ﴿ عَدَابًا أَلِيمًا ﴾ بالسبي والقتل بأيديكم .

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(٢) .

[٢٦] ﴿ إِذْ ﴾ أي : واذكر إذ ﴿ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾

الأنفة حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمد رسول الله، قال أهل مكة : قد قتلوا أبناءنا

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٩) .

وإخواننا، ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه.

﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ التي دخلت قلوبهم. قرأ أبو عمرو، وهشام: (إذ جعل) بإدغام الذال في الجيم، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ أي: الثبات والوقار ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ ﷺ.

﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لم يدخلهم ما دخل المشركين من الحمية، فيعصوا الله في قتالهم.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ هي كلمة الشهادة؛ أي: يثبتهم عليها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ ممن أباهم من المشركين ﴿وَأَهْلَهَا﴾ في علم الله وسابق قضائه لهم، وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن الكفار من قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية، فيروى أنه لما انعقد، أمن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة، وعلت دعوة الإسلام، وانقاد إليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعاف ما كان قبل ذلك، ويقتضي ذلك أن رسول الله ﷺ كان في عام الحديبية في أربع عشرة مئة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بنحو عامين في عشرة آلاف فارس ﷺ.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٩/٦).

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٍ مُّخْلِفينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] روي أن رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه إلى الحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، وظنوا أنه يكون في ذلك العام، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ التي رآها في النوم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق. قرأ الكسائي، وخلف: (الرُّؤْيَا) بالإمالة، والباقون: بالفتح^(١).

﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ اللام لام القسم الذي يقتضيه (صدق)؛ لأنها من قبيل تبين وتحقق ونحوها مما يعطي القسم، تقديره: والله لتدخلن.

﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٍ﴾ ودخول الاستثناء في إخبار الله - عز وجل - فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة؛ تعليماً لعباده أن يقولوا في عاداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله، ومقتدين بسنته، أو يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله، ولم يمت منكم أحد، أو: كان ذلك على لسان ملك، فأدخل الملك إن شاء الله، أو: هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وقص عليهم، وقيل: هو متعلق بـ(آميين)، وقيل: (إن) بمعنى (إذ)؛ فكأنه قال: إذ شاء الله، قال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه، لكن كون (إن)

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٠).

بمعنى (إذ) غير موجود في لسان العرب، انتهى^(١).

﴿مُحَلِّقِينَ﴾ حال من (آمِنِينَ) مفعوله ﴿رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها
﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وتقدم حكم الحلق والتقصير في سورة البقرة
عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿لَا تَخْفُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة في تأخير الفتح.
﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: فتح مكة ﴿فَتَحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر،
وتحققت الرؤيا في العام القابل، فكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من
الهجرة.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ ملتبساً به ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾
الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان
حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، وهذا موجود الآن في دين الإسلام؛ فإنه
قد عم أكثر الأرض، وظهر على كل دين.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً بهذا الخبر، ومعلماً به، وعلى هؤلاء
الكفار المنكرين أمر محمد ﷺ الرادين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم
الشهادة.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٣٩/٥).

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ شهد له بالرسالة، وتقدم
تفسير (محمد) في سورة آل عمران، وفي الأحزاب، ثم قال مبتدئاً:
﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَشِدَّاءُ ﴾ صفة الصحابة خاصة، فلا
يكون ﷺ داخلاً مع الصحابة في الشدة ﴿ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ غلاظ عليهم كالأسد
في فريسته.

﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ متعاطفون بعضهم على بعض كالوالد مع الولد.
﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ لأنهم مشغولون في الصلاة في أكثر أوقاتهم.
﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿ وَرِضْوَانًا ﴾ أن
يرضى عنهم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانًا) بضم الراء، والباقون:
بكسرها^(١).

﴿ سِيَّمَاهُمْ ﴾ علاماتهم ﴿ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ وهو نور وبياض
يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا، وروي أن مواضع السجود
تكون في وجوههم كالقمر ليلة البدر.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدلمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢١١).

﴿ ذَلِكْ ﴾ الوصف المذكور ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه .

﴿ فِي التَّوْرَةِ ﴾ وتعطف عليه .

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ أي: ذلك مثلهم في الكتابين ﴿ كَزْرَعٍ ﴾ تمثيل مستأنف؛ أي: هم كزرع ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ فرخه؛ يقال: أشطأ الزرع: إذا فرخ . قرأ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: بفتح الطاء، والباقون: بإسكانها^(١)، وهما لغتان كالنهر والنهر، وقرأ أبو عمرو: (أَخْرَجَ شَطْأَهُ) بإدغام الجيم في الشين^(٢) .

﴿ فَتَازَرَهُ ﴾ قرأ ابن ذكوان: بقصر الهمزة، والباقون: بالمد^(٣)؛ أي: قواه؛ من المؤازرة، وهي المعاونة ﴿ فَاسْتَعَاظَ ﴾ غلظ ذلك الزرع .

﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ ﴾ جمع ساق؛ أي: قوي واستقام على أصوله، وهذا مثل ضربه الله لنبيه، خرج وحده، فأزره بأصحابه . قرأ قبل عن ابن كثير: (سَوْقِهِ) بهمزة ساكنة، وعنه وجه ثان: بهمزة مضمومة، وقرأ الباقون: بغير همز^(٤) .

﴿ يُعِجِبُ الزَّرْعَ ﴾ الذين زرعوه، وهذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وقوته

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٣) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٣) .

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٤) .

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٤-٢١٥) .

بالصحابه بأن يكونوا قليلاً فيكثروا وضعفاء، فيقوون، يوضح ذلك أن الله
بقوله:

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي: إنما كثرتهم وقواهم؛ ليكونوا غيظاً
للكافرين.

قال عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فأزره بعمر، فاستغلظ بعثمان،
فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب.
ومن غيظ الكفار قول عمر بمكة: «لا أعبد»^(١) الله سرّاً بعد هذا اليوم»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في
دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأقروهم أبي بن
كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل،
وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر،
ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله عنهم
أجمعين^(٣).

(١) في «ت»: «لا عبد».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٩٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد
ابن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وقال: حسن صحيح، وابن
ماجه (١٥٤) في المقدمة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. دون قوله:
«وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». وقد
رواه الترمذي (٣٨٠٢)، كتاب: المناقب. باب: مناقب أبي ذر رضي الله
عنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٣٢)، وغيرهما من حديث أبي ذر رضي
الله عنه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ و(منهم) لبيان الجنس

وليست للتبويض؛ لأنه وعد للجميع .

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة، وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية، وهي ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة، أول حروف المعجم فيها ميم من (محمد)، وآخرها صاد من (الصالحات)، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾ [الآية: ١٥٤]، وليس في القرآن آيتان كل آية حوت حروف المعجم غيرهما^(١) من دعا الله بهما، استجيب له، والله أعلم.



(١) من قوله (ص: ٣٤٧): «وقيل: الإشارة إلى مكة» إلى هنا سقط من «ش».



مدنية بإجماع من أهل التأويل، وآيها: ثماني عشرة آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثلاث وأربعون كلمة، وهذا أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي، وبعض^(١) الأقوال المعتمدة عند أبي حنيفة، وعنه قول آخر معتمد: أن أوله (ق).

قال صلى الله عليه وسلم: «فضلني ربي بالمفصل»^(٢)، وتقدم في أول التفسير أن المفصل من القرآن هو ما بعد الحواميم وقصار السور إلى آخر القرآن، وسميت مفصلاً؛ لكثرة الفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى، فكثرت التفصيل فيها، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿١﴾

(١) في «ت»: «وأحد».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٧/٤)، والطيالسي في «مسنده» (١٠١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥/٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٥)، وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

[١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُفَدُّهُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿قرأ يعقوب: (تَقَدَّمُوا)

بفتح التاء والبدال؛ من التقدم؛ أي: لا تتقدموا، على حذف إحدى التاءين،
وقرأ الباقر: بضم التاء وكسر الدال؛ من التقديم^(١)؛ أي: لاتعجلوا بالأمر
والنهي دونه، المعنى: لا تفعلوا ولا تقولوا شيئاً حتى يحكما به، ويأذنا
فيه، ولا تفتاتوا عليهما، وقد كانت عادة العرب الاشتراك في الآراء، وأن
يتكلم كل بما شاء، ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس مع النبي ﷺ على
بعض ذلك، فربما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، ولو فعل الله
كذا، أو ينبغي أن يكون كذا، وأيضاً فإن قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل
النبي ﷺ، وقوماً فعلوا في بعض خروجه وغزواته أشياء بأرائهم، فنزلت
هذه الآية ناهية عن جميع ذلك، وتحقيق معنى الآية الأمر بتعظيم النبي ﷺ
وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت
عند قبره ﷺ، وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء؛ تشریفاً لهم؛
إذ أنهم^(٢) ورثة الأنبياء.

﴿وَأَنفُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾
بأحوالكم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢١٩).

(٢) في «ت»: «هم».

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) .

[٢] ونزل فيمن رفع صوته لدى النبي ﷺ، وهو ثابت بن قيس (١) بن شماس، وكان جهوري الصوت، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ (٢) إذا نطقتم.

﴿ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ إذا نطق ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ إذا ناجيتهموه ﴿ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي: لا تغلظوا له الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، وقولوا له قولاً ليناً: يا رسول الله! يا نبي الله! نظيره: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

﴿ أَن تَحْبَطَ ﴾ أي: مخافة أن تبطل ﴿ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

[٣] فلما نزل، دخل ثابت في بيته، فجعل يبكي، وقال لامرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسوله، إني رفيع الصوت، وإني أخاف أن يحبط عملي، وأكون من أهل

(١) «بن قيس» زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (١١٩)، كتاب: الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

النار، فدعاه النبي ﷺ، وقال: «أما^(١) ترضى أن تعيش حميداً وتموتَ شهيداً وتدخلَ الجنة؟»، فقال: رضيتُ بيشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(٢) إجلالاً له .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: اختبرها بأنواع المحن ﴿لِلنَّقَوَى﴾ أي: لتظهر التقوى بالاختبار وصد النفس عن مرادها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ واستشهد ثابت يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

[٤] ونزل في وفد بني تميم حين وفدوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد، ودنوا من حُجْر أزواج النبي ﷺ، وهي تسعة، فعجلوا، ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فتربص مدة، ثم خرج ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذممه شين»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾^(٣) جمع حجرة، وهو ما يحجر عليه من الأرض بحائط، والمراد: حجرات نساء النبي ﷺ. قرأ

(١) في «ت»: «إنما».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١١٩/٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٥٠٣٤).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٤٦/٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٠٦/٨)، و«تفسير الثعلبي» (٧٣/٩).

أبو جعفر: (الحُجْرَاتِ) بفتح الجيم، والباقون: بضمها^(١)، وهما لغتان، فكان كل واحد ينادي من وراء حجرة؛ لأنهم لم يتحققوا مكانه، والإنكار إنما وقع لأنهم نادوه من ظاهر الدار بجفاء وغلظة مناداة الأعراب.

﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ جهال ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب، وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جُفَاءُ بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال، لدعوتُ الله عليهم أن يهلكهم»^(٢).

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ أي: ولو ثبت صبرهم وانتظارهم.

﴿ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ ﴾ الصبر.

﴿ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ وأحسن لأديبهم، والصبر: حبسُ النفس عن أن تنازع إلى هواها.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/٧٧)، من حديث سعد بن عبد الله. وقد روى البخاري (٢٤٠٥)، كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع...، ومسلم (٢٥٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة ومزينة وتميم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما زلت أحبُّ بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: «هم أشدُّ أمتي على الدجال».

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث اقتصر على النصح والتفريع لهؤلاء المسيئين الأدب^(١)، والتاركين تعظيم الرسول.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.

[٦] روي أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخوا عثمان لأمه إلى بني المصطلق مُصَدِّقًا، وكان بينه وبينهم عدواة في الجاهلية، فلما سمع به القوم، خرجوا يتلقونه تعظيمًا لأمر رسول الله، فخافهم، فرجع من الطريق هاربًا، فجاء النبي ﷺ، وقال: إنهم قد منعوا الصدقة، وهموا بقتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وهمم بغزوهم، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! خرجنا نتلقاه، فرجع، فخشينا أن يكون قد رده كتاب أتاه منك، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم في قولهم، وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالد بن الوليد، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾^(٢) يعني: الوليد بن عقبة ﴿ بِنَبَأٍ ﴾ بخبر ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَتَبَيَّنُوا) بالتاء والتاء؛ من التثبت؛ أي: توقفوا، وقرأ الباقون: بالياء والنون؛ من التبين^(٣)؛ أي:

(١) «الأدب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/١٨٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/١٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٩٤)، =

تفحصوا، وتنكير (فَاسِقٌ) يؤذن بالاحتراز من كل فاسق .

﴿ أَنْ تُصِيبُوا ﴾ كيلا تصيبوا بالقتل ﴿ قَوْمًا ﴾ برآء ﴿ بِجَهْلَةٍ ﴾ جاهلين

بحالهم .

﴿ فَصِّحُوا ﴾ فتصيروا ﴿ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ معتمين .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ .

[٧] ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ إن كذبتم ، أخبره الله ، فتفتضحوا .

﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ ﴾ يقبل منكم ﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ الذي تخبرونه به ، فيحكم

برأيكم ﴿ لَعَنِتُّمْ ﴾ لأثمتم وهلكتم .

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم .

﴿ وَزَيَّنَهُ ﴾ حسَّنه ﴿ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ بالبرهان ، وثبته فيها .

﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ ﴾ الكذب ﴿ وَالْفُسُوقَ ﴾ الخروج عن الطاعة

﴿ وَالْعِصْيَانَ ﴾ جميع معاصي الله ، ومعنى تحبيب الله وتكريهه : اللطف

والإمداد بالتوفيق ، ثم عاد من خطاب المؤمنين إلى الإخبار عنهم ، فقال :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الثابتون على دينهم .

= و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٠-٢٢١).

﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ مصدر مؤكد لنفسه ؛ لأن ما قبله هو بمعناه ؛

إذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال المؤمنين ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بإنعامه عليهم بالتوفيق .

﴿ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنُ بَغْتًا إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] روي أن رسول الله ﷺ توجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه ، وركب حماراً ، فمر بعبد الله بن أبي بن سلول ، فقال عبد الله بن أبي (١) لما غشيه حمارُ رسول الله ﷺ : لا تغبروا علينا ، والله لقد آذاني نثنُ حمارك ، فقال عبد الله بن رواحة لابن أبي : والله لحمارُ رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، فتشامتا ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، وكان فيمن غضب لابن أبي مؤمنون ، وقيل غير ذلك ، فنزل :

﴿ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا ﴾ ﴿٩﴾ جُمع نظراً إلى المعنى ؛ لأن كل

(١) «ابن سلول فقال عبد الله بن أبي» زيادة من «ت» .

(٢) رواه البخاري (٢٥٤٥) ، كتاب : الصلح ، باب : ما جاء في الإصلاح بين الناس ، ومسلم (١٧٩٩) ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي ﷺ ، من حديث أنس - رضي الله عنه - وانظر : «تفسير البغوي» (٢٠٣/٤) .

طائفة جماعة ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى، وثني نظراً إلى اللفظ.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ بأن كانت الباغية مبطلّة، والأخرى محققة.

﴿فَقَنَّبُوا الَّتِي تَبَغَى حَقّاً تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ترجع إلى حكمه المذكور في كتابه من الصلح. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تَفِيءَ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين اللفظين، وقرأ الباقر: بتحقيق الهمزتين^(١).

﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ رجعت عن البغي ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسَطُوا﴾ اعدلوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ والقَسْطُ بالفتح الجور؛ من القسط: اعوجاج في الرجلين، و- بالكسر -: العدل، وفعله أقسط، وهمزته أصلية^(٢)؛ أي: أزيلوا الجور، يقال: قسط: جار، وأقسط: عدل، والباغي في الشرع: هو الخارج على إمام العدل.

وأما حكم قتال أهل البغي، فقد اتفق الأئمة على أن نصب الإمام فرض كفاية، وتنعقد الإمامة بالبيعة، وباستخلاف^(٣) الإمام، وقهر قرشي حر ذكر، ويحرم قتاله بالاتفاق، فإذا خرج على الإمام طائفة ذات شوكة بتأويل

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢١-٢٢٢).

(٢) في «ت»: «للسلب».

(٣) في «ت»: «وبالاستخلاف».

سائغ، ونصبوا إماماً، وقالوا: الحق معنا، دعاهم، وكشف شبهتهم التي استندوا إليها في خروجهم عن طاعته، وأزال ما يذكرونه من مظلمة؛ فإن فإؤوا، وإلا أبيع قتالهم بالاتفاق حتى يفيئوا إلى أمر الله، فإذا فإؤوا، كف عنهم، فإن لم يكن لهم شوكة، أو لم يكن تأويل، أو لم ينصبوا إماماً، فقطاع طريق تقدم حكمهم في سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣].

واختلفوا في اتباع مدبر البغاة، وقتل جريحهم، فقال أبو حنيفة: إن كان لهم فئة يرجعون إليها، جاز ذلك، وإلا فلا، وقال الثلاثة: لا يجوز. واتفقوا على أن أموالهم يحرم أخذها، وهي باقية لهم.

واختلفوا هل يجوز أن يستعان على حربهم بسلاحهم؟ فقال الشافعي، وأحمد: لا يجوز، وقال أبو حنيفة ومالك: يجوز مع قيام الحرب، فإذا انقضت، ردت إليهم.

واتفقوا على أن البغاة إذا أخذوا خراجاً أو جزية ذمي، فإنه يلزم أهل العدل أن يحتسبوا بذلك، بخلاف عن مالك.

واتفقوا على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغي وعكسه من نفس ومال حال الحرب، فلا ضمان فيه، وتقبل شهادة البغاة^(١) وقضاء قاضيهم فيما يقبل فيه قضاء قاضيها بالاتفاق بخلاف عن مالك، ويحرم سبي ذراريهم بالاتفاق، ومن أسر منهم من رجل أو امرأة أو صبي، حُبس حتى ينقضي الحرب، ثم يرسل بالاتفاق، ويحرم قتالهم بما يعم إتلافه؛ كمنار

(١) «فلا ضمان فيه وتقبل شهادة البغاة» زيادة من «ت».

ومنجنيق إلا لضرورة عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة: يجوز، وعند مالك: للإمام العدل في قتالهم ما له في الكفار بعد أن يدعوهم إلى الحق.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[١٠] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ المتنازعين، وثني؛ لأن النزاع إنما يكون أولاً بين اثنين، ثم يتعدى إلى الجماعة، ويجوز أن يراد: الحزبان؛ كقوله: (طَائِفَتَانِ). قرأ يعقوب: (إِخْوَتَكُمْ) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية^(١).

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فلا تعصوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين، مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن علي - رضي الله عنه -: أنه سئل، وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/١٧٣).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِسَّاسِ الْأَسْمَاءِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ .

[١١] ونزل في ثابت بن قيس حين سأل رجلاً: من أنت؟ فقال: ابن فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فخجل الرجل؛ لأنه كان يُعير بها في الجاهلية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾^(١) أي: رجال من رجال، والقوم: الرجال خاصة؛ لأنهم القوام على النساء، جمع قائم، ويسخر معناه: يستهزىء.

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ المعنى: اجتنبوا السخرية، فربما كان المستسخر به خيراً عند الله من الساخر.

﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ونكر (قَوْمٌ) و(نِسَاءٌ)؛ ليعم النهي^(٢) قبيلهما^(٣)، ولم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة؛ أي: فرد من فرد؛ لأن السخرية تكون غالباً بين جمع.

عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: «هَلَّا قَلْتِ: إن أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد»^(٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٦/٤)، و«تفسير الثعلبي» (٨٠/٩)، و«تفسير النسفي» (١٦٦/٤).

(٢) «النهي» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «قبيلهما».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠٦/٤)، و«تفسير الثعلبي» (٨١/٩)، =

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً. قرأ يعقوب: (تَلْمِزُوا) بضم الميم، والباقون: بكسرها^(١).

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ النبز: اللقب، واللقب: ما يسمى به الإنسان بعد اسمه العَلَم، يعم المدح والذم، والتنابز: هو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمي به مما يكرهه، المعنى: لا تلقبوا غيركم بالألقاب القبيحة؛ كالفاسق ونحوه، ولا تنادوه بها. قرأ البيزي عن ابن كثير: (وَلَا تَنَابَرُوا) (وَلَا تَجَسَّسُوا) (لِتَعَارَفُوا) بتشديد التاء في الثلاثة، والباقون: بالتخفيف^(٢).

﴿يَسْأَلُ الْأَسْمَاءَ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بسئ الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم بالإيمان، واشتهارهم به.

﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ﴾ عما نهى عنه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي: الساخرون واللامزون.
﴿هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: (يَتَّبِعُ فَأُولَئِكَ) بإدغام الباء في الفاء، والباقون: بالإظهار^(٣).

= «الكشاف» للزمخشري (٤/٣٨٣). وقوله: «هلاً قلت... محمد» أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩٢) في كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥/٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (٦٧٩٠). وهو ضعيف الإسناد؛ قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٣-٢٢٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٣-٢٢٤).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا بَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ .

[١٢] ونزل في رجلين اغتابا رفيقهما: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾^(١) أي: أبعده عنكم، واجعلوه جانباً منكم .

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يستحق عليه العقاب، وذلك البعض كثير؛ لأنه ظن السوء بالمؤمنين، والتبعيض يؤذن باجتنب بعض الظن، ولا يقدم عليه إلا بعد النظر في حال الشخص، فإن كان موسوماً بالصلاح، فلا يظن به السوء بأدنى توهم، بل يحتاط في ذلك، ولا تظن سوءاً إلا بعد ألا تجد إلى الخير سبيلاً، وأما ظن الصالح بالصلحاء والعلماء بالله والشرع، فمندوب إليه، وأما الفساق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم .

﴿وَلَا بَحْسَسُوا﴾ ولا تتبعوا عورات الناس، ولا تبحثوا عن أخبارها حتى لا يظهر ما ستره الله منها ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الغيبة: أن يقول في الرجل ما فيه مما يكرهه .

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ أي: أن ما يناله من عرض أخيه كأكل لحم ميت . قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَيْتًا) بكسر الياء مشددة^(٢)، والباقون: بإسكانها مخففة^(٣)، ونصبه على الحال من (لَحْمٍ) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٣٣٠) .

(٢) «مشددة» زيادة من «ت» .

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ المعنى: إن صح ذلك، أو عرض عليكم هذا، فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته ﴿وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن اتقى ما نهى عنه، وتاب مما فرط منه .

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) .

[١٣] ونزل نهياً عن التفاخر: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ من آدم وحواء .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب - بفتح الشين -، وهو أكبر من القبيلة؛ لأنه يجمع القبائل مثل: ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، سموا شعوباً؛ لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ﴿وَقَبَائِلَ﴾ وهي دون الشعوب، واحدها قبيلة، والقبيلة تجمع العماثر، [والعماثر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل] (١) مثاله: خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة، المعنى: خلقناكم من أصل واحد، ثم فرقناكم .

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم بعضاً، ويعطيه حقه، لا للتفاخر، ثم بين ما به (٢) الفخر فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ فإن التقوى بها تكمل

= (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٤) .

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٢) «ما به» زيادة من «ت» .

النفوس، وتتفاضل الأشخاص، قال ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس، فليتق الله»^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُمْ خَيْرٌ﴾ ببواطنكم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١٤).

[١٤] ونزل في طوائف من الأعراب قَدِمُوا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الإسلام ليأمنوا بذلك على نفوسهم وأموالهم، ومَنُوا بذلك على النبي ﷺ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل﴾ يا محمد: ﴿لَمْ نُؤْمِنُوا﴾ حقيقة، وأوقع ﴿لَمْ نُؤْمِنُوا﴾ موقع كذبتهم؛ لأنه نفي ما ادعوه تأدباً.

﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقذنا واستسلمنا؛ مخافة القتل والسبي.

﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فالإسلام: الخضوع والقبول لأمر رسول الله ﷺ، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فهو إيمان، وتقدم ذكر الإيمان واختلاف الأئمة فيه أول سورة البقرة.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإخلاص وترك النفاق.

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧٧٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٦٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/٣٤٠).

﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (يَأْتِكُمْ) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله؛ من ألت يألت؛ كضرب يضرب، لقوله تعالى: (وَمَا أَلْتَنَاهُمْ)، وقرأ الباقون: بكسر اللام من غير همز^(١)؛ من لات يليت؛ كباع يبيع، وهما لغتان، معناهما: لا ينقصكم.

﴿مِنْ أَعْمَلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لما^(٢) فرط من المطيعين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتفضل عليهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

[١٥] ثم بين المؤمنين حقيقة فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

﴿قُلْ أَعْلَمُوكَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٦] فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٦/٦).

(٢) في «ت»: «لمن».

بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل:

﴿ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾^(١) التعليم بمعنى الإعلام؛ أي:

أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يحتاج إلى إخباركم.

﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١٧).

[١٧] ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن ينفي منة الأعراب، فقال: ﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ ﴾ أي: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض.

﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ على ما زعمتم.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في إيمانكم، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: فله المنة عليكم لا لكم.

﴿ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(١٨).

[١٨] ﴿ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ما غاب فيهما.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢١٣-٢١٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩/٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢٤٩).

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في سركم وعلانيتكم . قرأ ابن كثير : (يَعْمَلُونَ) بالغيب ؛ لما في الآية من الغيبة عن النبي ﷺ ، وقرأ الباقون : بالخطاب^(١) ، والله أعلم .

* * *



(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٠٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٢) ، و«تفسير البغوي» (٤/٢١٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٧) .



مكية بإجماع من المتأولين، وقيل: إلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الآية، فمدني، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأربعة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وسبعون كلمة.

روي عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ قرأ سورة ق هَوَّنَ اللهُ عليه الموتَ وسَكَرَاتِهِ»^(١).

وهذا أول المفصل عند الإمام أحمد، وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة، وتقدم التنبيه عليه في أول الحجرات عند ذكر الأقوال الأخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾

[١] ﴿قَ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت يقف على (ق)، والكلام فيه كالكلام في (ص)؛ لأنهما في أسلوب واحد، واختلف في معناه، فقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، أو من أسماء القرآن، أو هو مفتاح

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/٩٢)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (٣/٣٦١).

أسماء الله تعالى التي هي القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض، وقيل: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء منه خضرة السماء، والسماء مقيية عليه، وعليه كنفها، وقيل: معناه: قضي الأمر، وقضي ما هو كائن، كما قالوا في (حم)، وقيل: هو اسم السورة.

﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ الكريم في أوصافه، ومن عمل بالقرآن مجداً؛ أي: شرف على الناس، و(ق) مُقسَم به وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف^(١) تقديره: لتبعثنَّ؛ لأنهم أنكروا البعث.

قال ابن عطية^(٢): و^(٣) هذا قول حسن، ثم قال: وأحسن منه أن يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإضراب بـ(بل)؛ كأنه قال: والقرآن المجيد ما ردوا أمرك بحجة، أو ما كذبوك ببرهان.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ كفار مكة^(٤) ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ مخوف ﴿مِنْهُمْ﴾ يعرفون نسبه وصدقه.

﴿فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: قول محمد: إنا نحيا بعد الموت، وقيل: الضمير في (عجبوا) لجميع الناس، مؤمنهم وكافرهم؛ لأن كل مفطور عجب من بعثة بشر رسول الله، لكن المؤمنون نظروا واهتدوا،

(١) «محذوف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥٥/٥).

(٣) «و» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «قريش».

والكافرون بقوا في عمايتهم، وحاجوا بذلك العجب، ولذلك قال: ﴿فَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَمْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

[٣] ﴿أَمْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ استفهام إنكار جوابه محذوف؛ أي: أنرجع إذا
متنا وصرنا تراباً؟ ثم أنكروا ذلك أصلاً، فقالوا: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ إلى الحياة
﴿بَعِيدٌ﴾ عن العادة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو،
ورويس عن يعقوب: (أنذا) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين
الهمزة والياء، وفصل أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون بين الهمزتين بألف،
وقرأ الباقر: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام في الفصل^(١)، وقرأ
نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتْنَا) بكسر
الميم، والباقر: بضمها^(٢).

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾.

[٤] قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من
لحومهم، وهو ردٌّ لاستبعادهم.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٩-٣٧٠)، و«إتحاف
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢٣٢).

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ محفوظ من الشياطين، جامع لم يفته شيء، وهو

اللوح المحفوظ.

في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمَ يَبْلَى إلا عَجَبَ الذَّنَبِ»^(١)، وهو عظم كالخردلة، فمنه يركب ابن آدم.

قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحق، وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه، قال ابن عطية: وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة؟ إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود^(٢).

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفيت، وأراد الله إعادتها كما كانت أولاً، هل تعود الأجساد الأول، أم يخلق الله للناس^(٣) أجساداً غير الأجساد الأول؟ فأجاب: إن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأول، لا غيرها، قال: وهذا هو الصحيح، بل الصواب ومن قال غيره عندي، فقد أخطأ فيه؛ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث.

(١) رواه البخاري (٤٦٥١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا﴾، ومسلم (٢٩٥٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين الفختين، من حديث أبي هريرة. قال ابن حجر في «الفتح» (٥٥٢/٨): قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سرٌّ لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يُظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جُعِلَ علامةً للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥٦/١٥)، ووقع فيه: «الأجساد المبعثرة» بدل: «المبعوثة».

(٣) «لنَّاسٍ» زيادة من «ت».

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ ﴾ مضطرب ،

قالوا مرة : شعر ، ومرة : كهانة ، فلم يثبتوا على حال .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

فُرُوجٍ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ معتبرين حين أنكروا البعث .

﴿ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ظرف لـ (يَنْظُرُوا) .

﴿ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ بلا عمد ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ بالكواكب .

﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ شقوق وصدوع ، فهي مزينة سليمة من العيب .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجٍ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ نصبٌ بمضمر يفسره ﴿ مَدَدْنَاهَا ﴾ دَحَوْنَاهَا على وجه الماء .

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ ﴾ جبلاً ثوابت ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهَيْجٍ ﴾ من كل

صنف حسن .

﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ تَبَصَّرَةٌ ﴾ أي : جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وَذِكْرَى ﴾ أي : تذكيراً .

﴿ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ رجَّاع إلى طاعة الله تعالى .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا ﴾ كثير البركة، وهو المطر .

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ ﴾ أشجاراً وثماراً ﴿ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ أي: وحب الزرع

الذي من شأنه أن يُحصد .

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ أي: طويلاً في السماء ﴿ لَهَا طَلْعٌ ﴾ ثمر،

والطلع: أول ظهور^(١) الثمر في أكمامه قبل أن ينشق، وهو أبيض كحب

الرمان ﴿ نَضِيدٌ ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، فما دام ملتصقاً كذلك،

فهو نضيد، فإذا خرج من أكمامه وتفرق، فليس بنضيد .

﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴾ نصب على المصدر ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ أي: بالمطر .

﴿ بَلْدَةً مَيِّتًا ﴾ أرضاً جدبة أنبتنا فيها الكلاً . قرأ أبو جعفر: (مَيِّتًا) بتشديد

الياء، والباقون: بالتخفيف^(٢) .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك الإحياء ﴿ الْخُرُوجُ ﴾ من القبور .

(١) «ظهور» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٦/٢٣٢) .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قريش ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ ﴾ قومٌ كان لهم بئر عظيمة، وهي الرس، وكل ما لم يُطَوَّ من بئر أو معدن أو نحوه، فهو رَسٌّ، وتقدم ذكرهم في سورة الحج، وفي سورة الفرقان ﴿ وَثَمُودُ ﴾ .

﴿ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ﴾ والمراد بفرعون: إياه وقومه .

﴿ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ وأخواته؛ لأنهم كانوا أصهاره .

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ قوم شعيب ﴿ وَقَوْمِ تُبَّعٍ ﴾ هو تُبَّعُ الْحَمِيرِيِّ،

ذم الله قومه، ولم يذمه؛ لأنه أسلم، وتقدم ذكر قصته في سورة الدخان .

﴿ كُلٌّ ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ كقريش ﴿ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴾

وجب نزول العذاب عليهم، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد لهم . قرأ ورش

عن نافع: (وَعِيدِي) بإثبات الياء وصلماً، ويعقوب بإثباتها وصلماً ووقفاً،

والباقون: بحذفها في الحالين^(١) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٢-٢٣٣) .

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥)

[١٥] ثم وبخهم بقوله: ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ أفعجزنا عن الإتيان به ابتداءً، فنعجز عن إعادته؟! المعنى^(١): كما لم نعجز عن ابتداء الخلق، لا نعجز عن إحيائه بعد الموت، فلما لم يؤمنوا، قيل: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْ خَلْقٍ ﴾ بعد الموت ﴿ جَدِيدٍ ﴾ وهو البعث؛ لأنهم ينكرونه.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (١٦)

[١٦] ثم دل على قدرته تعالى، فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ ﴾ أي: تحدث ﴿ بِهِ نَفْسَهُ ﴾ فلا يخفى علينا ضمائره. ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ إلى الإنسان ﴿ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وهما عرقان كبيران في العنق، يقال لهما: وريدان، عن يمين وشمال، وسمي وريداً؛ لورود الروح فيه، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه؛ [لاختلاف اللفظين، وقيل: ليس هذا بإضافة الشيء إلى نفسه]^(٢)، بل هي^(٣) كإضافة الجنس إلى نوعه، والقرب: هو بالقدرة والسلطان؛ إذ لا ينحجب عن علم الله تعالى باطن ولا ظاهر^(٤).

(١) «المعنى» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) «بل هي» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «ظاهر ولا باطن».

﴿ إِذْ يَنْتَقِي الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١٧) .

[١٧] ﴿ إِذْ يَنْتَقِي ﴾ أي : واذكر إذ يتلقى ﴿ الْمُتَلَقِيَانِ ﴾ أي : يتلقن ، ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ويكتبانه .

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ فالذي عن اليمين يكتب الحسنات ، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي : مُقَاعِدٌ ، وهو المجالس الملازم ، ولم يقل : قعيدان اكتفاءً بأحدهما عن الآخر .

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كاتبُ الحسنات على يمين الرجل ، وكاتبُ السيئات على يسار الرجل ، وكاتبُ الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة ، كتبها صاحب اليمين عشراً ، وإذا عمل سيئة ، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات ؛ لعله يسبح أو يستغفر»^(١) .

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ الإنسان ﴿ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ يرقب قوله ويحفظه عليه .

﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضر معه ، وأراد : رقيبين وعتيدين ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر .

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٨٧) ، وفي «مسند الشاميين» (٤٦٨) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩) ، والرويانى في «مسنده» (١٢١٥) ، والشعلبي في «تفسيره» (٩٩/٩) ، ومن طريقه : البغوي في «تفسيره» (٢١٩/٤) ، كلهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٨/١٠) : وفيه جعفر بن الزبير ، وهو كذاب .

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ شدته الذاهبة بالعقل ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي:

بحقيقة الموت.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الموت ﴿ مَا كُنْتَ مِنْهُ ﴾ أيها الإنسان ﴿ تَحِيدُ ﴾ تميل

وتهرب.

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ نفخة البعث ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: النفخ.

﴿ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ للكفار بالعذاب.

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ ﴾ ملكٌ يحثها إلى المحشر.

﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ ملك يشهد عليها بما عملت، وهل الملكان الكاتبان في

الدنيا هما اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿ سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أم غيرهما؟ فيه

خلاف.

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ولما كانت الغفلة ساترة الكافر عن الإيمان وأهوال يوم القيامة،

شبهت بالغطاء، فقيل: ﴿لَقَدْ كُتِبَ فِي الدُّنْيَا﴾ في الدنيا ﴿فِي عَفْوَءٍ مِّنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا من الغفلة.

﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل به:

﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ هذا ما هو مكتوب عندي مُعَدُّ محضراً.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٤).

[٢٤] ثم يقال للسائق والشهيد، أو خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، والمراد: مالك؛ كأنه قيل: ألق ألق تأكيداً ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ مطلقاً^(١) ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم. روي عن يعقوب،

وقنبل: الوقف بالياء على (مُعْتَدِي).

﴿مُرِيبٍ﴾ شاكٌّ في دينه.

(١) «مطلقاً» زيادة من «ت».

﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ أي: أشرك، مبتدأ ضمّن معنى

الشرط، جوابه :

﴿ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ من النار .

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ هو شيطانه المقيض له تبرُّاً منه ﴿ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ ﴾ ما

أضللته أنا ﴿ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ عن الإيمان .

﴿ قَالَ لَا تَخْضِعُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ أي: فيقول الله: ﴿ لَا تَخْضِعُوا لَدَيَّ ﴾ فما ينفعكم الخصام

هنا .

﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ بِالْوَعِيدِ ﴾ أي: خوَّفْتُكم الرسلُ بما

أعددتُ لكم من العذاب هنا إن لم تؤمنوا، أو لا بد منه .

﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ مَا يَبْدُلُ ﴾ ما يُغَيِّرُ ﴿ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴾ بالثواب والعقاب .

﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فأعذبهم بغير جرم .

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ استفهام توبيخ لداخلها، وتصديق لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ فتجيب مستفهمة تادباً، وليكون الجواب وفق السؤال ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ زيادة. قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (يَوْمَ يَقُولُ) بالياء؛ أي: يقول الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة^(١)، واختلف الناس هل يقع التقرير وهي قد امتلأت، أو هي لم تمتلئ بعد؟ فقال بكل وجه جماعة من المتأولين، وبحسب ذلك تأولوا قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، فمن قال: إنها تكون ملاءى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ على معنى التقرير ونفي المزيد؛ أي: وهل عندي موضع يزداد فيه شيء؟ وهو قول عطاء، ومجاهد، ومن قال: إنها تكون غير ملاءى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ على معنى السؤال والرغبة بالزيادة، وهو قول ابن عباس^(٢).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فنقول قطُّ قطُّ وعزتك، وتزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشئ الله خلقاً فيسكنه فُضُولَ الجنة»^(٣)، وقوله: قط قط: حسبي حسبي.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/١٦٥).

(٣) رواه البخاري (٦٢٨٤)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله وصفاته، ومسلم (٢٨٤٨)، كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، من حديث أنس.

﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿ وَأَزَلَفْتِ ﴾ قَرَّبْتِ ﴿ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ ﴾ أي : مكاناً غير ﴿ بَعِيدٍ ﴾ .

﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] فإذا شاهدوها وما فيها، يقال لهم : ﴿ هَذَا ﴾ المشاهد .

﴿ مَا تُوْعَدُونَ ﴾ من الجزاء . قرأ ابن كثير : (يُوْعَدُونَ) بالغيب، والباقون : بالخطاب^(١) ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ بدل من ﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : رجَّاع عن الذنوب ﴿ حَفِيظٍ ﴾ حافظ لأمر الله تعالى، ولذنبه حتى يستغفر منها .

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ محل (مَنْ) رفع بالابتداء والخبر؛ أي : خاف الرحمن وأطاعه، ولم يره .

﴿ وَجَاءَ ﴾ يوم القيامة ﴿ بِقَلْبٍ ﴾ سليم^(٢) ﴿ مُنِيبٍ ﴾ مقبل على الطاعة .

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] وخبر الابتداء ﴿ ادْخُلُوهَا ﴾ أي : فيقال لهم : ادخلوا الجنة

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٦) .

(٢) «سليم» ساقطة من «ت» .

﴿يَسْأَلُونَ﴾ أي: بأمن وسلامة من جميع الآفات .
﴿ذَلِكَ﴾ الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ البقاء في الجنة .

﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ فيعطون ما شاؤوا مما يسألونه .
﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة فوق ما طلبوا، قال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم ^(١) .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ (كَمْ) للتكثير، وهي خبرية، المعنى: أهلكتنا قروناً كثيرة قبل كفار مكة .

﴿هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا في نقوبها: طرقها .
﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل لهم من مفر من أمر الله عز وجل؟

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرٍ﴾ عظة ﴿لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٢٦) .

أي: عقل ﴿أَوَلَيْقَى السَّمْعَ﴾ أصغى لسماع كتاب الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضرُ القلب غيرُ غافل .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٨) .

[٣٨] ولما قال اليهود: يا محمد! أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت، قال: «وما ذلك؟»، قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تكذيباً لهم، ورداً عليهم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (١) إعياء؛ لأننا منزهون عن صفات المخلوقين؛ إذ لا مماسة ثم فيقع تعب، إنما أمرنا بالشيء ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٢/٢١) و(٤٣٣/٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ضعيف لضعف أبي سعيد البقّال، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٥٨/٨).

﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: اليهود والمشركون من التشبيه والتكذيب، واختُلف في الأمر بالصبر، فبعضهم يقول: نسخ بآية السيف، وبعضهم يقول: ثابت، ويرى أن الصبر مأمور به في كل حال.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صلِّ حمداً لله تعالى.

﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ هي صلاة الفجر ﴿ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ هما الظهر والعصر.

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء.

﴿ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وحمزة، وخلف: (وإِدْبَارَ) بكسر الهمزة مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الباقون: بفتحها على جمع الدُّبُر^(١).

﴿ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ وَأَسْمِعْ ﴾ ما أخبرك به يا محمد ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ هو إسرائيلي - عليه السلام - ينادي بالحشر.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٨-٢٣٧).

﴿ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ إلى السماء، وهو صخرة بيت المقدس، وهو وسط الأرض، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر أو ثمانية عشر ميلاً: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء^(١). **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْمُنَادِي) بإثبات الياء وصلماً، **وقرأ** ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلماً ووقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين^(٢).

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾^(٤٢).

[٤٢] وتبدل من ﴿ يَوْمَ يَنَادِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ هي النفخة الثانية ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالبعث ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ من القبور.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ في الآخرة.

﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾^(٤٤).

[٤٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرف له ﴿ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾ **قرأ** أبو عمرو،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) عن كعب.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣٨/٦).

والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها^(١) ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع، ونصبه على الحال؛ أي: تتشقق الأرض عنهم، فيخرجون مسرعين.

﴿ذَلِكَ﴾ الخروج ﴿حَسْرًا﴾ بعث ﴿عَلَيْنَا يَسِيرًا﴾ سهل، وهو كلام معادل لقول الكفرة: ﴿ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤٥).

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك، تسليئة له ﷺ، وتهديد لهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ بمسلط تجبرهم على الإسلام، وإنما أنت داع. قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (بِجَبَّارٍ) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح^(٢).

﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ﴾ قرأ ابن كثير (بالْقُرْآنِ)^(٣) بالنقل، والباقون: بالهمز ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أوعدت من عصاني من العذاب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٣-١٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٣٩).

(٣) «بالقرآن» زيادة من «ت».

روى ابن عباس: «أن المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾»^(١).

وتقدم اختلاف القراء في إثبات الياء وحذفها من (وَعِيدِي) في الحرف السابق، وكذلك اختلافهم في هذا الحرف، وكان رسول الله ﷺ يخطب بسورة (ق) في كثير من الأوقات؛ لاشتمالها على ذكر الله تعالى، والثناء عليه، ثم على علمه بما توسوس به النفوس، وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان، ثم تذكير الموت وسكرته، ثم تذكير القيامة وأهوالها، والشهادة على الخلائق بأعمالهم، ثم تذكير الجنة والنار، ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور، ثم بالمواظبة على الصلوات، والله أعلم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٥/٢٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٢٢٥/٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠٨/٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٧٠/٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٨/١٧).



بإجماع المفسرين مكية، وآيها: ستون آية، وحروفها: ألف ومئتان وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ (١).

[١] ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ يعني: الرياح التي تذر (١) التراب ذرواً، وذرواً (٢) نصب على المصدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وحمزة: بإدغام التاء في الذال، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام (٣).

﴿فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا﴾ (٢).

[٢] ﴿فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا﴾ أي: السحاب الموقرة بالماء.

﴿وَقْرًا﴾ ثقلاً، مفعول (الحاملات).

(١) «تذرو» زيادة من «ت».

(٢) «وذرواً» سقط من «ت».

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (١/١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٨٨-٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٣).

﴿ فَالْجَرِيدَتِ يُسْرًا ﴾ (٣).

[٣] ﴿ فَالْجَرِيدَتِ ﴾ أي: السفن.

﴿ يُسْرًا ﴾ تجري في الماء جرياً سهلاً^(١). قرأ أبو جعفر: (يُسْرًا) بضم السين، والباقون: بإسكانها^(٢)، ويسراً مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة.

﴿ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴾ (٤).

[٤] ﴿ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق؛ من الأرزاق والأمطار وغيرها على ما أمروا به، و^(٣) (أَمْرًا) مفعول (الْمُقَسَّمَتِ)، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء؛ لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ (٥).

[٥] وجواب القسم؛ ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ ﴾ من الثواب والعقاب.

﴿ لَصَادِقٌ ﴾ أي: لوعده صادق.

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفَعٌ ﴾ (٦).

[٦] ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾ أي: الحساب والجزاء ﴿ لَوْفَعٌ ﴾ لا محالة.

(١) «سهلاً» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٣).

(٣) «و» زيادة من «ت».

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [٧].

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم، جمع حبيكة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [٨].

[٨] جوابه: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة. ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ تصديق وتكذيب بمحمد، أو في قول مختلف في نفسه، قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إلى غير ذلك.

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [٩].

[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ يُصْرِفُ عن الإيمان به. ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ من صُرف عن السعادة في الأزل.

﴿فَقُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ [١٠].

[١٠] ﴿فَقُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ أي: لعن الكذابين أصحاب القول المختلف.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [١١].

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: في غلبة الجهل، غافلون عما يراد بهم.

﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١٢) .

[١٢] ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ استهزاء: ﴿ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: متى يوم الجزاء؟

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴾ (١٣) .

[١٣] قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ ﴾ أي: يكون هذا الجزاء في يوم .

﴿ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴾ يعذبون .

﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (١٤) .

[١٤] فإذا عذبوا، قيل لهم: ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي: حريقكم .

﴿ هَذَا ﴾ العذاب ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ تكديماً به واستهزاء .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة،

والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعُيُونٍ)

بكسر العين، والباقون: بضمها^(١) .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٥) .

﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿ آخِذِينَ ﴾ قابلين ﴿ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ بسرور؛ لأنه في غاية الجودة،
فليس فيه ما يُرَدُّ ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: المتقون ﴿ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ أعمالهم.

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧).

[١٧] لأنهم ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ خير (كان).
﴿ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ينامون، و(ما) زائدة، و(قليلًا) نعت لمصدر محذوف؛
أي: هجوعاً قليلاً؛ أي: كانوا في معظم الليل يصلون ويذكرون.

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قيل: يا رسول الله! كيف الاستغفار؟
قال: «قولوا: اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا؛ إنك أنت التواب
الرحيم»^(١).

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١٩).

[١٩] ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ ﴾ الطالب ﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ أي: يُحسب غنياً،
فيحرم؛ لتعففه.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٩٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٣٢)، من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ دلالات على التوحيد .

﴿ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع

النبات .

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ آيات أيضاً بتقلها من حال إلى حال، ثم إلى

الزوال .

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الصنعة، فتستدلون بها على صانعها؟

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي: المطر؛ لأنه سبب الرزق .

﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجنة؛ لأنها فوق السماء السابعة، وجميع المقدر

مكتوب في السماء .

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ ﴾ أي: هذا القول .

﴿ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴾ فتقولون: لا إله إلا الله . قرأ حمزة،

والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مِثْلُ) برفع اللام صفة لـ(حَقُّ)؛

لأنه نكرة لكثرة المماثل، و(ما) زائدة تعطي تأكيداً، وقرأ الباقون: بالنصب
صفة لمصدر محذوف^(١)؛ أي: إنه لحق حقاً مثل ما إنكم تنطقون.

قال الحسن في هذه الآية: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله
أقواماً أقسم الله لهم بنفسه، فلم يصدقوه»^(٢).

﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

[٢٤] ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام: (إِبْرَاهِمَ) بالالف،
وأبو عمرو: (حَدِيثُ ضَيْفِ) بإدغام الثاء في الضاد^(٣)، وضيف اسم جنس
يقع للجمع والواحد، وروي أن أضياف إبراهيم هؤلاء: جبريل وميكائيل
وإسرافيل، وأتباع لهم من الملائكة صلى الله عليه وعليهم.
﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ لأنهم كرام على الله، ولأن إبراهيم خدمهم هو وامرأته،
وسماهم ضيفاً؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف.

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(٤).

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)،
و«تفسير البغوي» (٤/٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٦).
- (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦/٢٠٦).
- (٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، والإدغام في «الغيث»
للصفاقسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٦).
- (٤) رواه البخاري (٥٦٧٢)، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يؤذ جاره، ومسلم (٤٧)، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار
والضيف، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلِمَ قَوْمٌ مِّنْكُمْ ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴾ عند دخولهم ﴿ سَلَامًا ﴾ مصدر؛ أي: سلموا

سلاماً.

﴿ قَالَ سَلِمٌ ﴾ عليكم، مبتدأ وخبره. قرأ حمزة، والكسائي: (سِلْمٌ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف، وقرأ الباقون: بفتح السين واللام وألف بعدها^(١)، فنكرهم، فقال: أنتم ﴿ قَوْمٌ مِّنْكُمْ ﴾ أي: غرباء لا نعرفكم.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿ فَرَاغَ ﴾ فمال^(٢) ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ سراً ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ مشوي.

﴿ فَفَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ فَفَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ ليأكلوه، فتركوه.

﴿ قَالَ ﴾ إنكاراً عليهم^(٣): ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ منه؟

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«الكشف» لمكي (١/٥٣٤)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٦/٢٤٧).

(٢) «فمال» زيادة من «ت».

(٣) «عليهم» زيادة من «ت».

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّوا وَلَا نَحِمْكُمْ وَلَا تَبْشُرُوهُ يُعَلِّمُ عَلِيمٌ ﴾ [٢٨]

[٢٨] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ فأضمر في نفسه ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنه ظنهم أعداء؛ لعدم أكلهم، ولغرابة شكلهم.

﴿ قَالُوا لَا تَحَفُّوا ﴾ روي أن جبريل مسح بجناحه العجل، فقام يمشي خلف أمه.

﴿ وَبَشَّرُوهُ يُعَلِّمُ ﴾ هو إسحق عليه السلام ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يكمل علمه إذا بلغ. قرأ ابن كثير: (وَبَشَّرُوهُ) بواو يصلها بهاء الكناية في الوصل وشبهه حيث وقع.

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَافٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [٢٩]

[٢٩] ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ ﴾ سارة إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم. ﴿ فِي صَرَافٍ ﴾ شدة صوت؛ من الصرير.

﴿ فَصَكَتْ وَجْهَهَا ﴾ لطمته بجميع أصابعها تعجباً كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً.

﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف ألد؟ والعقيم: من مُنِعَ الولد، والعقم في اللغة: المنع، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [٣٠]

[٣٠] ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الذي بشرنا به ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ وإنما نخبرك به عنه.

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ ﴾ ذو الحكمة ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بالمصالح وغير ذلك من المعلومات .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١) .

[٣١] ثم ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم - عليه السلام - للملائكة :
﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ والخطب : الأمر المهم ، وقلما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره ، حتى قالوا : خطوب الزمان ، ونحو هذا ، فكأنه يقول لهم : ما هذه الطامة التي جئتم لها ؟

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعني : قوم لوط ، والمجرم : فاعلُ الجرائم ، وهي صعب المعاصي .

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ مطبوخ بالنار ، روي أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر .

﴿ مُّسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] ﴿ مُّسَوِّمَةٌ ﴾ معلّمة ، عليها اسمٌ من يُرمى بها ، ونصبه على الحال .

﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطلقاً، فهو لأبعد الغايات: الكفر فما دونه.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في قرى لوط، وإن لم يجر لها ذكر؛ لأن ذلك معلوم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممن آمن بلوط منجياً لهم، وذلك قوله: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٦٥].

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ في مدينة قوم لوط، وهي سدوم.
﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فإنهم المعتبرون بها.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨).

[٣٨] وتعطف على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ أي: وتركنا فيه

وقصته أثراً أيضاً هو آية ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ هو صاحب مصر .
﴿ سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة ظاهرة .

﴿ فَتَوَلَّىٰ بُرْكِئِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ بُرْكِئِهِ ﴾ أعرض عن الإيمان بجمعه؛ لأنهم له كالركن
للبناء .

﴿ وَقَالَ ﴾ لموسى : هو ﴿ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ تقسيم ظن ؛ أي : إنه لا بد أن
يكون أحدهما .

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٤٠) .

[٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ فطرحناهم في البحر .
﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ والمليم : الذي أتى من المعاصي ونحوها ما يُلام عليه .

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (٤١) .

[٤١] ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ أي : في إهلاكهم آية ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ التي
لا خير فيها ، لا تلحق شجراً ، ولا تسوق مطراً ، وهي الدبور .

﴿ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٤٢) .

[٤٢] ﴿ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من أنفسهم وأموالهم .
﴿ ءَأَنْتَ ﴾ مرّت ﴿ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ البالي .

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ وَفِي ﴾ هلاك^(١) ﴿ ثَمُودَ ﴾ آيَةٌ .

﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى انقضاء آجالكم، وهي ثلاثة أيام .

﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام .

﴿ فَعَتَوْا ﴾ ترفعوا ﴿ عَنْ ﴾ امثال ﴿ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ ﴾ بعد الأيام الثلاثة . قرأ الكسائي: (الصَّعِقَةُ) بإسكان العين من غير ألف، والباقون: بكسر العين وألف قبلها^(٢)، وهي على القراءتين: الصيحة العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة، وهي التي معها النار ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ إليها نهاراً .

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب

بهم .

﴿ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴾ ممن أهلكهم .

(١) في «ت»: «إهلاك» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٨) .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٤٦).

[٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَقَوْمٍ) بخفض الميم عطفاً على (وَفِي ثَمُودَ)، وقرأ الباقون: بنصبها بمضمر^(١)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح.

﴿ مِن قَبْلِ ﴾ أي: من قبل إهلاك^(٢) هؤلاء المذكورين.

﴿ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ بالكفر والعصيان.

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧).

[٤٧] ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون.

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ مهذناها ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ نحن.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٩).

[٤٩] ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين ونوعين مختلفين، وهي إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والسماء والأرض، والسواد والبياض،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٤٨).

(٢) «إهلاك» زيادة من «ت».

والصحة والمرض، والكفر والإيمان، ونحو هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
فتعرفون الخالق فتعبّدونه .

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) .

[٥٠] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة والطاعة ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١) .

[٥١] ثم نهى عن عبادة كل مدعو من دون الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وكرر ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ حرصاً على هدايتهم .

﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٥٢) .

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: سيرة الأمم كذلك ﴿مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أي: قبل
قومك يا محمد .

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ له: أنت ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ تلخيصه: المرسلون
قبلك كُذِّبُوا كما كُذِّبْتُ .

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٥٣) .

[٥٣] ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ﴾ توقيف وتعجيب من تراود نفوس الكفرة في
تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم؛ أي: إنهم لم يتواصوا .

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ جمعهم على ذلك الطغيان، والطاغي: المستعلي
في الأرض المفسد العاتي على الله.

﴿ فَنُؤَلِّهِمْ مَا أَنْتَ بِلَوْمِهِمْ ﴾ .

[٥٤] ﴿ فَنُؤَلِّهِمْ ﴾ أي: عن الحرص المفرط عليهم، وذهاب النفس
حسرات.

﴿ فَمَا أَنْتَ بِلَوْمِهِمْ ﴾ لأنك بلغت الرسالة.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وللمن
قُضِيَ^(١) له أن يكون منهم.

قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل، فلا نسخ في الآية، إلا في معنى
الموادعة التي فيها؛ فإن آية السيف نسخت جميع الموادعات^(٢).

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال ابن عباس، وعلي بن
أبي طالب - رضي الله عنهما -: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا

(١) في «ت»: «قضي له».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٨٢/٥).

لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية^(١)، فعبّر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ إذ العبادة هي مضمن الأمر، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته.

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾ لي، ولا لأنفسهم وغيرهم.

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق.

﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الشديد القوة نعتاً لـ(ذو)، المعنى: أنا غني عنكم، فاشتغلوا بما أمرتكم به تفلحوا.

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أنفسهم بالكفر ﴿ ذُنُوبًا ﴾ نصيباً من العذاب

﴿ مِثْلَ ذُنُوبِ ﴾ نصيب ﴿ أَصْحَابِهِمْ ﴾ المراد: من تقدم من الأمم المعذبة، وهذا

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٣٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٥٥).

استعارة؛ لأن الذنوب: الدلو العظيمة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقا^(١)
الماء بالدلاء.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بالعذاب، فهو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم.
قرأ يعقوب: (لِيَعْبُدُونِي) (يُطْعِمُونِي) (يَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء فيهن وصلاً
ووقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين^(٢).

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه بالعذاب، وهو
يوم القيامة، والويل: الشقاء والهم، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً،
والله أعلم.

(١) في «ت»: «القساء».
(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٧)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢٥٠-٢٥١).



مكية بإجماع المفسرين، وآيها: تسع وأربعون آية، وحروفها ألف وثلاث مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ثلاث مئة واثنان عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ (١).

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل بالسريانية، والمراد: الذي كلم الله عليه موسى - عليه السلام -، واسمه زبير، وهو بمدين.

﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾ (٢).

[٢] ﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾ هو ما كتبه الله لموسى من التوراة، وقيل: هو القرآن ﴿مَّسْطُورٍ﴾ مكتوب، والسطر: ترتيب الحروف المكتوبة.

﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ (٣).

[٣] ﴿فِي رَقٍّ﴾ جلد، وسمي رقا؛ لأنه مرقق، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان ﴿مَّنْشُورٍ﴾ مبسوط، وهو خلاف المطوي.

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ هو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، والمعمرور: المأهول، وعمارته بالملائكة .

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ هو السماء .

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ المملوء، والجمهور على أنه بحر الدنيا، والواو الأولى للقسم، وبقايتها للعطف .

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْقِعٌ ﴾ لنازل، والمراد: عذاب الآخرة للكفار .

﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ يدفعه .

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ ﴾ تضطرب ، فتجيء وتذهب ﴿ مَوْرًا ﴾ مصدر .

﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ ﴾ كما يسير السحاب ﴿ سَيْرًا ﴾ ثم تنفتت أثناء السير حتى تصير آخرًا كالعهن المنفوش ؛ لهول ذلك اليوم .

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] والفاء في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عاطفة جملة على جملة ، وهي تتضمن ربط المعنى وتأكيده ، وإثبات الويل .
﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ للرسول ، وتقدم ذكر الويل في آخر الذاريات .

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ ﴾ والخوض : التخبط في الأباطيل تشبّه بخوض الماء ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ استهزاءً بالنبي ﷺ .

﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] وتبدل من ﴿ يَوْمِئِذٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ ﴾ يُدْفَعُونَ بعنف .

﴿إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ بأن تجمع أيديهم إلى أعناقهم، ونواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون في النار.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ [١٤].

[١٤] فإذا جُعِلوا^(١) فيها، قيل لهم تبيكيتاً: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [١٥].

[١٥] ثم قيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ العذاب ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ العذاب كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه؟!

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ادخلوها، ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿فَاصْبِرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ﴾ خبر محذوف^(٢) المبتدأ؛ أي: صبركم وجزعكم سواء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم.

﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا عذابكم حتم لا بد منه جزاء أعمالكم.

(١) في «ت»: «حصلوا».

(٢) «محذوف» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ إخبار لمحمد ﷺ ومعاصريه، لما فرغ من ذكر عذاب الكفار، عقب ذلك بنعيم المتقين؛ لبيان الفرق، ويقع التحريض على الإيمان.

﴿ فَكَهَيْنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [١٨].

[١٨] ﴿ فَكَهَيْنَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكَهَيْنَ) بغير ألف بعد الفاء، يعني: مسرورين، وقرأ الباقر: بالألف، يعني: متنعمين^(١).

﴿ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ من إنعامه ورضاه عنهم ﴿ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٩].

[١٩] ثم يقال لهم: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ أكلاً وشراباً.

﴿ هَنِيئًا ﴾ لا تنغيص فيه، ونصبه على المصدر.

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ معناه: إن رُتِبَ الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال، وأما نفس دخولها، فهو برحمة الله وتغمدته، والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء، وأعمال العباد الصالحة لا توجب

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٥٥).

على الله التنعيم إيجاباً، لكنه قد جعلها أمانة على من سبق في علمه تنعيمه،
وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال.

﴿ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٢٠)

[٢٠] ﴿ مُتَّكِينَ ﴾ نصب على الحال. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) بإسكان
الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(١) ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ صُفَّ بعضها إلى
بعض.

﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ ﴾ قرَّناهم، وليس في الجنة تزويج كالدينا ﴿ بِحُورٍ ﴾ جمع
حوراء، وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها.
﴿ عِينٍ ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين مع جمالها.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (٢١)

[٢١] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَأَتَّبَعَتْهُمْ) بقطع الألف
وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، والباقون: (وَأَتَّبَعَتْهُمْ)
بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/٢٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)،
و«تفسير البغوي» (٤/٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٥٦).

﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بألف بعد الياء على الجمع، وأبو عمرو وحده يكسر التاء والهاء، ويعقوب وابن عامر يضمانيهما، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد مع ضم التاء والهاء^(١).

﴿بِإِيمَانٍ﴾ المعنى: أن المؤمنين اتبعتهم ذريتهم، وهم أولادهم الصغار والكبار بسبب إيمانهم، فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم، وصغارهم بأن أتبعوا في الإسلام بأبائهم بسبب إيمانهم؛ لأن الولد يُحکم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه، وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام، فقال أحمد: يحكم بإسلامه، وهو من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، واختلفوا في إسلام الصبي المميز وردّته، فقال الثلاثة: يصحان منه، وقال الشافعي: لا يصحان.

﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم؛ تكرامة لأبائهم؛ لتقر بذلك أعينهم. قرأ ابن كثير، والكوفيون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع مع كسر التاء.

﴿وَمَا أَلْنَاهُمْ﴾ قرأ ابن كثير: بكسر اللام، والباقون: بنصبها^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«الكشف» لمكي (٢/٢٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٥٨).

﴿ مِنْ عَمَلِهِمْ مَنْ شَاءَ ﴾ (مِنْ) الأولى متعلقة بـ(ألتناهم)، والثانية زائدة،
 المعنى على القراءتين: ما نقصناهم من عملهم شيئاً.
 ﴿ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ ﴾ من خير وشر ﴿ زَهِينٌ ﴾ مرهون، فنفس المرء
 مرهونة بعمله، ومطالبة ومجازاة به.

﴿ وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ وَأَمَدَدْنَهُمْ ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت .

﴿ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه .

﴿ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ يَنْزَعُونَ ﴾ يتداولون بينهم ﴿ فِيهَا كَأْسًا ﴾ خمرأً .

﴿ لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾ أي: لا يُذهب عقولهم فَيَلْغُوا ويأثموا كشاربي
 خمر الدنيا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (لَا لَغْوٌ وَلَا تَأْتِيمٌ) بفتح
 الواو والميم بغير تنوين، والباقون: برفعهما مع التنوين^(١).

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ مع ذلك للخدمة .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)،
 و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦/٢٥٩).

﴿ غِلْمَانٌ ﴾ أَرْقَاءُ ﴿ لَهُمْ كَاتِبَةٌ ﴾ حسناً ولطافة .

﴿ لَوْلَوْ مَكَّنُونُ ﴾ مصون^(١) في الصَّدَف . قرأ أبو جعفر: (لَوْلَوْ) بإسكان الواو الأولى ورفع الثانية منونة من غير همز فيهما^(٢)، وأبو بكر عن عاصم، وأبو عمرو: بإبدال الهمز الأول، وبالهمز في الثاني، والباقون: بالهمز فيهما .

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أدنى أهل الجنة منزلةً مَنْ ينادي الخادمَ من خدامه، فيجيبه أَلْفُ خَادِمٍ ببابه: لَبَيْكَ لَبَيْكَ»^(٣) .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٢٥] .

[٢٥] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ بعد اجتماعهم ودوران الكأس عليهم ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يسأل بعضهم بعضاً؛ تليذاً واعترافاً بالنعمة عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه .

(١) «مصون» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٩٠-٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٥٩) .

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٢٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٣١)، من حديث عائشة رضي الله عنها . وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (٣/٣٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٦٩) .

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا ﴾ في الدنيا ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين من

عذابه تعالى .

﴿ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا ﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ اسمٌ من

أسماء جهنم، والسموم: الحار الذي يبلغ مسام الإنسان، وهو النار في هذه الآية .

﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل البعث ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ نعبده موحدين

﴿ إِنَّهُ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: بفتح الهمزة، أي: لأنه، وقرأ

الباقون: بكسرها على الاستئناف^(١) ﴿ هُوَ الْبَرُّ ﴾ المحسن الصادق في وعده
﴿ الرَّحِيمُ ﴾ العظيم الرحمة .

﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ فَذَكَرْ ﴾ دُم على تذكير المشركين ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ برحمته

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٤٢)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٦/٢٦٠) .

وعصمته، و(نِعَمَت) رُسمت بالتاء، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(١) ﴿يَكَاهِنِ﴾ هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبْرِصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾^(٣٠).

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل أيقولون: هو ﴿شَاعِرٌ نَّبْرِصٌ﴾ ننتظر.

﴿بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾^(٣١).

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ انتظروا هلاكي، وعيدٌ في صيغة أمر.

﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾ المنتظرين هلاككم، فُعدُّوا بالسيف يوم

بدر.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٣٢).

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ القول المتناقض، وهو

قولهم له ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر، وذلك أن عظماء قريش كانوا

يعرفون^(٢) بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة

الحق من الباطل.

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «يوصفون».

﴿ أَمْ هُمْ ﴾ بل هم ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحدَّ في العناد .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ ﴾ اختلقَ محمدُ القرآن .

﴿ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المعنى : لم يمتنعوا عن الإيمان بالقرآن لأنه مختلق ، بل

تكبراً .

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] فإن كان كما زعموا مختلقاً ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي : مثل

القرآن ونظمه وحسن بيانه ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في قولهم .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي : من غير مقدر .

﴿ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ لأنفسهم ، ولا بد للخلق من خالق ، فهلاًَّ يوحدون

خالقهم .

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فلا يعبدون خالقهما^(١) .

﴿ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بخالقهما .

(١) في «ت» : «خالقهم» .

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيطُونَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ ﴾ أي: مفاتيح خزائن رحمة ﴿ رَبِّكَ ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاءوا بما شاءوا. قرأ أبو عمرو: (خَزَائِنُ رَبِّكَ) بإدغام النون في الراء^(١).

﴿ أَمْ هُمُ الْمَصِيطُونَ ﴾ المسلطون الجبارون. قرأ هشام عن ابن عامر، وقبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، بخلاف عن الثاني والثالث: (الْمُصِيطُونَ) بالسين، وقرأ حمزة: بين الصاد والزاي، بخلاف عن رواية خلاد، وقرأ الباقون: بالصاد الخالصة^(٢).

﴿ أَمْ هُمْ سَامٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَا تَسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ أَمْ هُمْ سَامٌّ ﴾ يرتقون به إلى السماء ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ الوحي وكلام الملائكة، فيقولوا ما شاءوا، فإن كان كذلك. ﴿ فَلْيَا تَسْتَمِعُهُمْ ﴾ فرضاً على دعواهم ﴿ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ حجة بينة.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ ﴾ بزعمكم.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«الكشف» لمكي (٢/٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٦١-٢٦٢).

﴿وَلَكُمُ الْبُنُونَ﴾ فيه تسفيه لهم، وإشعار بأن من هذا رأيه، فلا^(١) يُعَدُّ من العقلاء.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾^(٤٠).

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإنذار ﴿فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ﴾ أي: غُرم، وهو ما يلزم أداؤه، فهم بذلك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يُسَلِّمون.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾^(٤١).

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ما فيه، ويخبرون الناس به.

﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾^(٤٢).

[٤٢] ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ مكرًا بك؛ ليهلكوك.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المهلكون^(٢) جزاء كيدهم.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤٣).

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يستحق العبادة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من

(١) في «ت»: «لا».

(٢) «المهلكون» زيادة من «ت».

الآلهة، وجميع ما في هذه السورة من ذكر (أم) استفهام غير عاطفة،
واستفهام تعالى مع علمه بهم؛ تقيحاً عليهم، وتوبيخاً لهم؛ كقول الشخص
لغيره: أجاهل أنت؟ مع علمه بجهله.

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ (٤٤)

[٤٤] ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعاً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ عليهم؛ ليعذبوا به .
﴿ يَقُولُوا ﴾ عناداً وجهلاً: ﴿ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ بعضه فوق بعض يسقينا.

﴿ فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ (٤٥)

[٤٥] ﴿ فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا ﴾ يعاينوا. قرأ أبو جعفر: (يُلَاقُوا) بفتح الياء
وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقر: بضم الياء
وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف^(١).

﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ وذلك عند النفخة الأولى. قرأ ابن عامر،
وعاصم: (يُصْعَقُونَ) بضم الياء؛ أي: يهلكون، وقرأ الباقر: بفتحها؛
أي: يموتون^(٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٢)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٦).

[٤٦] وتبدل من ﴿يَوْمَهُمْ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من الإغناء في رد العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧).

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل المعد لهم يوم القيامة، وهو القتل ببدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بالإمهال، ولا يضيق صدرك. قرأ أبو عمرو: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ) بإدغام الراء في اللام، وروي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه^(١).

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحيث نراك ونلحظك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾ (٤٩).

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صلِّ له، يعني: المغرب والعشاء.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦٣/٦).

﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم؛ أي: تغيب بضوء الصبح. **اتفق القراء** على كسرة الهمزة في (وَأَدْبَرَ النُّجُومَ)؛ إذ المعنى على المصدر؛ أي: وقت أفول النجوم وذهابها، لا جمع دبر، كما تقدم لبعض القراء في (وَأَدْبَرَ السُّجُودِ) في سورة (ق) [الآية: ٤٠]، والله سبحانه أعلم.





مكية بإجماع من (١) المتأولين، وآيها: اثنتان وستون (٢) آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وخمسة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وستون كلمة، وهي أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهراً بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سجد، وسجد معه المؤمنون والمشركون، والجن والإنس غير أبي لهب؛ فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا. وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا: إن محمداً ﷺ يقول القرآن، ويخلق أقواله، فنزلت الآية في ذلك.

وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب مالك، وتقدم التنبيه عليه في أول الشورى عند ذكر القول الآخر، وقد ذكر اختلاف الأئمة في المفصل في أول التفسير، ثم ذكر كل مذهب في محله، وهو عند أول الشورى، والحجرات، وق، وهذا المحل، والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ .

(١) «من» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ستون وآيتان».

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ يعني: الثريا، والعرب لا تقول النجم مطلقاً إلا للثريا.
 ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ سقط عند غروبه، وقيل: المراد: الجملة من القرآن إذا
 تنزلت، وذلك أنه روي أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ نجوماً؛ أي:
 أقداراً مقدرة في أوقات ما، ويجيء (هَوَى) على هذا التأويل بمعنى: نزل.
 قال ابن عطية: وفي هذا المعنى بُعد وتحامل على اللغة، ونظير هذه
 الآية قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف
 في هذه كالخلاف في تلك^(١)، وهو قسم بالنجم وقت هويّه، أو بالقرآن
 وقت نزوله.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ عن طريق
 الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو نقيض الرشد. قرأ أبو عمرو،
 وورش عن نافع: بإمالة رؤوس آي هذه السورة؛ بخلاف عنهما، وافقهما
 على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف^(٢).

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

[٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا يتكلم بالباطل عن هوى نفسه.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (١٩٥/٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)،
 و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٧/٤ وما بعدها).

﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَىٰ ﴾ [٤].

[٤] ﴿ إِنَّهُ هُوَ ﴾ أي: نطقه ﷺ بالقرآن وما يأتيه من السماء ﴿ إِلَّا وَحْيُ يُوحَىٰ ﴾ إليه، لم يقله من تلقاء نفسه.

﴿ عَالِمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [٥].

[٥] ﴿ عَالِمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ هو جبريل عليه السلام، والقوى: جمع القوة.

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ [٦].

[٦] ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ قوة شديدة في خلقه ﴿ فَاسْتَوَىٰ ﴾ فاستقر جبريل.

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ وَهُوَ ﴾ يعني: محمداً، المعنى: استوى جبريل ومحمداً ليلة المعراج.

﴿ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ عند مطلع الشمس.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [٨].

[٨] ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ قَرُبَ جبريل من محمد ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ زادَ في القُرب، والأكثرُونَ على أن هذا الدنوُّ والتدليُّ منقسم بين جبريل - عليه السلام -، ومحمد ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سدرة المنتهى.

وقال ابن عباس: «هو محمدٌ دنا وتدلّى من ربه» .

وحكي عن ابن عباس أيضاً: «هو الربُّ دنا من محمد، فتدلّى إليه؛
أي: أمرُهُ وحكمُهُ»^(١) .

قال القاضي أبو الفضل - رضي الله عنه - في كتاب «الشفاء»: فاعلم أن
ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان
ولا قرب حداً، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق: «فليس بدنو حدّاً، وإنما
دنوُّ النبي من ربه وقربُهُ منه إبانةٌ عظيم منزلة، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار
معرفة، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس،
وبسط وإكرام»^(٢) .



(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٩٧/٥)، و «تفسير البغوي»
(٢٥١/٤).

(٢) انظر: «الشفاء» للقاضي عياض (٢٠٤/١)، وقول ابن عباس السالف منه. وقال
القاضي في نهاية هذا الكلام: ويتأول فيه ما يتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء
الدنيا». وذكر الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» (٦٥/٨) ما يؤيد قولَ ابنِ
عباس الأخير بما روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دنا
الجبار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. اهـ وهذا القول
متأول على ما ذكر القاضي عياض. ومن المعلوم أن أكثر العلماء على أن هذا
الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم، أو مختص
بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى. كما ذكر النووي رحمه الله في «شرح
مسلم» (٤/٣).

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ .

[٩] ﴿ فَكَانَ قَابَ ﴾ قدر ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ بل أقرب، فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، واتضح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب قرباً بالإجابة والقبول، وإتياناً بالإحسان وتعجيل المأمول، وإنما ذكر (القَوْسَيْنِ)؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، ويقال: قاب قوسين؛ يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً؛ لأنه يقاس به الأشياء.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ الله ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ ﷺ ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ في قوله تعالى: (مَا أَوْحَىٰ) إبهام على جهة التفضيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرضُ الصلاة.

﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ .

[١١] ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر: (كَذَّبَ) بتشديد الذال؛ يعني: ما كذب قلب محمد ﷺ.

﴿ مَا رَأَىٰ ﴾ بعينه، وقرأ الباقون: بتخفيفها^(١)؛ أي: ما ارتاب القلب،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٧).

و**قرأ** ورش عن نافع: (الفُؤادُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، تلخيصه: لم يوهم القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة، بل صدَّق رؤيتها.

واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة، وخالفها ابن عباس وجمع، وتقدم الكلام في ذلك مستوفى في أول سورة الإسراء في قصة المعراج.

﴿ **أَفْتَمْرُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى** ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿ **أَفْتَمْرُونَهُ** ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب:

(أَفْتَمْرُونَةً) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف؛ أي: أتجادلونه، و**قرأ** الباقون: بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها؛ أي: أتجادلونه^(١) ﴿ **عَلَيَّ مَا يَرَى** ﴾ لأن المشركين أنكروا إسراءه ﷺ، ومشاهدته جبريل عليه السلام.

﴿ **وَلَقَدَّرَاهُ نَزْلَةَ الْآخَرَى** ﴾ (١٣).

[١٣] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ **وَلَقَدَّرَاهُ** ﴾ أي: رأى محمدٌ جبريلَ على صورته حقيقة، وعلى قول ابن عباس ومن وافقه: رأى ربه. **قرأ** ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَأَاهُ) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، =

﴿ نَزَلَتْ ﴾ مرة ﴿ أُخْرَى ﴾ لأنه ﷺ عرج إلى السماء مرات بسبب الصلوات، فكان لكل عرجة نزلة.

﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ (١٤).

[١٤] وكانت الرؤيا ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة ولا غيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلا هو تعالى، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ (١٥).

[١٥] ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عنده، وهي الجنة التي يأوي إليها الملائكة.

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿ إِذْ يَغْشَى ﴾ يَغْطِي ﴿ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ العامل في (إِذْ) (رَأَاهُ)، والمعنى: رآه في هذه الحال، و﴿ مَا يَغْشَى ﴾ معناه: من قدرة الله وأنواع الصفات التي يخترعها لها، وذلك مبهم على جهة التفخيم والتعظيم. قال ﷺ: «(رَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ اللَّهَ)»^(١).

= و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧ و ١٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥١٩/٢٢) عن عبد الرحمن بن زيد، مرسلاً. =

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعِنَ ﴾ (١٧)

[١٧] ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، أضاف الأمر للبصر.

﴿ وَمَا طَعِنَ ﴾ أي: ما جاوز ما رأى.

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨)

[١٨] ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ﴾ التي يمكن أن يراها البشر الآية ﴿ الْكُبْرَى ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (مَا رَأَى) (لَقَدْ رَأَى) بإمالة الراء والهمزة، واختلف عن هشام وأبي بكر، وأمال أبو عمرو الهمزة فقط.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ (١٩)

[١٩] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤية العين، لما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته، قال على جهة التوقيف: أرايتم هذه الأوثان وحقارتها، وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية ﴿ اللَّاتَ ﴾ صنم ثقيف بالطائف. قرأ رويس عن يعقوب: بتشديد التاء، ويمد الساكنين، وقرأ الباقون: بتخفيفها، والكسائي يقف عليها بالهاء^(١).

= وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٤٣/٩)، و«تفسير البغوي» (٢٤٨/٤)، و«تفسير القرطبي» (٩٦/١٧).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٣٢/٢ و ٣٧٩)، و«معجم =

﴿وَالْعَزَى﴾ سَمُرَةٌ كَانَتْ غُطْفَانَ تَعْبُدُهَا، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَطَعَهَا، وَاجْتَثَّ أَصْلَهَا، فَخَرَجَتْ مِنْ أَصْلِهَا شَيْطَانَةٌ، فَقَتَلَهَا.

﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

[٢٠] ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اسم علم^(١) لصنم هُذَيْلٍ وَخُرَاعَةَ، وَأَلْفَهَا مَنقَلِبَةً عَنْ يَأْ؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَنَى يَمْنِي. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (مَنَاءَةٌ) بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ، فِيمَدُ لِلاتِّصَالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا لِجَمِيعِ الْقِرَاءِ بِالْهَاءِ اتِّبَاعاً لِلرَّسْمِ^(٢) ﴿الَّتَالِئَةَ﴾ نَعْتٌ لـ(مَنَاة)؛ لِأَنَّهَا ثَالِثَةُ الصَّنَمِينَ.

﴿الْأَخْرَى﴾ نَعْتٌ ذَمٌّ، نَحْوُ: ﴿وَقَالَتْ أَخْرَبَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أَي: ضَعُفَاؤُهُمْ لِرُؤْسَائِهِمْ؛ أَي: مَنَاةُ الْحَقِيرَةِ، وَقِيلَ: اللَّاتُ وَالْعَزَى وَمَنَاةٌ كَانَتْ أَصْنَاماً مِنْ حِجَارَةٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ يَعْبُدُونَهَا، وَاشْتَقَوْا لَهَا أَسْمَاءَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَقَالُوا: مِنْ اللَّهِ: اللَّاتُ، وَمِنْ الْعَزِيزِ: الْعَزَى، وَمِنْ الْمَنَاةِ: مَنَاةٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَخْبَرُونَا أَلْهَذِهِ الْمَعْبُودَةَ قَدْرَةَ عَلَى شَيْءٍ مَا فَتَعْبُدُونَهَا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى؟! وَتَقْدِمُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

= القراءات القرآنية» (١٢/٧). وذكرها البغوي في «تفسيره» (٢٥٦/٤)، من قراءة ابن عباس وأبي صالح.

(١) «علم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢٥٧/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٧).

﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٢١).

[٢١] ولما قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، مع كراهتهم البنات، نزل إنكاراً عليهم: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ المعنى: إذا كرهتم البنات، فكيف تجعلون لكم البنين، وله تعالى البنات!؟

﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيْرَى﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيْرَى﴾ جائزة؛ حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قرأ ابن كثير: (ضِيْرَى) بالهمز؛ من ضأزه يضأزه ضأزاً، وقرأ الباقون: بغير همز^(١)؛ من ضأزه يضيْزه ضيْراً.

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿إِنَّ هِيَ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ لا حقيقة تحتها من نفع أو ضرر ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ﴾ آلهة تخرُّصاً. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بتلك الأسماء ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة على تسميتهم، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة، فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في قولهم: إنها آلهة ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ الخبيثة مما زين لهم الشيطان. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ على لسان الرسل.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤/٧).

﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ ﴾ (أَمْ) منقطعة ، والهمزة فيها للإنكار ، المعنى : ليس للكافر .

﴿ مَا تَمَنَّى ﴾ من شفاعة الأصنام .

﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ (٢٥) .

[٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ يحكم فيهما بما يريد ، فالأمر كله لله .

﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ إن شفعا لا يشفعون .

﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يشفع له ﴿ وَيَرْضَى ﴾ عنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ لأنهم قالوا : الملائكة بنات الله .

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [٢٨]

[٢٨] ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ ﴾ أي: بذلك القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ فإنه^(١) لا اعتبار له في المعارف الحقيقية .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٢٩]

[٢٩] ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ ﴾ إبلاغ ﴿ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ عن العمل بالقرآن .

﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ ﴾ [٣٠]

[٣٠] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ لا يتجاوزه علمهم .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ ﴾ أي: هو أعلم بالفريقين ، فيجازيهم .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [٣١]

[٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فهذا معترض بين الآية الأولى ،

(١) في «ت»: «فإن» .

وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمَلُوا﴾ من الشرك، فاللام في (لِيَجْزِيَ) متعلق بمعنى الآية: إذا كان أعلم بهم، جازى كلاً بما يستحقه.

﴿وَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وَحَدُوا رَبَّهُمْ ﴿يَا حَسَنِي﴾ بالجنة.

﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَقَ﴾ (٣٢).

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ الشرك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِير) بكسر الباء من غير ألف ولا همز على التوحيد، والباقون: بفتح الباء وألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع (١).

﴿وَالْفَوَاحِشِ﴾ ما فحش من الذنوب ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع، واللمم: ما صغر من الذنوب؛ كالغمزة والنظرة واللمسة والقبلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن فعل ذلك وتاب.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من تراب.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، سمي جنيناً؛ لاجتنانه؛ أي (٢): استتاره في البطن.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٧).

(٢) «لاجتنانه؛ أي» زيادة من «ت».

﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم،
 وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ
 الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك^(١).
 ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ تُثْنُوا عليها ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ وأخلص العمل.

﴿ أَفْرَاءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٣).

[٣٣] كان الوليد بن المغيرة المخزومي قد سمع قراءة النبي ﷺ،
 وجلس إليه، ووعظه رسول الله ﷺ، فقرب إلى الإسلام، وطمع النبي ﷺ
 فيه، ثم إنه عاتبه رجل من المشركين، وقال له: أترك ملة آباتك؟ ارجع إلى
 دينك، اثبت عليه، وأنا أتحمل لك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على
 أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عما همَّ به
 من الإسلام، وضل ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل،
 ثم أمسك عنه وشحَّ، فنزل: ﴿ أَفْرَاءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾^(٢) عن الإيمان.

﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿ وَأَعْطَى ﴾ صاحبه ﴿ قَلِيلًا ﴾ من ماله ﴿ وَأَكْدَى ﴾ قطع عطيته بخلاً،
 وأصله من الكدئية: أرضٌ صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر من النفوذ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٩)، و«معجم
 القراءات القرآنية» (١٧-١٦/٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٥٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٢٦٢)،
 والقرطبي في «تفسيره» (١٧/١١١) عن ابن زيد ومقاتل.

﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ أعلم من الغيب أن من تحمل ذنوب أحد، فإن المتحمل عنه ينتفع بذلك ﴿ فَهَوْ ﴾ لهذا الذي علمه ﴿ يَرَى ﴾ الحق، وله فيه بصيرة؟! .

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ (٣٦) .

[٣٦] ﴿ أَمْ ﴾ هو جاهل ﴿ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ يعني: أسفار التوراة. قرأ أبو جعفر: (يُنَبِّأ) بإبدال الهمز، والباقون: بالهمز (١) (٢) .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٣٧) .

[٣٧] ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (أَبْرَاهِمَ) بالألف، والباقون: بالياء (٣) ﴿ الَّذِي وَفَّى ﴾ أي: تمم ما أمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه .

عن أبي ذر الغفاري (٤) - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! كم من كتاب أنزل الله - عز وجل -؟ قال: «مئة كتاب، وأربعة كتب،

(١) «الباقون: بالهمز» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٧) .

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٧) .

(٤) «الغفاري» زيادة من «ت» .

أنزل الله^(١) على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل الله^(٢) التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»، قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً: أيها الملكُ المبتلى المغرور! إنني لم أبعثك فتجمع الدنيا بعضَها إلى بعض، ولكن بعثتك، تردُّ دعوة المظلوم، فإني لا أردّها، وإن كانت من كافر، وكان فيها أمثال منها: على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له ساعات: ساعة ينجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

ويأتي ما نقل من صحف موسى آخر سورة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى).

﴿الْأَنْزُرُ وَالزَّرَةُ وَالزَّرَ أُخْرَى﴾ (٣٨)

[٣٨] ثم بين تعالى ما في صحفهما، فقال: ﴿الْأَنْزُرُ وَالزَّرَةُ وَالزَّرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحمل حاملة حمل غيرها بأن تؤخذ يائهما، وفي هذا إبطال قول من قال للوليد بن المغيرة: إنه يحمل عنه الإثم.

(١) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

(٢) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .

[٣٩] وتعطف على ﴿ أَلَا نُزِرُ ﴾ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ عمل ونوى، أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت، فلكون النواوي له كالنائب عنه .

واختلف الأئمة فيما يُفعل من القرب؛ كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة^(١)، ويُهدى ثوابه للميت المسلم، فقال أبو حنيفة وأحمد: يصل ذلك إليه، ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته، وقال الشافعي ومالك: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية، وفي الحج، وأما في غير ذلك من الطاعات؛ كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره، لا يجوز، ويكون ثوابه لفاعله، وعند المعتزلة: ليس للإنسان جعلُ ثواب عمله في شيء من الأعمال لغيره، ولا يصل، ولا ينفعه .

واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج، فقال أبو حنيفة ومالك^(٢): يسقط عنه الحج بالموت، ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك، وقال الشافعي وأحمد: لا يسقط عنه، ويلزم الحج عنه من رأس ماله .

واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه، هل يصح أن يحج عن غيره؟ فقال أبو حنيفة ومالك: يصح، ويجزىء عن الغير مع الكراهة، وقال الشافعي وأحمد: لا يصح، فلو فعل، وقع عن نفسه .

وأما الصلاة، فهي عبادة بدنية، لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق، وعند أبي حنيفة: إذا مات وعليه صلوات، يعطى لكل صلاة

(١) «والصدقة» زيادة من «ت» .

(٢) «ومالك» زيادة من «ت» .

نصف صاع بر، أو صاع من تمر، أو شعير، أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين، وليس للمدفع إليه عدد مخصوص، فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات، ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين، ثم لا بد من الإيضاء بذلك، فلو تبرع الورثة بذلك، جاز من غير لزوم، وهو من مفردات مذهبه، وهو (١) خلاف (٢) للثلاثة.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ [٤٠].

[٤٠] ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ في ميزانه يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴾ [٤١].

[٤١] ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ ﴾ أي: يُجْزَى (٣) العبدُ سعيه ﴿ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴾ الأكمل، والقراءة بفتح (أَنَّ) على أن (٤) هذا كله في صحف موسى.

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ أي: الانتهاء، وهو رجوع الخلائق إليه تعالى بعد الموت، فيجازيهم.

(١) «وهو» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «خلفاً».

(٣) «أي يجزى» زيادة من «ت».

(٤) «على أن» زيادة من «ت».

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ذكر الضحك والبكاء ؛ لأنهما صفتان تجمعان أوصافاً كثيرة من الناس ؛ إذ الواحدة دليل السرور ، والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة ، فنبه تعالى بهاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ ﴾ في الدنيا .

﴿ وَأَحْيَا ﴾ للبعث ، فلا يقدر على الإماتة والإحياء غيره .

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ الصنفين ﴿ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ من كل حيوان .

﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ تُرَاق في الرحم .

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى ﴾ الخلقة ﴿ الْآخِرَى ﴾ للبعث بعد الموت . وتقدم

اختلاف القراء في (النَّشَأَ) في سورة العنكبوت .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ ﴾ الناس بالكفاية والأموال .

﴿ وَأَقْنَىٰ ﴾ أعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء، وهما

شعريان، يقال لأحدهما: العبور، وهي اليمانية، وللأخرى: الغميصاء، والمراد هنا: العبور، وهي أشد ضياء، عبدها أبو كبشة من خزاعة، وخالف قريشاً في عبادة الأوثان، فلذلك كانوا يسمون النبي ﷺ: ابن أبي كبشة؛ لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعري . **قرأ** أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنَّهُ هُوَ) بإدغام الهاء في الهاء في الأحرف الأربعة؛ بخلاف عن رويس^(١) .

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو،

ويعقوب: (عادً الأولى) بإدغام التنوين في اللام وتشديدها مضمومة بلا همز بعدها، على أنهم لم يحركوا التنوين؛ لالتقاء الساكنين، بل أدغموه في لام التعريف بعد أن حركوا اللام بحركة الهمزة التي هي فاء الفعل حتى ساغ

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢٠) .

الإدغام فيه، **وقرأ** الباقون وهم: ابن كثير، والكوفيون، وابن عامر: بكسر التنوين؛ لاجتماع الساكنين، وإسكان اللام، وتحقيق الهمزة بعدها^(١)، وهذا حكم الوصل، وأما حكم الابتداء، فيجوز في مذهب أبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وأبي جعفر إذا لم يهمزوا الواو ثلاثة أوجه: (الأولى) بإثبات همزة الوصل وضم اللام بعدها، الثاني: (لولى) بضم اللام وحذف همزة الوصل قبلها اكتفاء عنها بتلك الحركة، الثالث: (الأولى) ترد الكلمة إلى أصلها، فتأتي بهمزة الوصل وإسكان اللام وتحقيق الهمزة المضمومة بعدها، وعن قالون في الابتداء بها في وجه همز الواو [ثلاثة أوجه: الأول: (الولى) بهمزة الوصل وضم اللام وهمزة ساكنة على الواو]^(٢)، والثاني: (لولى) بضم اللام وحذف همزة الوصل وهمز الواو، الثالث: (الأولى) كوجه أبي عمرو الثالث، وعن أبي جعفر في هذه الأوجه الثلاثة خلاف، وكلهم يقف على (عاداً) بالألف؛ لأنها بدل من التنوين؛ لأنه اسم رجل، وعاد الأولى هم قوم هود، أهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، فكانوا عاداً الأولى.

﴿وَتَمُودًا مِمَّا أَبْقَى﴾.

[٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ هم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة. **قرأ** عاصم،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤١٠-٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢١-٢٢).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

وحمزة، ويعقوب: بغير تنوين: اسم للقبيلة، وقرأ الباقون: بالتنوين^(١):
اسم للأب، منصوب بأهلكتنا مقدره، وكل من نَوَّنَ وقف بالألف، ومن لم
ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم
منصوطة ﴿فَمَا أَتَى﴾ منهم أحداً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أهلكتناهم أيضاً ﴿مِن قَبْلِ﴾ أي: قبل عاد وثمود
﴿إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى﴾ لطول دعوة نوح إياهم، وعتوهم على الله
بالمعصية والتكذيب.

﴿وَالْمُؤَنَّفَكَةَ أَهْوَى﴾^(٥٣).

[٥٣] ﴿وَالْمُؤَنَّفَكَةَ﴾ قرى قوم لوط. قرأ أبو جعفر: (وَالْمُؤَنَّفَكَةَ)
بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، واختلف عن قالون^(٢).
﴿أَهْوَى﴾ أسقط؛ لأن جبريل - عليه السلام - رفعها إلى السماء، ثم
أسقطها مقلوبة إلى الأرض.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٩٠)، و«إتحاف فضلاء
البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٣/٧).

﴿ فَعَشَّهَا مَا عَشَى ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ فَعَشَّهَا ﴾ ألبسها الله ﴿ مَا عَشَى ﴾ ولم يذكر المغشى؛ تهويلاً
لشأنه .

﴿ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ ﴾ أي: أنعمه الدالة على الوحداية أيها الإنسان
﴿ نَتَمَارَى ﴾ تشكك، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: غيره. قرأ يعقوب:
﴿ رَبِّكَ تَمَارَى ﴾ بناء واحدة مشددة حيث قرأها بالوصل، وأما إذا ابتداء بقوله
﴿ نَتَمَارَى ﴾، أظهر التاءين جميعاً؛ لموافقة الرسم والأصل، وبذلك قرأ
الباقون^(١)؛ فإن الإدغام إنما يتأني في الوصل، وهذا بخلاف الابتداء بتاءات
البيزي في البقرة؛ فإنها مرسومة بتاء واحدة، فكان الابتداء كذلك موافقة
للرسم، فلفظ الجميع في الوصل واحد، والابتداء مختلف؛ لما ذكر.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذُرِ الْأُولَى ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ هَذَا نَذِيرٌ ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ مِّنَ النَّذُرِ ﴾ أي: الرسل .
﴿ الْأُولَى ﴾ يعني: من جنسهم أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧/٢٤) .

﴿ أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ ﴾ (٥٧).

[٥٧] ﴿ أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ ﴾ قربت القيامة .

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي : كاشف مزيل لها إذا جاءت ،
والهاء للمبالغة .

﴿ أَفِئْنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿ أَفِئْنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي : القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ تكذيباً . قرأ أبو عمرو :
(الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ) بإدغام التاء في التاء (١) .

﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (٦٠).

[٦٠] ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ استهزاء ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ مما فيه من الوعيد .

﴿ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾ (٦١).

[٦١] ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾ لاهون .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦ / ٢٤) .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ سجود التلاوة، أو صلوا المفروضات ﴿ وَاعْبُدُوا ﴾

وحدوا، وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وهو قول عمر بن الخطاب؛ لأنه صح عن رسول الله ﷺ أنه سجد بالنجم، وليس يراها مالك - رحمه الله -؛ لما روي عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - : «أنه قرأ على النبي ﷺ: ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ، فلم يسجد فيها»^(١)، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة هل هو واجب أو مسنون عند سجدة مريم، والله سبحانه أعلم.



(١) رواه البخاري (١٠٢٢)، كتاب: أبواب سجود القرآن، باب: من قرأ السجدة ولم يسجد، ومسلم (٥٧٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة.



مكية، وقال بعضهم: إلا قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ الآية، وآيها: خمس وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وثلاثة وعشرون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة واثنان وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

[١] ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ﴾ دَنَتْ الْقِيَامَةُ ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

[٢] روي أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراءَ بينهما^(١)، ورئي فرقتين: فرقة على قُعَيْقَعَانَ، وفرقة على أبي قُبَيْس^(٢)، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّارَ،

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: انشقاق القمر، ومسلم

(٢٨٠٢)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، من حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية»، كما في «الدر المنثور» (٦٧١/٧) وذكره القرطبي في =

فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناها^(١)، فنزلت الآية:

﴿ وَإِنْ يَرَوْا ﴿ عَائِيَةً ﴾ قريش أي: قريش ﴿ عَائِيَةً ﴾ دالة على معجزة محمد ﷺ؛
كانشفاق القمر ﴿ يَعْرِضُونَ ﴾ عن الإيمان بها.

﴿ وَيَقُولُوا ﴾ هذا ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ أي: ذاهب، سوف يبطل؛ من قولهم:
مر: إذا ذهب، وقيل: معناه: دائمٌ متماداً، ومعنى تسمية ما جاءت به
الأنبياء معجزة: هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بها.

﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾.

[٣] ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾ النبي ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ في الباطل.

﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ ﴾ من الخير والشر ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ بأهله في الجنة أو في^(٢)
النار. قرأ أبو جعفر: (مُستَقَرٌّ) بخفض الراء نعتاً لـ (أمر)؛ أي: اقتربت
الساعة، واقترب كل أمر مستقرٌ يستقرُّ ويتبين حاله، وقرأ الباقون: برفعها
على المعنى الأول^(٣).

= «تفسيره» (١٢٧/١٧) عن ابن عباس. وقعيقان وأبو قيس هما جبلا مكة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨٥/٢٧)، ومن طريقه: الثعلبي في «تفسيره»
(١٦٢/٩). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٦/٢)، ومن طريقه: ابن
عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٥/٤).

(٢) «في» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢٧٢/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٨٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٩/٧).

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ في القرآن ﴿ مِنْ الْأَنْبَاءِ ﴾ المتقدمة عن الأمم

الماضية .

﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ مُتَّعِظٌ ، زجرته وازدجرته : نهيته .

﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ حِكْمَةٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : هذا حكمة .

﴿ بَلِغَةٌ ﴾ تامة قد بلغت الغاية .

﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ نفي واستفهام توبيخ . وقف يعقوب (تُغْنِي) بإثبات

الياء ، والنذر : جمع نذير^(١) .

﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرِهُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ فَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : لا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وتم القول

في قوله : (عَنْهُمْ) ، ثم ابتداء وعيدهم فقال :

﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ هو إسرافيل عليه السلام ، ونصب (يَوْمَ) بـ: اذكر

مقدرة . قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر ، وورش : (الدَّاعِي) بإثبات الياء وصلأً ،

ويعقوب والبزي : بإثباتها وصلأً ووقفأً ، والباقون : بحذفها في الحالين^(٢) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٣٠) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ فطبع، تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهد مثله. قرأ ابن كثير: (نُكْرٌ) بإسكان الكاف، والباقون: بضمها^(١).

﴿خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾

[٧] ﴿خُشَعًا﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (خَاشِعًا) بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين بعدها مخففة على الواحد، وقرأ الباقون: (خُشَعًا) بضم الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف^(٢)، جمع خاشع، حال العامل فيها (يَدْعُو)، وصاحب الحال ضمير محذوف تقديره: يدعوهم الداعي، ولم يؤنث خاشع؛ لأن تأنيثه غير حقيقي.

﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وخص الأبصار بالخشوع؛ لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ لكثرتهم وما بهم من الخوف والحيرة.

﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ مُنْبِتٌ لا يدرون أين يذهبون.

= (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧-٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠-٣١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ مَهْطِعِينَ ﴾ حال من (يَخْرُجُونَ)؛ أي: مسرعين مادي أعناقهم.

﴿ إِلَى الدَّاعِ ﴾ إلى صوت إسرئيل. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو:
(الدَّاعِي) بإثبات الياء، وابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً،
والباقون: بحذفها في الحاليين^(١).

﴿ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ صعب شديد.

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قريش ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ نوحاً ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ نوحاً؛
أي: كذبوه تكديباً بعد تكذيب، فكان كلما ذهب قرن مكذب، تبعه قرن
مكذب.

﴿ وَقَالُوا ﴾ هو ﴿ مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴾ انتهر وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية.

﴿ فِدَعَارَبَهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرُ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ فِدَعَا ﴾ نوح ﴿ رَبِّهِ ﴾ منتصراً عليهم ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرُ ﴾ لي

منهم .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٣٢/٧).

﴿ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ (١١) .

[١١] ﴿ فَفَنَحْنَا ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها^(١) ﴿ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ كثير سريع الانصباب، لم ينقطع أربعين يوماً.

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْفُورٍ ﴾ (١٢) .

[١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ أي: جعلنا ﴿ الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ كلها تنبع. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عِيُونًا) بكسر العين، والباقون: بضمها^(٢) ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أي: ماء الأرض وماء السماء، فصارا ماء واحداً.

﴿ عَلَى أَمْرٍ ﴾ أي: حال ﴿ قَدْفُورٍ ﴾ مضى عليهم، وهو الغرق.

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسُرٍ ﴾ (١٣) .

[١٣] ﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ أي: نوحاً ﴿ عَلَى ﴾ سفينة ﴿ ذَاتِ الْوَجِّ ﴾ هي خشباتها العراض.

﴿ وَدُسُرٍ ﴾ جمع دسار؛ أي: المسامير التي تشد بها الألواح.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣/٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٣٣/٧).

﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بحفظنا وحمایتنا ﴿ جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴾ يعني: فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمن جُحد أمره، وهو نوح ﷺ.

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴾ (١٥).

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا ﴾ أي: أبقينا السفينة بباقردي من بلد الجزيرة حتى أبصرها أوائل هذه الأمة، أو أبقينا الفعلة بقوم نوح. ﴿ آيَةً ﴾ يُعتبر بها ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴾ معتبر خائفٍ مثل عقوبتهم.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ استفهام تعظيم، ووعيد لقريش، والنذر هنا جمع نذير، المعنى: كيف كان عاقبة إنذارني لمن لم يحصل به كأنتم أيها القوم. قرأ ورش عن نافع: (وَنُذْرِي) في الأحرف الستة بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٣٤-٣٥).

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ سهَّلناه للتلاوة والحفظ عن ظهر قلب .

﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ استدعاء وحض على ذكره وحفظه ؛ لتكون زواجره وعلومه وهدايته حاضرة في النفس ، وقيل : معناه : هل من طالب علم ، فيعان عليه .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِى وَنَذْرِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهي قبيلة ، وتقدم قصصها .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِى وَنَذْرِ ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ شديدة الهبوب .

﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ﴾ شؤم ﴿ مُسْتَمِرٍّ ﴾ صفته ؛ أي : دائم الشؤم .

﴿ تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ تَنْزِعُ النَّاسُ ﴾ تقلعهم عن أماكنهم ؛ لأنهم كانوا يدخلون

الشعاب ، ويحفرون الحفر يندسون فيها ، فكانت الريح تقلعهم ، وتصرعهم على رؤوسهم ، فتدقُّ رقابهم ، فيبين الرأس عن الجسد .

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ ﴾ أصول ﴿ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ منقلع ، وشبهوا بالنخل ؛ لطولهم ،

وذكر منقعر حملاً على لفظ (نخل)، ولو حمل على المعنى، لأنث؛ ك
﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٢١).

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ كرره للتحويل.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ تقدم تفسيره.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ بالإنذار الذي جاءهم به صالح عليه السلام.
قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) بإدغام التاء في
الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار^(١).

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا نَبِّعُهُ؛ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا﴾ وانتصابه بفعل يفسره.

﴿نَبِّعُهُ﴾ ونحن جماعة كثيرة، فكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس

بملك؟

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٣٥).

﴿ إِنَّا إِذْ أَلْفَيْهِ ضَلَّلِمْ ﴾ خَطَأً ﴿ وَسُعْرٍ ﴾ جنون إن اتبعناه .

﴿ أَلْفَيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ أَلْفَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ الوحي ﴿ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ ونحن أحقُّ به منه .
واختلاف القراءة في الهمزتين من (أَلْفَيْهِ) كاختلافهم فيهما من (أَنْزَلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ) في سورة ص [الآية : ٨] ﴿ بَلْ هُوَ كَذَابٌ ﴾ في قوله ، ﴿ أَشْرٌ ﴾ متكبر
بَطْر .

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ قرأ ابن عامر ، وحمزة : (سَتَعْلَمُونَ) بالخطاب على
معنى : قل يا صالح لهم ، وقرأ الباقون : بالغيب ؛ أي : يقول الله :
سيعلمون^(١) .
﴿ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُ ﴾ وقوله : (غَدًا) تقريب يريد به الزمان
المستقبل ، لا يوماً بعينه^(٢) .

﴿ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّا لَهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ ﴾ مخرجوها ، وذلك أنهم تعنتوا على صالح ،

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«تفسير البغوي» (٤/٢٧٦) ، و«معجم
القراءات القرآنية» (٧/٣٦-٣٧) .

(٢) من قوله : «لهم عقب . . .» (ص : ٤٥٢) إلى هنا سقط من «ش» .

فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله لهم: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ ﴾ .

﴿ فَنِنَّةٌ لَهُمْ ﴾ اختباراً لهم ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ فانظر هلاكهم ﴿ وَأَصْطِرِّ ﴾ على أذاهم .

﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ ﴾ مقسوم ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين الناقة، فيومٌ لهم ويومٌ لها .

﴿ كُلُّ شِرْبٍ ﴾ نصيب من الماء ﴿ مُحْضَرٌ ﴾ يحضره من كان نوبته، هم أو الناقة .

﴿ فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] فهموا بقتلها ﴿ فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ ﴾ قدار بن سالف .

﴿ فَنَعَاطَى ﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿ فَعَقَرَ ﴾ الناقة ؛ أي : قتلها .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ (٣٠) .

[٣٠] ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ ﴾ (٣١) .

[٣١] ثم بين عذابهم فقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ هي صيحة

جبريل عليه السلام ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ ﴾ هو الرجل يجعل لغنمه

حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم،
فهو هشيم، وقيل: هو ييس الشجر إذا تحطم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

[٣٢] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾

[٣٣] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ ﴾

[٣٤] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى .

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ ﴾ يعني: لوطاً وابنتيه، والاستثناء منقطع .

﴿ نَجَّيْنَاهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ بِسَحْرِ ﴾ وهو السدس الآخر من الليل .

﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْرِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[٣٥] ﴿ نِعْمَةٌ ﴾ أي: جعلناه نعمة عليهم ﴿ مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ حيث أنجيناهم .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ كما أنعمنا على آل لوط ﴿ نَجْرِي مَنْ شَكَرَ ﴾ أَنْعَمْنَا، وهو

مؤمن .

﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ ﴾ لوط ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب .

﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ شكوا في الإنذار .

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ . فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ﴾ ليخبثوا بهم ، فصدهم وأغلق بابه ، فعالجوا فتحه ، فقالت الملائكة : خلّ بيننا وبينهم ، ففتحه ، فصفقهم جبريل بجناحه .

﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ مسحناها ، فصاروا عمياً لا يبصرون ، فثمّ قالت الملائكة إخباراً عنه تعالى : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي : وما أنذركم به لوط .

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ نصب على الظرف ، وصرفت ؛ لتكبيرها ؛ أي : حل بهم وقت الصبح ﴿ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ دائم متصل .

﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ كرر ذلك في كل قصة؛ لأن التخويف والوعظ متى كررا، كانا أوقع في القلوب، وأردع للنفوس .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ هما موسى وهارون . واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ آلَ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية : ٦٥] .

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ كَذَّبُوا ﴾ أي : كذب فرعون وقومه ﴿ بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعني : الآيات التسع ، وهي : اليد ، والعصا ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وحل عقدة من لسانه ، وانفلاق البحر .

﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ ﴾ غالب في انتقامه ﴿ مُقْتَدِرٌ ﴾ قادر على إهلاكهم .

﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ أَكْفَارُكُمْ ﴾ يا قريش ﴿ خَيْرٌ ﴾ أشد وأعظم ﴿ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ ﴾

المذكورين من قوم نوح إلى فرعون؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار .

﴿أَمْرٌ لَكُمْ بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي: الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ جهلاً منهم ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ أي: ممتنع لا نُضَام، ووحد منتصر؛ لأنه وصف للفظ (جميع).

﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [٤٥].

[٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾^(١) قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (سَنَهْزِمُ) بالنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب (الجمع) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالياء^(٢) ورفعها (الجمع) رفع على غير تسمية الفاعل، المعنى: ينصر تعالى رسوله، ويهزم جمع المشركين.

﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، فهزموا بيدر.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٩/٢٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٧٠/٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢٧٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٠/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/٧).

﴿ بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴾ (٤٦) .

[٤٦] ﴿ بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ ﴾ بالتعذيب ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي: عذابها .

﴿ أَذْهَىٰ ﴾ أعظم داهية ﴿ وَأَمْرٌ ﴾ أشدُّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر .

﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ (٤٧) .

[٤٧] ﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ ﴾ المشركين .

﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ في الدنيا ﴿ وَسُعْرٍ ﴾ نيران في العقبى .

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨) .

[٤٨] وسعر مطروف ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ويقال لهم:

﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي: حر النار؛ فإن مسها سبب للتألم بها، وسقر:

علم لجهنم، ولذلك لم يصرف .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤٩) .

[٤٩] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ ﴾ نصب لفعل يفسره ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ أي: بتقدير

سابق .

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِجٍ بِالْبَصْرِ ﴾ (٥٠) .

[٥٠] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا ﴾ بشيء نريد تكوينه .

﴿إِلَّا وَاحِدَةً﴾ أي: كلمة واحدة ﴿كَلِمَةٍ﴾ كنظر سريع ﴿يَالْبَصِرِ﴾
بالعين.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم^(١).
﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ فيخاف.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ مبتدأ، نعته ﴿فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب خبره.
﴿فِي الزُّبُرِ﴾ في كتب الحفظ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الخلق وأعمالهم وأجالهم.
﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب محفوظ.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ﴾ بساتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ أي: أنهار، وتوحيده
على أنه اسم الجنس، وهي أنهار الماء واللبن والعسل والخمر في الجنة.

(١) «ممن قبلكم» زيادة من «ت».

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ مكان مرضي مُقْرَيْن . قرأ أبو عمرو: (مَقْعَدِ صِدْقٍ) بإدغام الدال في الصاد^(١) .

﴿ عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ عزيز الملك ﴿ مُّقْدِرٍ ﴾ قادر^(٢) لا يعجزه شيء، وهذا إشارة إلى الرتبة والقربى، والله أعلم .



-
- (١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٢/٧) .
- (٢) «قادر» زيادة من «ت» .



مكية على الأصح، نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠]، وفي السيرة: أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش، فضربوه، وذلك قبل الهجرة^(١)، وآيها: ثمان وسبعون آية^(٢)، وحروفها: ألف وست مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وإحدى وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾.

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مبالغة الرحمة، وهو اسم لا يوصف به غيره سبحانه، وقال الجمهور: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ جزء آية، وهو مبتدأ.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.

[٢] خبره ﴿عَلَّمَ﴾ محمداً ﷺ ﴿الْقُرْآنَ﴾ بواسطة جبريل عليه السلام،

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/١٥١).

(٢) في «ت»: «سبعون وثمان آيات».

وقيل: مَنْ به وَعَلَّمَهُ النَّاسَ، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١). قرأ ابن كثير: (الْقُرْآنَ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٢).

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾.

[٣] ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، كلها نص^(٣) على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾.

[٤] ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ أسماء كل شيء، والبيان: هو إظهار المعنى وإيضاحه عما كان مستوراً قبله، وقيل: المراد بالإنسان: اسم الجنس، وبالبيان: النطق والفهم والإبانة عن ذلك، وذلك هو الذي ميز به من سائر الحيوان، وهذه الأفعال الثلاثة مع ضمائرها أخبار مترادفة للرحمن، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد؛ كما تقول: زيد أغناك

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٤٥).

(٣) في «ت»: «نصب».

بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد،
فما تنكر من إحسانه .

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ .

[٥] ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ رفع بالابتداء، وهذا ابتداء تعديد نِعَم، المعنى:
الشمس والقمر يجريان ﴿ بِحُسْبَانٍ ﴾ بحساب معلوم، ومنازل معدودة؛
ليعرف الإنسان بذلك الأوقات، والحسبان - بالضم -: مصدر حَسَبْتُ
الحساب - بفتح السين - أحسبه - بضمها - حَسِباً وحِسَاباً وحِسْبَةً .

﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ .

[٦] ﴿ وَالنَّجْمُ ﴾ ما ليس له ساق من النبات؛ كاليقطين، وقيل: المراد:
نجوم السماء .
﴿ وَالشَّجَرُ ﴾ ماله ساق تبقى في الشتاء ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ وسجودهما سجود
ظلهما، وفي النجم بالغروب ونحوه، وثنى ضمير (يسجدان) نظراً إلى
لفظهما، وسمي نجماً؛ لأنه نجم؛ أي: ظهر وطلع، وسمي الشجر؛ من
اشتجار غصونه، وهو تداخلها .

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ .

[٧] ﴿ وَالسَّمَاءَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ رَفَعَهَا ﴾ سقفاً لمصالح العباد .
﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أمر بالعدل .

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ لثلاثا تجاوزوا العدل .

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ﴾ أي : وزنكم بالميزان المعروف ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾

بالعدل .

﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ لا تنقصوا الموزون ، خسرت الشيء - بالفتح - ،

وأخسرته : نقصته .

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ نصب بفعل يفسره .

﴿ وَضَعَهَا ﴾ بسطها ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ الخلق الذين بثهم فيها .

﴿ فِيهَا فَكَّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ فِيهَا فَكَّهَةٌ ﴾ يعني : أنواع الفواكه ﴿ وَالنَّخْلُ ﴾ عطف على

(فاكهة) .

﴿ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أوعية ثمر النخل ، وهو الطلع ، جمع كِمٍّ ، وكل ما ستر

شيئاً ، فهو كم ، ومنه كُمُّ القميص .

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ [١٢].

[١٢] ﴿ وَالْحَبُّ ﴾ هو البر والشعير ونحوهما ﴿ ذُو الْعَصْفِ ﴾ التبن وورق النبات اليابس .

﴿ وَالرَّيْحَانُ ﴾ هو الرزق في قول ابن عباس والأكثرين، وقيل: هو المشموم. قرأ ابن عامر: (وَالْحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) بنصب الثلاثة الأسماء عطفاً على (الأرض)؛ أي: وضع الأرض، وخلق الحب، وخلق الريحان، وكذا كتب (ذَا الْعَصْفِ) في المصحف الشامي بالألف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالْحَبُّ)^(١) و(ذُو) بالرفع، (وَالرَّيْحَانِ) بخفض النون عطفاً على (الْعَصْفِ)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة عطفاً على (النَّخْلُ)^(٢)؛ أي: والحب ذو العصف، وذو الريحان، فحذف (ذو)، وأقيم (الريحان) مقامه، و(ذُو الْعَصْفِ) في مصاحفهم بالواو، فذكر تعالى قوت الناس والأنعام.

﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [١٣].

[١٣] ثم خاطب الجن والإنس فقال: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ ﴾ جمع آلى؛ كقفا؛ أي: بأي أنعم ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ روى الأصبهاني عن ورش: [فَبِأَيِّ]

(١) «والحب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٦/٧).

بالإبدال حيث وقع بالفاء، واختلف عنه فيما تجرد عن الفاء نحو^(١) [بَائِي] أَرْضٍ تَمُوتُ (بَائِكُمْ الْمُفْتُونُ)، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمز^(٢)، وكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة؛ تقريراً للنعمة، وتذكيراً بها، وتوبيخاً لمنكريها، ومن عادة العرب إذا ذكروا النعم أن يفصلوا بين كل نعمتين بما ينبه عليهما؛ نحو: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ [ألم تكن جائعاً فأطعمتك، أفتنكر هذا]^(٣)؟

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [١٤]

[١٤] ويدل على أنه خطاب للثقلين قوله بعد: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ ﴾ من طين يابس له صلصلة ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ كالطين المطبوخ، نعت لصلصال، المعنى: جعل آدم أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً.

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ [١٥]

[١٥] ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ هو أبو الجن^(٤).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) جاء على هامش «ت»: «الجان بنو الجن، عن الضحاك، أو هو مسيخ الجن كما =

﴿ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ هو لهب النار الصافي الذي لا دخان فيه .

﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [١٦]

[١٦] ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما

حتى صيركما أفضل المركبات؟

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [١٧]

[١٧] ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وتقدم الكلام عليهما، وعلى قوله: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [الشعراء: ٢٨] ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ [الصفات: ٥] في أول سورة الصفات.

﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [١٨]

[١٨] ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي

لا تحصى؛ كاعتدال الهواء، واختلاف الفصول، وحدث ما يناسب كل فصل فيه .

= أن القردة والخنازير مسيخ الإنس، عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، أو بنو إبليس كما قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل رحمهم الله تعالى كذا في «شذور العنود» لابن الجوزي قوله: ﴿ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ ﴾ الآية، وفي الأولين نظر» .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ مَرَجَ ﴾ أرسل ﴿ الْبَحْرَيْنِ ﴾ الملح والعذب متجاورين .

﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ لا فصل بينهما في رأي العين .

﴿ يَنْهَمَا بَرَزَخُ لَّا يَغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ يَنْهَمَا بَرَزَخُ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى .

﴿ لَّا يَغِيَانِ ﴾ لا يختلطان، ولا يطغيان على الناس بالغرق .

[٢١] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب :

(يُخْرَجُ) بضم الياء وفتح الراء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الراء معلوماً^(١)، وثنى الضمير، وإنما يخرجان من الملح؛ لأنهما لما التقيا، صارا كالشيء الواحد.

﴿ اللَّوْؤُؤُ ﴾ الدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو: (اللَّوْؤُؤُ) بإبدال الهمز

الأول، وهو الساكن، فيسكنان الواو، والباقون: بالهمز^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٠-٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٤٧-٤٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٠-٣٩٤)، و«معجم =

﴿وَالْمَرَحَاتُ﴾ الخرز الأحمر، قال ابن عباس: «إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهاها، فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة»^(١).

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلَهُ الْجُورِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجُورِ﴾ السفن. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وحذفها الباقيون في الحالين، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الواو ﴿الْمُنشآتُ﴾ صفة الجوارى. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الشين؛ أي: المحدثات السير، وقرأ الباقيون: بالفتح^(٢)؛ أي: المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ كالجبال، جمع علم.

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢٥).

[٢٥] ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها.

= القراءات القرآنية» (٤٨/٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٢/٢٧). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦٩٦/٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٨٦-٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٩/٧).

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي : الأرض (١) ﴿ فَانٍ ﴾ هالك . روي عن قنبل ،
ويعقوب : الوقف بالياء على (فَانِي) و(آنِي) و(دَانِي) .

﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ ﴾ أي : ذات ﴿ رَبِّكَ ﴾ ويعبر بالوجه عن الجملة .
﴿ ذُو ﴾ صفة (وَجْهٌ) ، ومعنى ذي ﴿ الْجَلْدِ ﴾ الذي يعظمه ويجلّه
المؤمنون (٢) عن سمات المحدثات ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الذي يكرم عبده بالنعمة
عليهم . قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه : (وَالْإِكْرَامِ) بالإمالة حيث
وقع (٣) .

﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما يبقى وهو وجه ربك .

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : الكلُّ محتاجون إليه ﴿ كُلُّ يَوْمٍ ﴾

(١) «أي : الأرض» زيادة من «ت» .

(٢) في «ت» : «الموحدون» .

(٣) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤٠٦) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧/٥٠) .

نصب على الظرف ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل حين ووقت يُحَدِّثُ أموراً ويُجدد أحوالاً.

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يسعف به سؤال الكما.

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢).

[٣١] ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَيَفْرُغُ) بالياء؛ لقوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، و(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)، و(وَلَهُ الْجَوَارِ)، فأتبع الخبر الخبر، وقرأ الباقون: بالنون^(١) إخباراً منه تعالى عن نفسه، وهو وعيد من الله سبحانه للخلق بالمحاسبة، وليس المراد منه الفراغ عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس، سمياً بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض أحياء وأمواتاً، وكتب (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) في النور [الآية: ٣١] و(يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ) في الزخرف [الآية: ٤٩]، و(أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) هنا بغير ألف، وما سواها: (يَا أَيُّهَا)، و(يَا أَيُّهَا) بالألف. قرأ ابن عامر (أَيُّهُ) بضم الهاء على الإتيان لضمة الياء قبلها، وقرأ الباقون: بفتحها، ووقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٥١-٥٠).

(أَيُّهَا) بالألف على الأصل خلافاً للرسم، ووقف عليها الباقون بالحذف
إتباعاً للرسم^(١).

[٣٢] ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾.

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنْفُذُوا وَلَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾
أي: جوانب ﴿أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هاربين من قضائه تعالى ﴿فَأَنْفُذُوا﴾
فاخرجوا ﴿لَا تَنْفُذُوا﴾ لا تقدرّون على الخروج^(٢) ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة
وقهر، وأنى لكم ذلك!؟

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾^(٣٤).

[٣٤] ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ قدم هنا الجن على الإنس، وقال في
سورة الإسراء ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الآية: ٨٨]، والتقديم يقتضي
الأفضلية، ولكن الجن خلق قبل الأنس، ففي هذه السورة ترتيب الخلق،
لا ترتيب الفضيلة، وفي سورة الإسراء عكسه، وكذا قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥١-٥٢).

(٢) في «ت»: «النفوذ».

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴿آل عمران: ١٨﴾، وأولو العلم أفضل من الملائكة، ولكن قدمهم لتقدم الخلقة .

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ فَيَأِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ .

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ﴾ لهب بلا دخان . قرأ ابن كثير: بكسر الشين، والباقون: بضمها^(١)، وهما لغتان، وجمع الضمير في (اسْتَطَعْتُمْ) نظراً إلى معنى (الثَّقَلَيْنِ)، وثناه في (عَلَيْكُمَا) نظراً إلى اللفظ ﴿مِّن نَّارٍ﴾ صفة شواظ ﴿وَنُحَاسٌ﴾ هو الدخان . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بخفض السين عطفاً على النار، والباقون: بالرفع عطفاً على الشواظ^(٢)، المعنى: إذا خرجتم من قبوركم، يرسل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقانكما إلى المحشر ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ لا تمتنعان من ولوج النار .

[٣٦] ﴿فَيَأِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ .

[٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)،

و«تفسير البغوي» (٤/٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٥٢-٥٣) .

(٢) المصادر السابقة .

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: حمراء؛ من الورد المعروف ﴿ كَالَّذِي هَان ﴾ الأديم الأحمر، وألوانه تختلف، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، ويكون لها يومئذ لون آخر إلى الحمرة.

﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ مما يكون بعد ذلك.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم تنشق السماء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ لأنهم يعرفون، فالمؤمن يعرف بغيره وتحجيله، والكفار بسيماهم على ما يأتي بعد.

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢] قال: «لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم: لم عملتم كذا وكذا؟»، وعنه أيضاً: «لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ»^(١).

(١) نظر: «تفسير البغوي» (٤/٢٩٠)، وعنده: «لا يسألون سؤال شفقة ورحمة».

﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ بما أنعم على عباده المؤمنين في هذا

اليوم .

﴿ يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤١] ﴿ يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ ﴾ بسواد الوجه وزرقة العيون ﴿ فَيُؤْخَذُ ﴾
المجرم ﴿ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ أي : يجمع بين ناصيته وقدميه من وراء ظهره ،
ثم يلقي في جهنم .

[٤٢] ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرِمُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ثم يقال لهم : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرِمُونَ ﴾ المشركون .

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آِنِ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ﴾ بين النار يحترقون بها .

﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ آِنِ ﴾ ماء حار بلغ النهاية في الحرارة يُصب عليهم .

﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ (٤٥) .

[٤٥] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ فكل ما ذكر الله - عز وجل - من قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَا نِ ﴾ فإنه مواعظ وتخويف، وكل ذلك نعمة منه تعالى؛ لأنه يزرع عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦) ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ (٤٧) .

[٤٦] ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه، فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب^(١) ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ جنة عدن، وجنة النعيم .

[٤٧] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٤٨) ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ (٤٩) .

[٤٨] ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ أغصان، جمع فنن، وهو الغصن المستقيم طويلاً .

[٤٩] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (٥٠) ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ (٥١) .

[٥٠] ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ في الأعالي والأسافل بالماء الزلال، إحداهما السلسيل، والأخرى التسنيم .

(١) «أي: مقامه بين يدي ربه للحساب» زيادة من «ت» .

[٥١] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ .

﴿فِي مِمَّا مِنْ كُلِّ فَنِكْهَةِ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ .

[٥٢] ﴿فِي مِمَّا مِنْ كُلِّ فَنِكْهَةِ زَوْجَانِ﴾ صنفان: رطب، ويابس، ونحوهما.
قرأ يعقوب: (فِيهِمَا) بضم الهاء، والباقون: بكسرها^(١).

[٥٣] ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ .

﴿مُتَّكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ .

[٥٤] ﴿مُتَّكِّينَ عَلَى فُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿بَطَّائِنُهَا﴾ جمع بطانة، وهي التي تلي الظهارة.

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، وظهائرها من سندس، وهو ما رق منه، وقيل: إن الإِسْتَبْرَقَ فارسي معرب. قرأ ورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (مِنْ اسْتَبْرَقٍ) بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها، والباقون: بإسكان النون وكسر الألف وقطعها^(٢).

﴿وَحَى الْجَنَيْنِ﴾ أي: ما يجتنى منهما، وهو الثمر.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٥/٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤٠٨-٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٧).

﴿ دَانَ ﴾ قريب المتناول للقائم والقاعد والنائم .

[٥٥] ﴿ فَيَأِيءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ قَصْرَتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأِيءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي : فيهما وفي غيرهما من الجنان ﴿ قَصْرَتُ الطَّرْفِ ﴾

خافضات^(١) الأعين من النظر إلى غير أزواجهن ، ولا يردن غيرهم .

﴿ لَمْ يَطْمِئُنَّ ﴾ يمسهن ، والطمئ : الجماع بالتدمية ، ومنه قيل

للحائض : طامت ؛ كأنه قال : لم يدمهن بالجماع .

﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ قرأ الكسائي بخلاف عنه : (يَطْمِئُنَّ) بضم الميم

في هذا الحرف والحرف الثاني ، وروي عنه التخيير في أحدهما ، بمعنى أنه

إذا ضم الأول كسر الثاني ، وإذا كسر الأول ضم الثاني ، والوجهان ثابتان

عنه من التخيير وغيره ، وقرأ الباقون : بالكسر^(٢) ، وفي هذا دليل على أن

الجن يغشى كالإنسي .

[٥٧] ﴿ فَيَأِيءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴾ .

(١) في «ت» : «غاضات» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٢١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٧) ،

و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦-٥٧) .

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ۚ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ في حمرة الوجنة وبياض الوجه

وصفائهما .

عن رسول الله ﷺ: «لكل رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها»^(١) .

وروي: أن المرأة تلبس سبعين حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء^(٢) (٣) .

[٥٩] ﴿ فَيَأْتِي ۚ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِي ۚ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾ .

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠)، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . واللفظ الذي ساقه المؤلف هو للبخوي في «تفسيره» (٢٧٥/٤) .

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٦٤)، عن ابن مسعود موقوفاً .

ورواه البزار في «مسنده» (١٨٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢١)، وفي «المعجم الأوسط» (٩١٥)، عن ابن مسعود مرفوعاً . وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٤١١/١٠) و(٤١٨/١٠) .

(٣) في «ش»: «لكل رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، ويرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها . كما روي أن المرأة تلبس سبعين حلة» . وما أثبت من «ت»، وهو الموافق لمراجع التخريج .

[٦٠] ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ ﴿١﴾ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ بالجنة .

[٦١] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٢] ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا ﴾ أي : من دون الجنتين الأوليين ؛ أي : أمامهما .

﴿ جَنَّاتٍ ﴾ أخريان فالأوليان جنتا السابقين ، والأخريان (٢) جنتا أصحاب اليمين .

[٦٣] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ مَدَاهِمَاتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٤] ﴿ مَدَاهِمَاتَانِ ﴾ قد علا لونهما في دهما وسواد من شدة الخضرة والري ، نعت (جنتان) .

[٦٥] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٦] ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان .

[٦٧] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

(١) «بالتوحيد» زيادة من «ت» .

(٢) في «ت» : «الأولتان» و«الأخرتان» .

﴿ فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّ آيَةَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ فِيهَا فَكْهَةٌ ﴾ وعطف على (فاكهة) ﴿ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وإن كانا منها؛ تخصيصاً وبياناً لفضلهما، فكأنهما قد صارا جنسين آخرين نحو ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمره الرمان فاكهة ودواء، واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة، فأكل رطباً أو رماناً، لم يحنث؛ لأنه لا يجعلهما من الفاكهة، وكذا الحكم عنده في العنب، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً لصاحبيه والأئمة الثلاثة .

[٦٩] ﴿ فَإِنَّ آيَةَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنَّ آيَةَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ فِيهِنَّ ﴾ يعني: الجنان الأربع ﴿ خَيْرَاتٌ ﴾ أي: خيرات - بالتشديد -، فخفف؛ لأن خيراً الذي بمعنى أخيراً لا يجمع، فلا يقال فيه: خيرون، ولا خيرات .

﴿ حَسَنَاتٌ ﴾ المعنى: فضلات حسنات خلقاً وخلقاً .

[٧١] ﴿ فَإِنَّ آيَةَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴾ .

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّ آيَةَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

[٧٢] ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ ﴾ مخدرات مستورات لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ جمع خيمة، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «هي دُرٌّ مجوف»^(١)، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ .

[٧٣] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [٧٤] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ [٧٥] .

[٧٤] ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ﴾ أي : قبل أصحاب الجنتين .

﴿ وَلَا جَانٌّ ﴾ كحور الأوليين، وتقدم تفسيره، ومذهب الكسائي فيه .

[٧٥] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ .

﴿ مُتَّكِينَ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيِّ حِسَانٍ ﴾ [٧٦] ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴾ [٧٧] .

[٧٦] ﴿ مُتَّكِينَ ﴾ نصب على الاختصاص أو الحال ﴿ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ ﴾

هو ما تدلّى من الأسرة من عالي الثياب والبسط، وقيل : هي رياض الجنة، قال ابن عطية^(٢) : والأول أصوب وأبين^(٣) .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٢٨/١٠) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٢٨/١٠) .

(٣) انظر : «المحرر الوجيز» (٥/٢٣٦) .

﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ هي بسط حسان فيها صور وغير ذلك، منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب، وقيل: العبقرى: هي الزرابي، واحدها عبقرية، والطنافس الثخان، والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته، قالت: عبقرى، قال ابن عطية^(١): ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا من الناس يُفْري فَرِيَةً»^(٢).

[٧٧] ﴿فِي آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانٍ﴾.

﴿نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٧٨].

[٧٨] ﴿نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما ظنك بذاته.

﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. قرأ ابن عامر: (ذُو الْجَلَالِ) بواو بعد الذال كالحرف الأول نعتاً للاسم، وكذلك هو في المصاحف الشامية، وقرأ الباقون: (ذِي الْجَلَالِ) بياء بعد الذال نعتاً للرب، وكذلك هو في مصاحفهم^(٣)، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه، قال ﷺ: «أَلْطُؤَا

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٥٩).

بِيا ذا الجلالِ والإِكْرامِ»^(١)، والدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة، والله أعلم.



(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٢)، وقال: حديث غريب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/١٧٧)، والحاكم في «المستدرک» (١٨٣٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

مكية بإجماع من يعتد به من المفسرين ، وقيل : فيها بعض آيات مدنية ، وليس بثابت ، وآيها : ست وتسعون آية ، وحروفها : ألف وسبع مئة وثلاثة أحرف ، وكلمها ثلاث مئة وثمان وسبعون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ (١) .

[١] ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة ، وسماها واقعة ؛ لتحقق وقوعها ، وتنصب (إذا) بمضمر مثل (اذكر) ، وقال بعض المفسرين : الواقعة : صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة (١) .

﴿ لَيْسَ لَوْعَنَهَا كَاذِبَةٌ ﴾ (٢) .

[٢] ﴿ لَيْسَ لَوْعَنَهَا ﴾ لمجيئها ﴿ كَاذِبَةٌ ﴾ كذب ؛ يعني : أنها تقع صدقاً .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» (٢٣٨/٥) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠٢/٨) ، و«روح المعاني» للآلوسي (١٢٩/٢٧) ، قال ابن عطية : وهذا ضعيف . وقال الألوسي : وليس بشيء .

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ (٣).

[٣] ﴿ خَافِضَةٌ ﴾ قوماً إلى النار ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ آخرين إلى الجنة .

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ (٤) .

[٤] وتبدل من ﴿ إِذَا وَقَعَتْ ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ حُرِّكَتِ ﴿ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ تحريكاً

شديداً .

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ (٥) .

[٥] ﴿ وَبُسَّتِ ﴾ فُتَّتَتْ ﴿ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو

الميلول .

﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنًأً ﴾ (٦) .

[٦] ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً ﴾ أي (١) : غباراً ﴿ مُبْنًأً ﴾ متفرقاً كالذي يرى في شعاع

الشمس .

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (٧) .

[٧] ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً ﴿ ثَلَاثَةً ﴾ .

(١) «أي» ساقطة من «ت» .

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (٨)

[٨] ثم فسر الأزواج فقال: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ الذين يُؤْتُونَ كَتَبَهُمْ بإيمانهم، ثم عَجَّبَ نبيه ﷺ فقال:

﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ كأنه قال: ما هم، وأي شيء هم؟! وقوله (فأصحابُ الميمنة) ابتداء، و(ما) ابتداء ثان، وأصحاب الميمنة خبر (ما)، والجملة خبر الابتداء الأول، في الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد و(١) ما زيد؟!!

﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ (٩)

[٩] ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ الذين يُؤْتونها بشمالهم.

﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وهم الذين يُؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمى اليد اليسرى: الشؤم^(٢)، ومنه سمي الشام واليمن؛ لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها.

﴿ وَالسَّيْفُونا السَّيْفُونا ﴾ (١٠)

[١٠] ﴿ وَالسَّيْفُونا ﴾ إلى الإيمان من كل أمة هم ﴿ السَّيْفُونا ﴾ إلى

الجنة.

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «الشؤمي».

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١).

[١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى الله .

﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ قد أُعليت مراتبهم .

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ جماعة كثيرة غير محصورة العدد ﴿مِنَ الْأُولَى﴾ أي : من الأمم الماضية من لدن آدم - عليه السلام - إلى زمان نبينا محمد ﷺ ، واشتقاقها من الثلث ، وهو القطع .

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني : أمة محمد ﷺ ، ولا يخالف ذلك قوله - عليه السلام - : «إِنَّ أُمَّتِي يَكْثُرُونَ سَائِرَ الْأُمَمِ»^(١) ؛ لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة ، وتابعو هذه أكثر من تابعيهم ، ولا يردده قوله في أصحاب اليمين : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ (٢٥) و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ لأن كثرة الفريقين لا ينافي أكثرية أحدهما ، وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة ، وقيل : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ يعني : الأنبياء من آدم إلى محمد ، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني : الصحابة ؛ لأن الأولين هم الأنبياء السابقون ، وهم مئة

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/١٠٢٢) : لم أقف عليه .

ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فالصحابه بالنسبة إليهم قليل، وهذا قول حسن صحيح للمناظرة، المعنى: جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ منسوجة بالذهب مشتبكة بالدرّ والياقوت .

﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴾ حالان من الضمير في (عَلَى). قرأ

أبو جعفر: (مُتَّكِنِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمة ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ غلمان ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ مبقون معهم .

﴿ يَا كُوبًا وَأَبْرَيقًا وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ يَا كُوبًا ﴾ الكوب: إناء لا عروة ولا خرطوم له ﴿ وَأَبْرَيقًا ﴾ هي آنية

لها ذلك ﴿ وَكَأْسٍ ﴾ يشربونها من خمر جارية ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ منبع لا ينقطع أبداً.

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ ﴾ لا يفرقون ﴿ عَنْهَا ﴾ بسكر ولا غيره كخمر الدنيا.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٧).

﴿وَلَا يُزِفُونَ﴾ قرأ الكوفيون: بكسر الزاي؛ أي: لا ينفد شربهم^(١)،
وقرأ الباقون: بالفتح^(٢)؛ أي: لا تغلبهم على عقولهم.

﴿وَفَكَهَةَ مِمَّا يَخَيَّرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَفَكَهَةَ مِمَّا يَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارون.

﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

[٢١] ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون، قال ابن عباس: «يخطر على قلبه
لحم الطير، فيصير بين يديه على ما اشتهى^(٣)»^(٤).

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: بخفض
الاسمين عطفاً على (جَنَاتِ النَّعِيمِ)؛ أي: هم في جنات النعيم، ومحادثة
حور عين، وقرأهما الباقون: بالرفع^(٥)؛ أي: وعندهم حورٌ عين وتفسير
حور عين^(٦) أي: بيضٌ ضخامُ العيون.

(١) في «ت»: «شرايهم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٤٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٥/٧).

(٣) في «ت»: «أشهى».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٤/٤).

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣٠٤/٤)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٥/٧).

(٦) و«تفسير حور عين» ساقط من «ت».

﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ ﴾ المخزون في الصدف، وخص المكنون من اللؤلؤ؛ لأنه أصفى لونا، وأبعد عن الغير. وتقدم مذهب أبي جعفر، وأبي عمرو في إبدال همزة (اللؤلؤ) في سورة الرحمن [الآية: ٢٢].

﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إن هذه الرتب والنعم هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأنه روي أن المنازل والقسم في الجنة هي منقسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله، لا بعمل عامل.

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴾ [٢٥].

[٢٥] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ باطلاً ﴿ وَلَا تَأْتِيهَا ﴾ إثماً؛ أي: ما يحدث الإثم.

﴿ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿ إِلَّا قِيْلًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: قولاً، وتبدل من (قِيْلًا).
﴿ سَلَامًا سَلَامًا ﴾ أي: يفشون السلام بينهم، ويسلمون سلاماً بعد سلام، فلا يسمع إلا السلام.

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ هم المسلمون .

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ فِي سِدْرٍ ﴾ هو شجر النبق ﴿ مَّخْضُودٍ ﴾ لا شوك فيه .

﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿ وَطَلْحٍ ﴾ هو الموز في قول أكثر المفسرين ﴿ مَّنْضُودٍ ﴾ متراكم بالثمرة من أسفله إلى أعلاه .

﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ أي دائم .

﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ يجري على الأرض أين شاءوا بلا تعب .

﴿ وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ (٣٢).

[٣٢] ﴿ وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ كثيرة الأجناس .

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ عنهم.

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على الأسرة، في الحديث: «ارتفأها كما بينَ السماء والأرض»^(١).

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ﴾ ابتدأنا خلقهن، في الحديث: «هم اللواتي قبضن في دار الدينا عجائز شُمطاً رُمصاً»^(٢) ﴿إِنشَاءً﴾ خلقاً جديداً.

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، والإمام أحمد في «المسند» (٧٥/٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن تفسير سورة الواقعة، من حديث أنس، بلفظ: «إن من المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً»، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ﴾ بعد أن كنَّ عجائزَ ﴿أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن، وجدوهن أبكاراً، ولا وجع ثمَّ.

﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الراء تخفيفاً، والباقون: بضمها على الأصل^(١)، وهي جمع عَرُوب؛ أي: عواشق متحبات لأزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ جمع تَرَب؛ أي: مستويات في السن، بنات ثلاث وثلاثين، وسن أزواجهن كذلك.

قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرُداً مُرُداً بِيضاً جَعَاداً مُكَحَّلِينَ، أبناء ثلاث وثلاثين، على طول آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع»^(٢).
وروي أن الرجل يرى وجهه في وجه زوجته؛ لصفائه.

وقيل: الضمير عائد على الحور العين المذكورات قبل، قال ابن عطية: وهذا فيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٥٤٥)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ نحوه.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٤٤).

﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ هم المسلمون، واللام صلة (أَنْشَأْنَاهُنَّ).

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ جماعة ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وهاتان الفرقتان في أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الثلاثان من أمتي»^(١)، فعلى هذا: التابعون بإحسان، ومن جرى مجراهم ثلثة أولى، وسائر الأمة ثلثة أخرى في آخر الزمان، وقيل: الأولون سالف الأمم منهم جماعة عظيمة أصحاب يمين، والآخرون هذه الأمة منهم جماعة عظيمة أهل يمين، قال ابن عطية: بل جميعهم إلا من كان من السابقين^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ هم الكفار.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩١/٢٧) وقال: من وجه غير صحيح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٤٥/٥).

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ (٤٢) .

[٤٢] ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ ماء في

غاية الحر .

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ (٤٣) .

[٤٣] ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ دخان أسود .

﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٤٤) .

[٤٤] ﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ كغيره من الظلال ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ حسن .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ (٤٥) .

[٤٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ منعمين .

﴿ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْهِنْتِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤٦) .

[٤٦] ﴿ وَكَانُوا يُصْرُونَ ﴾ يقيمون .

﴿ عَلَى الْهِنْتِ ﴾ الذنب ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ بجعل الشريك لله تعالى .

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَا الْمَبْعُوثُونَ ﴾ (٤٧) .

[٤٧] ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَا الْمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب . واختلف القراء في (أَنْذَا) (أَنْتَا)،
فقرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، ويعقوب: بالاستفهام في الأول،
 والإخبار في الثاني، **وقرأ** الباقون: بالاستفهام فيهما، وهم على أصولهم
 في التحقيق والتسهيل، وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ
 الْمُؤْمِنُونَ﴾ واختلفوا في كسر الميم وضمها من (متنا)، **فقرأ** نافع، وحمزة،
 والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بالكسر، والباقون: بالضم^(١).

﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (٤٨).

[٤٨] ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون، وتقدم تفسيره، ومذاهب القراء
 فيه، وتوجيه قراءتهم في سورة الصافات.

﴿قُلْ إِيَّاكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ (٤٩).

[٤٩] ثم أمر الله نبيه أن يُعلمهم بأن العالم محشور مبعوث إلى يوم
 القيامة، فقال: ﴿قُلْ إِيَّاكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٥٠).

[٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم القيامة.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات
 القرآنية» (٦٨/٧).

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ (٥١) .

[٥١] ثم خاطب أهل مكة بقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ بالبعث .

﴿ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴾ (٥٢) .

[٥٢] ﴿ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴾ (مِنْ) الأولى لابتداء الغاية ، والثانية لبيان الجنس ، وتقدم ذكر شجرة الزقوم في سورة الصافات .

﴿ فَمَالُونَ مِّنْهَا الْبُطُونَ ﴾ (٥٣) .

[٥٣] ﴿ فَمَالُونَ مِّنْهَا ﴾ من جماعة الشجر ، و(مِنْ) للتبعيض ﴿ الْبُطُونَ ﴾ من شدة الجوع . قرأ أبو جعفر : (فَمَالُونَ) بضم اللام بغير همز ، والباقون : بكسر اللام والهمز .

﴿ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ (٥٤) .

[٥٤] ﴿ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ على الزقوم ؛ لغلبة العطش ﴿ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ الماء الحار .

﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ (٥٥) .

[٥٥] ﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وعاصم ، وحمزة :

(شُرِبَ) بضم الشين اسم للمشروب، والباقون: بالفتح على المصدر^(١)،
و(الهييم): إبل يصيبها داء يقال له الهييم، تشرب الماء فلا تروى، ولا تزال
تشرب حتى تهلك.

﴿ هَذَا نَزُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٥٦).

[٥٦] ﴿ هَذَا نَزُهُمْ ﴾ رزقهم المعد لهم ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء بأعمالهم.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾^(٥٧).

[٥٧] ثم احتج عليهم في البعث بقوله: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا ﴾ فهلا^(٢)
﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ بالبعث؛ لأنكم إذا نظرتم النظر الصحيح، علمتم أن القادر على
الإنشاء قادرٌ على الإعادة.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾^(٥٨).

[٥٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ تَصْبُونَ في أرحام النساء من المني الذي يكون
منه الولد.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٣١١)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٧/٦٩).

(٢) «فهلا» زيادة من «ت».

﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ﴾ تجعلون المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَنْتُمْ) في الأحرف الأربعة كاختلافهم فيهما من (أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا) في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢].

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠).

[٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون: بتشديدها^(١)، وهما لغتان؛ أي: قضينا.

﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ وأفتنا موت كل بوقت معين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦١).

[٦١] ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ﴾ أي: نجعل ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم.

﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أوصاف لا يصلها علمكم، ولا يحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير، تأول هذا؛ لأن الآية تنحو إلى الوعيد^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣٠٣/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٤٨/٥).

﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ ﴾ الخلق في الرحم . وتقدم اختلاف القراء في (النَّشَأَ) في سورة العنكبوت [الآية : ٢٠] .

﴿ فَلَوْلَا ﴾ ﴿ فَهَلَا ﴾ ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ تعتبرون فتؤمنون . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص عن عاصم : (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال ، والباقون : بتشديدها^(١) .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ تثيرون من الأرض ، وتلقون فيها من البذر .

﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ ﴾ تنبتونه ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ المنبتون .

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ فُتَاتًا ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تعجبون . قرأ

البيزي عن ابن كثير بخلاف عنه : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) بتشديد التاء .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧١) .

﴿ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴾ (٦٦) .

[٦٦] ﴿ إِنَّا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (أئنا) بهمزتين محققتين، إحداهما استفهام إنكار للعذاب الواقع بهم، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة إخبار بمعنى الإنكار والجحود أيضاً، والقول مضمّر على القراءتين؛ أي: يقولون: إنا^(١) .

﴿ لَمُعْرَمُونَ ﴾ معذبون، والغرام: العذاب .

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (٦٧) .

[٦٧] ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مَحْرُومُونَ ﴾ ممنوعون من الرزق .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ (٦٨) .

[٦٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ ﴾ العذب ﴿ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ أي: تشرّبونه .

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ (٦٩) .

[٦٩] ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ السحاب ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ بقدرتنا .

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٠) .

[٧٠] ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ شديد الملوحة، وثبت اللام جواباً^(٢) لـ(لو)

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٢) .

(٢) في «ت»: «وجوباً» .

في (لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)، وحذفت في هذا الحرف اختصاراً؛ لدلالة الموجودة عليها.

﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ تقدحونها من زندكم.

﴿ وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ التي يُقدح منها النار، وهي المرخ والعفرار، وتقدم ذكرهما في آخر سورة (يس) ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ الشجرة. قرأ أبو جعفر: (المُنْشُونَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز^(١).

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا ﴾ أي: النار ﴿ تَذْكَرَةً ﴾ لنار جهنم.

﴿ وَنَمْتَعًا ﴾ منفعة ﴿ لِلْمُقْوِينَ ﴾ أي: المسافرين الذين ينزلون القواء، وهي القفر.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٢).

﴿ فَسَيِّحُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿ فَسَيِّحُ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ الباء زائدة؛ أي: نزه ربك.

﴿ الْعَظِيمِ ﴾ والعظيم صفة للاسم، أو الرب.

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ معناه: أقسم، و(لا) زائدة، وقيل: قوله: (فلا) رد

لما قاله الكفار في القرآن أنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: أقسم

﴿ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ﴾ قرأ السوسي عن أبي عمرو: (أُقْسِمُ) بإسكان الميم

عند الباء حيث وقع، وتقدم الكلام عليه في الكهف، وقرأ حمزة والكسائي^(١) وخلف: (بِمَوْعِدِ النُّجُومِ) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد، والباقون: بفتح الواو وألف بعدها على الجمع^(٢)، والمراد: نجوم القرآن حين نزلت فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً، وهذا قول ابن عباس، وقال جماعة: المراد: مغارب النجوم ومساقطها.

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (٧٦).

[٧٦] ثم اعترض بين القسم وجوابه بموصوف وصفته، وهو:

(١) «الكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٣).

﴿وَأِنَّهُ لَفَسَّمٌ﴾ ثم اعترض بين الموصوف وصفته بقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ لأن صفته ﴿عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧).

[٧٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ على الله؛ لكثرة ما فيه من التنزيه والمواعظ والأحكام.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨).

[٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ﴾ صفة قرآن ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مَصُون، وهو اللوح المحفوظ.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ أي: ذلك الكتاب المكنون ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام الموصوفون بالطهارة، وقيل: قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ إخبار مضمنه النهي، وضممة السين تعود إلى القرآن؛ أي: لا يمس المصحف من بني آدم إلا الطاهر من الكفر والجنابة والحدث الأصغر، وضعف ابن عطية هذا القول^(١).

وأما حكم مسّ المصحف بعلاقة^(٢)، فقال أبو حنيفة: يجوز للجنب والمحدث والحائض حمل المصحف بعلاقة^(٣)، ولا بأس أن يمسه

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٢).

(٢) «بعلاقة» ساقطة من «ت».

(٣) «بعلاقة» زيادة من «ت».

بكمه، وقال مالك: لا يجوز لمحدث حدث الوضوء فما فوقه أن يمس المصحف، ولا يحمله بعلاقته، ولا على وسادة، ولا بأس بحمله^(١) في خرجه وعدله، ولا بأس بحمل الصبيان المصاحف على غير طهارة، ولا تمسه حائض، وقال الشافعي: يحرم بالحدث والجنابة حمل المصحف، ومس ورقه، وكذا جلده، وخريطة وصندوق فيهما مصحف، وما كتب لدرس قرآن؛ كلوح، والصبي المحدث لا يمنع، ويباح قلب ورقه بعود، وحمله في أمتعة، ويحرم بالحوض ما يحرم بالجنابة، وقال أحمد: يحرم على المحدث والجنب مس المصحف وبعضه من غير حائل، حتى جلده وحواشيه^(٢)، وهو أشبه؛ لشمول اسم المصحف له، وله حمله بعلاقته، وفي غلافه، وفي كفه، وتصفحه به، وبعود، ومسه من وراء حائل، ويباح لصغير مس لوح فيه قرآن، وحكمه في المصحف كالرجل، ولا تمسه حائض مطلقاً.

وأما قراءة القرآن للجنب والحائض، فقال أبو حنيفة: لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا بأس أن يقرأ شيئاً منه ولا يريد به القرآن؛ كالبسمة، والحمدلة، والحائض كالجنب، وقال مالك: لا يجوز للجنب أن يقرأ الكثير من القرآن، ولا بأس بقراءة اليسير؛ كآية والآيتين ونحوهما، وعنه في قراءة الحائض روايتان: المشهور جواز القراءة لها، وقال الشافعي: يحرم على الجنب والحائض قراءة القرآن، ويحل أذكاره بغير قصد قرآن، وقال أحمد: يجوز للجنب قراءة بعض آية، ولو كرر، ما لم يتحيل^(٣)

(١) «بحمله» زيادة من «ت».

(٢) «وحواشيه» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «يحتمل».

على قراءة محرم عليه، وله قولٌ ذكر وما وافق قرآناً ولم يقصده، ويحرم على الحائض مطلقاً.

﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠)

[٨٠] ﴿ تَنْزِيلٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: القرآن منزلٌ.

﴿ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة؛ كما يقال للمقدور: قَدَر، وللمخلوق: خَلَق، على قول من يجيزه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الزمر.

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ ﴾ (٨١)

[٨١] ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن.

﴿ أَنْتُمْ مُّذْهَبُونَ ﴾ متهاونون مكذبون، وأصله الجري في الباطل خداعاً.

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ (٨٢)

[٨٢] ونزل لما قيل: مطرنا بنوء كذا: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ شكركم.

﴿ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيب.

قال ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا»^(١)، فالسنة أن يقول: مُّطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ.

(١) رواه مسلم (٧٢)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهالاً ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ الروحُ ﴿ الْحُلُقُومَ ﴾ الحلق .

﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَأَنْتُمْ ﴾ يا حاضري الميت ﴿ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ إليه ولا تنفعونه .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ علماً وقدرة منكم ﴿ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴾

الملائكة .

﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ كررت للتأكيد ﴿ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ مملوكين أذلاء .

﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ أي : تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما تدعون من عدم القدرة عليكم ، فأجاب عن

قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ وعن قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾

بجواب واحد ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة : ٣٨] أجيباً بجواب واحد .

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ثم بين طبقات الخلق عند الموت، وبين درجاتهم، فقال: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ الميتُ ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ إلى رحمة الله تعالى.

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [٨٩].

[٨٩] وجواب (أما): ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (فَرَوْحٌ) بضم الراء؛ أي: فله حياة طيبة لا موت فيها، وقرأ الباقون: بالفتح^(١)؛ أي: فله راحة من كل تعب.

﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ رزق طيب ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ذات تنعم، وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَجَنَّتُ) بالهاء.

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٩٠].

[٩٠] ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ الميتُ [مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ].

﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٩١].

[٩١] ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي: سلامة لك من الاغتمام لهم، فلا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب^(٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١٧/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٣/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٥-٧٤/٦).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ٩٢ .

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ وهم الكفار أصحاب الشمال والمشامة .

﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ٩٣ .

[٩٣] ﴿فَنَزَّلْنَا﴾ هو أول شيء يُقدم للضيف ﴿مِنَ حَمِيمٍ﴾ .

﴿وَتَصَلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ ٩٤ .

[٩٤] ﴿وَتَصَلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَتَصَلِيَةُ جَحِيمٍ) بإدغام التاء في الجيم^(١)، والتصلة: أن يباشر بهم النار، والجحيم: معظم النار وحيث تراكمها .

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ٩٥ .

[٩٥] ولما كمل تقسيم أحوالهم، وانقضى الخبر بذلك، أكد تعالى الأخبار بأن قال لنيبه ﷺ مخاطبة تدخل معه أمته فيها: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أخبرنا به ﴿هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ عبارة فيها مبالغة؛ لأنها بمعنى واحد؛ كما تقول في أمر تؤكد: هذا يقين اليقين، أو صواب

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٥) .

الصواب؛ بمعنى: أنه نهاية الصواب، فهي عبارة مبالغة وتأكيد، معناها: أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [٩٦]

[٩٦] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار، وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة، وعبادة الله والدعاء إليه.

وروي أنه لما نزل ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ قال: اجعلوها في سجودكم»^(١)، وكان ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى»^(٢).

واختلف الأئمة في ذلك، فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً، ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة، وأدنى الكمال ثلاث، وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة، وقال مالك: يكره لزوم ذلك؛

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٨٧١)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، والترمذي (٢٦٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، والنسائي (١٠٠٨)، كتاب: الافتتاح، باب: تعوذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب، من حديث حذيفة - رضي الله عنه -.

لثلا يعد واجباً فرضاً، والاسم هنا بمعنى الجنس؛ أي: بأسماء ربك،
والعظيم: صفة الرب.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر
أبداً»^(١)، قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة، وحظوظ الناس في الآخرة،
وفهم ذلك غنى لا فقر معه، ومن فهمه، شغل بالاستعداد^(٢)، والله أعلم.



(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»
(١٨٨/٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به شعاع
أبي طيبة.

والحديث إسناده ضعيف، ومثته منكر. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف»
للزيلعي (٤١٣-٤١٤) وبيان وجوه ضعف هذا الحديث.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٢٣٨/٥).



مدنية، وقيل: مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ التسبيح هنا: هو التنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، وهو إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام، وأن التسبيح مما ذكر دائم مستمر، وهو تسبيح حقيقة، وجاء في فاتحة هذه السورة، وفي الحشر، والصف على لفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن تسبيح هذه الأشياء غير مختص بوقت دون وقت، بل كانت مسبحة أبداً في الماضي، وستكون مسبحة أبداً في المستقبل.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقات.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقدرته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ بلطفه وتديبه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : سلطانها الحقيقي الدائم ؛ لأن ملك البشر مجاز ﴿يُحْيِي﴾ الموتى للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تام القدرة .

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ السابق للأشياء قبل وجودها الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة .

﴿وَالْآخِرُ﴾ الدائم الباقي بعد فناء الأشياء الذي ليس له نهاية منقضية .

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الغالب العالي على كل شيء .

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ بلطفه وغوامض حكمته وباهي صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفي .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تقدم القول فيها في سورة (فصلت)، قال بعض المفسرين : الأيام الستة من أيام القيامة، وقال الجمهور : بل من أيام الدنيا، قال ابن عطية : وهو الأصوب^(١) .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٧) .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ استواءً يليق بعظمته ، وتقدم الكلام فيه في سورة (طه) ، وفي (الأعراف) أيضاً .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ ﴾ من المطر والأموات وغير ذلك ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ كالزراع ونحوه .

﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من الملائكة ، والرحمة ، والعذاب ، وغير ذلك .
﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ من الأعمال صالحها وسيئها .
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ بعلمه وقدرته وإحاطته .
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه .

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ .

[٥] ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يتصرف فيه كما أراد .
﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ خبر يعم الموجودات . قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب : (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم ، والباقون : بضم التاء وفتح الجيم (١) .

﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

[٦] ﴿ يُوَلِّجُ ﴾ يُدْخِلُ ﴿ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ فيه تنبيه على

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٤٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٩) .

العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر، وذلك متشعب^(١) مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله.

﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما فيها من الأسرار والمعتقدات، وذلك أغمض ما يكون.

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

[٧] ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أمرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإيمان.

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ﴾ من أموال متقدميكم، وفيه تزهيد وتنبية على أن الأموال إنما تصير للإنسان من غيره، ويتركها لغيره، روي أنها نزلت في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، والإشارة بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ إلى عثمان - رضي الله عنه -، وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

[٨] وقوله^(٢): ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾

(١) «متشعب» زيادة من «ت».

(٢) «وقوله» زيادة من «ت».

توطئة لدعائهم، وإيجاب لأنهم أهل هذه الرتب الرفيعة، فإذا تقرر ذلك، فلا مانع من الإيمان، وهذا كما تريد أن تندب رجلاً إلى عطاء، فتقول له: أنت يا فلان من قوم أجواد، فينبغي أن تكرم، وهذا مطرد في جميع الأمور إذا أردت من أحد فعلاً خَلَقْتَهُ بخلق أهل ذلك الفعل، وجعلت له رتبتهم، فإذا تقرر في هؤلاء أن الرسول يدعوهم، وأنهم ممن أخذ ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإيمان .

﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ بالإيمان حين الإخراج من ظهر آدم على ما مضى في سورة الأعراف . قرأ أبو عمرو: (أَخَذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء مجهولاً، (مِيثَاقَكُمْ) بالرفع فاعل، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والحاء، ونصب (مِيثَاقَكُمْ) مفعولاً^(١)، والآخذ على كل قول هو الله تعالى .
﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن دمتم على ما بدأتم به .

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

[٩] ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ محمد ﷺ . قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنَزِّلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي، والباقون: بفتح النون وتشديد الزاي^(٢) ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ يعني: القرآن .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٢٢/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٧٩) .
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٠) .

﴿ لِيُخْرِجَكُمُ ۖ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ ﴾^(١) ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ ۖ الْكُفْرِ ۖ إِلَى النُّورِ ﴾

الإيمان .

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : (لَرَوْوْفٌ) بالإشباع على وزن فعول ، والباقون : على وزن فَعَلٌ^(٢) ، والرافة : أشد الرحمة .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ۚ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وأنتم تموتون وتتركون أموالكم ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فيه زيادة تذكير بالله وعبرة ، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله والجهاد فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ ﴾ نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس : هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً ، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظم أجراً ، والمراد : فتح مكة الذي أزال الهجرة ، وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن

(١) «الله بالقرآن» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «الغيث» للصفافسي (ص : ٣٦٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص : ٤٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧ / ٨٠) .

جهداً ونية^(١)، وروي أنها نزلت في أبي بكر - رضي الله عنه - ونفقاته^(٢).
﴿أُولَئِكَ﴾ المنفقون قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَاتَلُوا﴾ أي: من بعد الفتح.

﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ المثوبة ﴿الْحَسَنَ﴾ وهي الجنة.
قرأ ابن عامر: (وَكُلُّ) بالرفع مبتدأ، خبره (وَعَدَّ)، وكذلك هو في
المصاحف الشامية وقرأ الباقر: بالنصب، وكذلك هو في مصاحفهم^(٣)،
وهي الوجه؛ لأن وعد ليس يعوقه عائق عن أن ينصب المفعول المتقدم^(٤).
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم ظاهره وباطنه فيجازيكم عليه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَلْهَ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾
[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من ذا الذي ينفق في سبيل الله
رجاء أن يعوضه؟ والقرض الحسن: الإعطاء لله.
﴿فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ فيعطيه أجره أضعافاً مضاعفة. قرأ عاصم. (فَيُضَاعِفُهُ)
بإثبات الألف بعد الضاد مخففاً ونصب الفاء، وقرأ ابن عامر، ويعقوب:

(١) رواه البخاري (٢٦٣١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير، ومسلم
(١٣٥٣)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة، من حديث ابن عباس - رضي الله
عنهما -.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٢٣/٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٠/١٧).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)،
و«تفسير البغوي» (٣٢٤/٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٠-٨١).

(٤) في «ت»: «المقدم».

بحذف الألف وتشديد العين ونصب الفاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر:
بحذف الألف وتشديد العين ورفع الفاء، وقرأ الباقون: بإثبات الألف
مخففاً ورفع الفاء^(١)، فالقراءة بالنصب جواب الاستفهام؛ كأنه قال:
أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وبالرفع؛ أي: فهو يضاعفه.

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ هو الذي يقترن به رضا وإقبال.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ يَوْمَ
جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ العامل في (يَوْمَ) قوله: (وَلَهُ أَجْرٌ
كَرِيمٌ)، والرؤية في هذه الآية رؤية عين.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ وهو نور حقيقة؛ لأن كل مؤمن يُعطى يوم القيامة نوراً،
فيطفأ نور كل منافق، ويبقى نور المؤمنين.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وخص بين الأيدي بالذكر؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى
النور.

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: وعن أيمانهم، خص ذكر جهة اليمين تشريفاً، وناب
ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم، وقيل: وبأيمانهم: كتبهم
بالرحمة، وتقول لهم الملائكة:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧/٨١-٨٢).

﴿بُشِّرَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ﴾ أي: دخول جنات .

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ مخاطبة

لمحمد ﷺ .

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ
أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ
قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ .

[١٣] وتبدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا
انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ﴾ قرأ حمزة: (انظُرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر
الظاء؛ بمعنى: أمهلونا، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء^(١)؛
أي: انتظرونا نستضيء من نوركم، وابتداؤها لهم بضم الهمزة .
﴿قِيلَ﴾ أي: فيقول لهم المؤمنون: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ طرداً لهم
وتهكماً .

﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فاطلبوا لأنفسكم نوراً؛ فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس
من نورنا، فيرجعون، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ليلقوهم .

﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي: حائل بين الجنة والنار، وقيل: هو الأعراف
﴿لَهُ﴾ أي: ولذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ أي: داخل الباب من جهة المؤمنين

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)،
و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٣) .

﴿ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ الجنة ﴿ وَظَاهِرُهُ ﴾ خارجه ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من جهة شقه
الخارج نحو الكفار ﴿ أَلْعَذَابُ ﴾ وهو النار .

وقال عبد الله بن عمر، وكعب الأحمار، وعبادة بن الصامت، وابن
عباس: هو سور بيت المقدس الشرقي، وفيه باب يسمى باب^(١) الرحمة،
باطنه فيه المسجد الأقصى، وظاهره من جهة المشرق واد يقال له: وادي
جهنم^(٢) .

قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد^(٣)، والله أعلم .

﴿ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكُم فَنَنتمُ أنفسكم وتربصتم وأرَبتمُ
وَعَرَّتكمُ الأمانى حتى جاء أمرُ الله وعَرَّكمُ بالله الغرورُ ﴾ .

[١٤] ﴿ ينادونهم ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ ألم نكن معكم ﴾ في
الدنيا؟

﴿ قالوا ﴾: يعني المؤمنين رداً عليهم:

﴿ بلى ﴾ كنتم معنا ﴿ ولكنكُم فَنَنتمُ أنفسكم ﴾ محتتموها بالنفاق .

﴿ وتربصتم ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿ وأرَبتم ﴾ شكتم في أمر الله

(١) «يسمى باب» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨٣/٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٥) .

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٦٢) .

﴿ وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي ﴾ الكاذبة بطول الأمل. قرأ أبو جعفر: (الأماني) بإسكان الياء، والباقون: برفعها مشدداً^(١).

﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ الموت، ودخول النار. واختلاف القراء في الهمزتين من (جاء أمر الله) كاختلافهم فيهما من (ويُمسك السماء أن تقع) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَعَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ أي: غرکم الشيطان بأن الله لا يعذبکم.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(١٥).

[١٥] ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ بدل؛ بأن تنقذوا^(٢) أنفسكم من العذاب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (تؤخذ) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير^(٣)؛ لأن الفداء بمعنى الفدية.

﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهم^(٤) المشركون، والخطاب الأول للمنافقين.

﴿ مَأْوَتْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ ﴾ أي: أولى بكم ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ النار.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٤).

(٢) في «ت»: «تفدوا».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٦-٣٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٤-٨٦).

(٤) «وهم» ساقطة من «ت».

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١٦) .

[١٦] ونزل عتاباً للمؤمنين: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾ أي: يَحِنُّ؛ من أنى يأتي: إذا جاء إناء؛ أي: وقته.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ تعالى إذا ذكر، وتلين وتخضع؟ قال ابن عباس: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن»^(١) ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وهو القرآن. قرأ نافع، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (نَزَلَ) بتخفيف الزاي، والباقون: بالتشديد^(٢).

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل القرآن، وهم اليهود والنصارى. قراءة العامة: (وَلَا يَكُونُوا) بالغيب عطفاً على (تَخْشَعَ)، وقرأ رويس عن يعقوب: بالخطاب^(٣) التفاتاً أو نهياً للمؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب فيما حُكي عنهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ أي: الزمانُ بطول أعمارهم ﴿ فَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ بميلهم

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٢٦-٣٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٢٤٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٦).

إلى الدنيا، وإعراضهم عن مواعظه تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة .

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذا ضرب مثل، واستدعاء إلى الخير؛ أي: لا يبعد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه؛ فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يردّها إلى الخشوع، وترجع هي إليه بعد نفورها منه؛ كما تحيا الأرض بعد أن كانت غيراء .

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي يكمل عقلكم .

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما؛ من التصديق بالإسلام، وقرأ الباقر: بتشديدها منهما^(١)؛ من التصدّق، وأصله: المتصدقين والمتصدقات، أدغمت التاء في الصاد .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٧).

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو الصدقة بطيب نفس، وصحة نية على مستحقيها^(١).

﴿يُضَعَفُ لَهُمْ﴾ القرض. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعَفُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف^(٢).

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [١٩].

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ والصادق: الكثير الصدق، وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، وتم الكلام عند قوله: (هُمُ الصَّادِقُونَ)، ثم ابتداءً فقال:

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ مبتدأ، ظرفه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبره ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر ما عملوا من العمل الصالح ﴿وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط، وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم.

(١) في «ت»: «مستحقها».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٤١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٧).

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة .

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ولما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حقر أمر الدنيا، فقال: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أي: إن الحياة الدنيا، و(ما) صلة؛ أي: الحياة في هذه الدار .

﴿ لَعِبٌ ﴾ باطل ﴿ وَلَهُمْ ﴾ فرح، ثم ينقضي ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ منظر يتزينون به ﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ يفخر به بعضكم على بعض .

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ فازهدوا فيها، فما مثلها إلا .

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ ﴾ أي: الزراع؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض، كفروه؛ أي: غطوه ﴿ نَبَاتُهُ ﴾ الهاء للغيث؛ أي: أعجب الكفار ما نبت بالمطر .

﴿ ثُمَّ يَهِيغُ ﴾ ييبس ﴿ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ﴾ بعد خضرته .

﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ فتاتا ويفنى .

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ للكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ للمؤمنين .

قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَانٌ) بضم الراء، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ لمن ركن إليها، ولم يشتغل بطلب

الآخرة.

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ط
أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ط ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢١).

[٢١] ﴿ سَابِقُوا ﴾ سارعوا ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ ﴾ أي: السموات ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ لو وصل بعضها ببعض، ولم يذكر
الطول؛ لأن عرض كل ذي عرض أقل من طوله.

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ قوله (أُعِدَّتْ) دليل على أنها مخلوقة
الآن معدة.

﴿ ذَلِكَ ﴾ الموعود ﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ من غير إيجاب.

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك، والمراد منه:
التنبيه لأعظم^(٢) حال الجنة، وذلك لأن ذا الفضل العظيم إذا أعطى عطاء
مدح به نفسه، وأثنى بسببه على نفسه، فإنه لا بد أن يكون ذلك العطاء عظيماً.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٨).

(٢) في «ت»: «على عظم».

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ أي: ما حدث من حادث .

﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ من قحط ونقص في النبات والثمار ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ كمرض وفقد ولد .

﴿ إِلَّا ﴾ مكتوبة ﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ .

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ أي: نخلقها؛ يعني: المصيبة والأرض والأنفس .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعني: تحصيل الأشياء كلها في كتاب .

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ معناه: فعل الله هذا كله، وأعلمكم به، ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على فائت ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا ﴾ الفرح المبطر ﴿ بِمَا آتَاكُمْ ﴾ منها. قرأ أبو عمرو: (آتاكم) بقصر الهمزة؛ لقوله: (فاتكم)، فجعل الفعل له، وقرأ الباقون: بالمد^(١)، أي: أعطاكم الله .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس، فيه دليل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٨٨-٨٩).

والفخر، وأما الفرح بنعم الله، المقترنُ بالشكر والتواضع، فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بأموالهم وأفعالهم الحسنة من إيمانهم وغير ذلك، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل: هو رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده ﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ وهذا غاية الذم أن يبخل الإنسان، ويأمر غيره بالبخل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (بِالْبُخْلِ) بفتح الباء والخاء، والباقون: بضم الباء وإسكان الخاء^(١).

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ عما يجب عليه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المحمود في ذاته. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ) بغير (هو)، وكذا هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقر بزيادة (هو)، وكذلك هو في مصاحفهم^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٩/٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٣٢٩/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٤/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٩/٧-٩٠).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥).

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء. قرأ أبو عمرو:

(رُسُلَنَا) (بِرُسُلِنَا) بإسكان السين فيهما، والباقون: بضمها^(١) ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ الوحي ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل.
﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل.
﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ أخرجنا ﴿الْحَدِيدَ﴾ من المعادن؛ لأن العدل إنما يكون بالسياسة، والسياسة مفتقرة إلى العدة، والعدة مفتقرة إلى الحديد.
﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ قتال ﴿شَدِيدٌ﴾ لأنه يقاتل به ويمتنع ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ فيما يحتاجون إليه.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: يعلمه موجوداً، فالتغيير ليس في علم الله، بل في هذا الحادث الذي خرج من العدم إلى الوجود ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: دينه بآلات الحرب في مجاهدة الكفار ﴿وَرُسُلَهُ﴾ أي: وينصر رسوله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه، فأمن بها؛ لقيام الأدلة عليها، قال ابن عباس: «يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ»^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٠/٧).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٤٧٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ ذكر رسالتهما؛ تشریفاً لهما بالذكر،
ولأنهما من أول الرسل، ثم ذكر نعمه على ذريتهما، فقال ﴿ وَجَعَلْنَا فِي
ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ يعني: الكتب الأربعة؛ فإنها جميعاً في ذرية
إبراهيم عليه السلام. قرأ هشام (أبراهام) بالألف، والباقون: بالياء، وقرأ
نافع (النُّبُوَّة) بالمد والهمز، والباقون: بتشديد الواو بغير همز.

﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ فمن الذرية ﴿ مُهْتَدٍ ﴾ روي عن قبل، ويعقوب: الوقف
بالياء على (مُهْتَدِي) ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن الطاعة.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا
مَا كُنْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا وأرْدفنا؛ مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في
قفا الأول ﴿ عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ وكان آخر نبي من
بني إسرائيل، وأول أنبيائهم موسى عليه السلام.

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ وهي أشد
الرحمة، وكانوا متوآدين بعضهم لبعض؛ كما قال تعالى في وصف أصحاب
النبي ﷺ: ﴿ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. قرأ قبل بخلاف عنه: (رَأْفَةً) بالمد

مثل: رَعَاةٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ والرحمة في القلب لا تَكْسُبُ للإنسان فيها.

﴿وَرَهْبَانِيَّةٌ﴾ هو ترهبهم في الجبال والصوامع، ورفض النساء، والرهبان: الخائف؛ مأخوذ من الرهب، وهو الخوف، (وَرَهْبَانِيَّةٌ) عطف على (وَرَحْمَةٌ).

﴿أَبَدَعُوهَا﴾ نعت؛ أي: جعلنا عليهم رَأْفَةً ورحمة ورهبانية مبتدعة، والمعتزلة تعرب (وَرَهْبَانِيَّةً) أنها نصب بإضمار فعل يفسره (أَبَدَعُوهَا)، وليست بمعطوفة على الرأفة والرحمة، ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله، فيعربون الآية على مذهبهم، ابتدعوها من قبل أنفسهم، روي أنهم اختلفوا ثلاث فرق: فرقة قاتلت الملوك على الدين فقتلت وقتلت، وفرقة قعدت في المدن يدعون إلى الدين ويبينونه ولم تقاتل، فأخذتها الملوك فنشرتها بالمناشير، وقتلوا، وفرقة خرجت إلى الفياضي، وبنيت الصوامع والديارات، وطلبت أن تسلم على أن تعتزل، فتركت، ولذلك تسمت بالرهبان، فهذا هو ابتداعهم.

﴿مَا كُنِبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لم نفرض الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكنهم ابتدعوها.

﴿أَبْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وهو امتثال أمره تعالى، واجتناب نهيه. وتقدم مذهب أبي بكر في ضم الرأء من (رُضْوَانِ).

﴿فَمَارَعَوْهَا﴾ ما حفظ الرهبانية هؤلاء المعتدون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ لأنهم قصروا فيما ألزموا أنفسهم من الرهبانية، ورجعوا عنها، ودخلوا في دين ملوكهم، ولم يبق على دين النصرانية إلا اليسير، فآمنوا بمحمد ﷺ

قال ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي، فَقَدْ رَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي، فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْهَالِكُونَ»^(١).

﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهُمْ﴾ أي: من العيسيين .
﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ من العيسيين التاركي الرهبانية الكافرون بمحمد وعيسى عليهما السلام ﴿فَنَسِقُونَ﴾ خارجون عن حال^(٢) الاتباع وفي هذا التأويل لزوم الإتمام لكل من بدأ بتطوع ونفل، وأنه يلزمه أن يرعاه حق رعايته، واختلف الأئمة فيما إذا أنشأ صوماً أو صلاة تطوعاً، فقال أبو حنيفة: لم يجز له الخروج منه، فإن أفسده، فعليه القضاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال مالك كذلك، إلا أنه اعتبر العذر، فقال: إن خرج منه لعذر، فلا قضاء، وإلا، وجب، وقال الشافعي وأحمد: متى أنشأ واحداً منهما، استحب إتمامه، فإن خرج منه، لم يجب عليه قضاء على الإطلاق، وأما إذا كان التطوع حجاً أو عمرة، فيلزم إتمامه، فإن أفسده، وجب قضاؤه بالاتفاق؛ لوجوب المعنى في فاسده .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٨].
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، وفي «المعجم الصغير» (٦٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٧٧/٤)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٣/١): فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث .

(٢) «حال» زيادة من «ت» .

محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كَهْلَيْنِ﴾ حَظِيْنِ ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بِالْإِيْمَانِ بِالْكِتَابَيْنِ .
 ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلَى الصِّرَاطِ ﴿وَيَعْرِفْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُوْرٌ
 رَحِيْمٌ﴾ .

﴿لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
 الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَعْلَمَ﴾ أي : ليعلم^(١) ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ و(لا) صلة . قرأ
 ورش عن نافع ، وأبو جعفر بخلاف عنه : (لَيْلًا) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة ،
 والباقون : بالهمز ، والمراد : أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا .

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي : لا يتألون شيئاً ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ .

روي أنه لما نزل هذا الوعد للمؤمنين ، حسدهم أهل الكتاب على ذلك ،
 وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها ، وتزعم أنها أحباء الله ، وأهل رضوانه ،
 فنزلت هذه الآية معلمة أن الله فعل ذلك ، وأعلم به ؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم
 ليسوا كما يزعمون^(٢) .

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ في تصرفه وملكه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ لا اعتراض
 عليه ؛ فإنه قادر مختار ، يفعل بحسب الاختيار .

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ، والعظيم^(٣) لا بد أن يكون إحسانه

(١) «أي : ليعلم» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٤/٣٣٧) ، و«تفسير القرطبي» (١٧/٢٦٨) .

(٣) «والعظيم» زيادة من «ت» .

عظيماً، والمراد منه: تعظيم حال محمد ﷺ في نبوته وشرعه وكتابه.
قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «واسم الله الأعظم في أول سورة
الحديد في ست آيات من أولها، فإذا علقت على المقاتل في الصف، لم
ينفذ إليه حديد»^(١)، والله أعلم.



(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٦). قال ابن عاشور في «التحرير
والتنوير»: اشتمل هذا المقدار من أول السورة على معاني ست عشرة صفة من
أسماء الله الحسنى، وهي: الله، العزيز، الحكيم، الملل، المحيي، المميت،
القادر، الأول، الآخر، الظاهر الباطن، العليم، الخالق، البصير، الواحد،
المدبر. وقول ابن عباس يعني مجموع هذه الأسماء.



مدنية، وحكى النقاش أن قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ الآية، مكّي^(١)، أيها: اثنتان وعشرون آية^(٢)، وحرّوفها: ألف وسبع مئة واثنان وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

[١] ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ أي: علم^(٣) ﴿ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ ﴾ تحاورك.

﴿ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، وعاصم، ويعقوب: (قَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام.

نزلت في خولة بنت ثعلبة لما ظاهرَ منها زوجها أوسُ بن الصامت، وكانا من الأنصار، فأرادها، فأبّت عليه، فقال: أنت علي كظهر أمي، فكان

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٧٢).

(٢) في «ت»: «عشرون وآيتان».

(٣) «أي: علم» زيادة من «ت».

أولَ ظهار في الإسلام، ثم ندم، وكان الظهار في الجاهلية يُحرّم، فأخبرت رسولَ الله ﷺ بذلك، فقال لها: «قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْهِ»، فقالت: والله ما ذكر طلاقاً، وراجعتَه في الكلام، وشكت إلى الله الفاقة وشدة الحال^(١)، فهذه مجادلتها.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: مراجعتكما القول ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما تناجيه ﴿بَصِيرٌ﴾ لمن يشكو إليه.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قرأ عاصم: (يُظَاهِرُونَ) بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين؛ من ظاهر يُظَاهِر، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها، وتخفيف الهاء وفتحها، أصله: يَتَظَاهِرُونَ، أدغمت التاء في الظاء، وقرأ الباقون: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بلا ألف قبلها، أصله: يَتَظَهَّرُونَ، أدغمت التاء في الظاء^(٢)،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٣٧/٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٧٣/٥)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٠/١٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨-٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٣٣٨/٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٨٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٨-٩٧/٧).

والمعنى على القراءات كلها؛ أي: يحرمون أزواجهم بالظهار، والظهار: أن يشبه امرأته أو عضواً منها بظهر من تحرم عليه على التأيد، أو إلى أمد، أو بها، أو بعضو منها، فإذا قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كيد أختي، ونحو ذلك، أو حرام، فيحرم عليه وطؤها حتى يكفر بالاتفاق.

﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ أي: ليس قول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كشيء من أعضائها، ويجعلها كأمه في الحرمة بصحيح.

﴿ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ حقيقة ﴿ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ والمرضعات، وزوجات النبي ﷺ ملحقات بالوالدات في الحرمة، وأما المظاهرات، فأبعد شبيهاً بالوالدات. واختلاف القراء في الهمز من (اللائي) كاختلافهم فيه في حرف سورة الأحزاب [الآية: ٤].

﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي: المظاهرون ﴿ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ ﴾ هو جعلُ الزوجة أماً تنكره الحقيقة ﴿ وَزُورًا ﴾ باطلاً.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ ﴾ عما سلف من الظهار ﴿ غَفُورٌ ﴾ لمن تاب.

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[٣] ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ تقدم اختلاف القراء في (يُظَاهِرُونَ).

﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ أي: يريدون العود إلى التماس، وهو كناية عن الجماع، فعند الإمام أحمد: العود: هو الوطء، وعند أبي حنيفة ومالك: هو العزم على الوطء، وعند الشافعي: هو أن يمسكها عقب الظهار زماناً

يمكنه أن يفارقها، ولم يفعل، فإن طلقها عقب الظهر في الحال، أو مات أحدهما في الوقت، فلا كفارة عليه.

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ والكفارة على الترتيب يجب عليه عتق رقبة سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق، مؤمنة عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا يشترط الإيمان.

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ يتجامع المظاهر والمظاهر منها، فإن أقدم على الجماع قبل التكفير، استغفر الله تعالى، وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالاتفاق.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ التعليل بالكفارة ﴿ تُوعِظُونَ بِهِ ﴾ لتنزجروا عن الظهر.
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِطْرًا سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

[٤] ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ ﴾ الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ ليس فيهما رمضان، ولا يوماً العيدين وأيام التشريق عند الثلاثة، وعند أحمد: إن تخلل صومها صوم رمضان، أو فطر واجب كيوم العيد، لم ينقطع التتابع.

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ فلو أصاب المظاهر منها ليلاً أو نهاراً عمداً أو سهواً، انقطع التتابع عند الثلاثة، وقال الشافعي وأبو يوسف: إن جامع ليلاً عامداً، أو نهاراً، ناسياً، لم يستأنف، وله وطء غيرها من نساءه بالاتفاق.

﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم لعذر ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ .

والمخرج في الكفارة ما يجزىء في الفطرة، فقال أبو حنيفة: لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر أو شعير، والصاع عنده ثمانية أرطال بالعراقي، وعند أبي يوسف: خمسة أرطال وثلث، وقال مالك: لكل مسكين مد من عيش أهل البلد، فإن كان الشعير والتمر، أعطي لكل مسكين منه عدل الحنطة بمد هشام، وقدره مد وثلثان بمد النبي ﷺ، وهشام هذا الذي أضيف إليه المد هو هشام بن إسماعيل المخزومي، كان أميراً على المدينة من قبل هشام بن عبد الملك، وقال الشافعي: لكل مسكين مد مما يكون فطرة، وهو البر، والأرز، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، وقدر المد رطل وثلث بالبغدادي، وهو مد رسول الله ﷺ، وقال أحمد: المخرج في الكفارة ما يخرج في الفطرة، وهو البر، والشعير، ودقيقهما، أو سويقهما، وهو بر أو شعير يحمص، ثم يطحن، والتمر، والزبيب، والأقط، وهو شيء يعمل من اللبن المخيض، ولا يجزىء من البر أقل من مد، وهو رطل وثلث بالبغدادي، ولا من غيره أقل من مدين لكل مسكين، وتقدم ذكر الصاع والمد والكلام عليها مستوفى بأتم من هذا في سورة المائة عند ذكر كفارة اليمين، وفي سورة التوبة عند ذكر زكاة الفطر.

فإن دفع الكفارة إلى مسكين واحد في ستين يوماً، جاز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي ومالك، وقال أحمد: إن لم يجد غيره، أجزاءه، وإلا فلا، ولو غداهم وعشاهم، جاز عند أبي حنيفة بشرط شعبهم^(١) في الأكلتين، وعند الثلاثة: لا يجوز.

(١) «بشرط شعبهم» زيادة من «ت».

ويجوز دفع الكفارة لكافر، وإخراج القيمة عند أبي حنيفة؛ خلافاً
للثلاثة.

ومن كفر بالإطعام، جاز له الوطء في خلاله عند أبي حنيفة والشافعي؛
خلافاً لمالك وأحمد، ونقل بعض المفسرين عن مالك أن من كفر
بالإطعام، جاز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل
المسيس، ولم يقل في الطعام: قبل أن يتماسا، ومنقول مذهب مالك
خلاف ذلك، فقد جزم علماء مذهبه في كتبهم أنه لا يجوز الوطء في خلال
الإطعام كالصيام، فإن وطئ، بطل ما مضى من إطعامه، ولزمه ابتداؤها،
وصرح ابن عطية المالكي في «تفسيره» عن مالك أنه قال: إطعام المساكين
أيضاً هو قبل التماس حملاً على العتق والصوم^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم
والإطعام ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول من الله عز
وجل، ثم شدد بقوله:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ اللَّهِ آيَةً فَلَمَّ تَوَلَّوْا مِنْهُمُ الرَّسُولُ إِذْ يَقُولُ لَا يُبْرَأُ مِنْكُمْ وَمَنْ يَبْرَأْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

﴿وَاللَّكَفْرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لا يقبلونها.

واختلفوا فيمن ظاهر من أمته، فقال مالك: يصح، وقال الثلاثة:
لا يصح، وعليه عند أحمد كفارة يمين.

واتفقوا على صحة الظهار من العبد، ويكفر بالصيام، وقال مالك: إن
عجز عنه، فبالإطعام إن أذن له سيده، فإن منعه، انتظر القدرة على الصيام.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٧٥).

ويصح من الأجنبية عند مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي:
لا يصح منها، ويصح من الذمي عند الشافعي وأحمد، ويكفر بالمال،
وعند أبي حنيفة ومالك لا يصح منه .

ومن كرر الظهار قبل التكفير، فكفارة واحدة عند مالك وأحمد، وعند
أبي حنيفة بكل ظهار كفارة، ومذهب الشافعي إن كرره في امرأة متصلاً،
وقصد تأكيداً، فظهار واحد، أو استثنافاً، فالأظهر التعدد، وإنه بالمرة
الثانية عائد في الأولى، والله أعلم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

[٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي : يحاربونهما، ويخالفون أمرهما .

﴿ كُبِتُوا ﴾ أهلكوا ﴿ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم الماضية .

﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ تدل على صدق ما جاء به الرسول .

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ نزلت هذه الآيات في المنافقين، وقوم من

اليهود كانوا في المدينة يتمنون المكروه في رسول الله ﷺ والمؤمنين،
ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه
الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم (١) .

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/٢٧٦) .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٦].

[٦] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ العامل فيه قوله: (مُهَيَّنٌ).

﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ تويخاً لهم.

﴿ أَحْصَاهُ ﴾ حفظه ﴿ اللَّهُ ﴾ عليهم ﴿ وَسُوهُ ﴾ لتهاونهم به.

﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ شهيد، لا يغيب عنه شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ كلياً وجزئياً.

﴿ مَا يَكُونُ ﴾ قرأ أبو جعفر: (تَكُونُ) بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث

النجوى، وقرأ الباقر: بالياء على التذكير^(١)؛ لأن تأنيث نجوى غير حقيقي، وللفضل بـ(من)، المعنى: ما يقع.

﴿ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾ وجر (ثَلَاثَةٍ) بإضافة النجوى إليها، وهي التناجي

سراً.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٩٩).

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وخصوا بهذا العدد؛ لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للمناجاة ثلاثة خمسة غيظاً للمؤمنين.

﴿وَلَا آدَنَى﴾ أقل ﴿مِنَ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ قرأ يعقوب: (أَكْثَرَ) بالرفع عطفاً على موضع (مِنْ نَجْوَى)؛ لأن التقدير: ما يكون نجوى، وقرأ الباقون: بالنصب عطفاً على العدد المخفوض ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ عالماً بهم.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ لأن علمه تعالى لا يتفاوت باختلاف الأمكنة.

﴿ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تفضيحاً لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ﴾ (٨).

[٨] كان بين النبي ﷺ واليهود موادة، فكانوا هم والمنافقون إذا رأوا بعض المسلمين تناجوا، فيظن المسلم أنهم يريدون قتله، فيترك الطريق خوفاً منهم، فنهاهم ﷺ عن التناجي، فلم ينتهوا فنزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوُوا عَنْهُ﴾ (١) أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها.

﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (وَيَتَنَجَّوْنَ) بنون ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وضم الجيم على وزن ينتهون مستقبل انتجوا، وقرأ الباقون: بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٤٥-٣٤٦).

الجيم مستقبل تناجوا^(١)، ومعناها: الحديث سراً.

﴿بِالْإِثْمِ﴾ أي: بما هو إثم ﴿وَالْعُدُونَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ لأنه ﷺ نهاهم فلم ينتهوا. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَمَعْصِيَةً) بالهاء.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ﴾ أي: اليهود ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك يا محمد، والسام: الموت، وتقدم حكم سلام الذمي، والرد عليه، ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة النساء.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذا خرجوا: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبياً، لدعا علينا حتى يعذبنا الله بما نقول له.
﴿حَسَبَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ عذاباً ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩] ثم نهى الله المؤمنين أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، فقال:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا﴾ قرأ رويس: (تَنَجُّوْا) على وزن تنتهوا^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠١-١٠٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠٣).

﴿ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ كفعل المنافقين واليهود .
﴿ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ ﴾ وهو ما يتضمن خيراً للمؤمنين ﴿ وَالنَّفَقَى ﴾ أي : انقضاء
معصية الرسول .

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تذكير بالحشر الذي معه الحساب .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠) .

[١٠] ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى ﴾ المحرمة ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ بتزيينه ﴿ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا ﴾ بتوهمهم . قرأ نافع : (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي ، وقرأ
الباقون : بفتح الياء وضم الزاي (١) .

﴿ وَلَيْسَ ﴾ التناجي ﴿ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بمشيئة الله .
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال ﷺ : « إذا كنتم ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه ؛ فإن
ذلك يحزنه » (٢) .

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤١٢) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٠٣/٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦/٢) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
بهذا اللفظ . ورواه البخاري (٥٩٣٢) ، كتاب : الاستئذان ، باب : إذا كانوا أكثر
من ثلاث فلا بأس بالمسارعة والمناجاة ، ومسلم (٢١٨٤) ، كتاب : السلام ، باب :
تحريم مناجاة الاثنتين دون الثالث بغير رضاه ، من حديث ابن مسعود رضي الله
عنه بلفظ نحوه .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ
اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١) .

[١١] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ مجلس
النبي ﷺ . قرأ عاصم : (الْمَجَالِسِ) بألف على الجمع ؛ لأن لكل جالس
مجلساً، معناه : ليفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الباقون : بغير ألف على
التوحيد إرادة الجنس (١) .

﴿ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ في الجنة .

﴿ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا ﴾ ارتفعوا وانهضوا حتى توسّعوا لإخوانكم ﴿ فَأَنْشُرُوا ﴾
قرأ الكسائي، وهشام، ورويس : (قِيلَ) بإشمام الضم حيث وقع،
والباقون : بإخلاص الكسر (٢) ، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر،
وعاصم، (أَنْشُرُوا) (فَأَنْشُرُوا) بضم الشين في الحرفين ؛ بخلاف عن أبي بكر
راوي عاصم، وقرأ الباقون : بالكسر فيهما (٣) .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾ بإيمانهم وطاعتهم النبي ﷺ .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص : ٢٠٩)،
و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠٤) .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤١٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٧/١٠٣) .

(٣) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٣٤٥)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٧/١٠٤) .

﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ أيضاً على غيرهم من المؤمنين ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾ هنا وثمّ
بما جمعوا من العلم والعمل (١).

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديد لمن لم يمثل الأمر.

﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢).

[١٢] ولما أكثر الناس على النبي ﷺ السؤال حتى أسأموه، نزل:
﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ ﴾ أي: قبل ﴿ نَجْوَانِكُمْ ﴾ إذا
أردتم مناجاته ﴿ صَدَقَةٌ ﴾ على مستحقيها.

﴿ ذَلِكَ ﴾ التقديم ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ لطاعتكم ﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ لذنوبكم فلما
نزلت هذه الآية، ارتدع الأغنياء عن السؤال شحاً، والفقراء عدماً، فنزل
رخصة:

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا ﴾ ما تصدقون به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمناجاتكم النبي ﷺ بلا
صدقة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ حيث أباح لكم السؤال، وكان ذلك المنع عشرَ ليالٍ.

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَم تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٣).

[١٣] ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أخفتم الفاقة ﴿ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾
واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَشْفَقْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنْتَ

(١) «والعمل» زيادة من «ت».

فَعَلَّتْ هَذَا بِإِهْتِنَانًا ﴿﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢] .

﴿ فَاذْلَمُوا ﴾ أي: فإن لم ﴿ تَفْعَلُوا ﴾ ما أمرتم به .

﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوز عنكم، ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنبٌ تجاوزَ الله عنه .

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ الواجبة .

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ المفروضة، ولا تفرطوا فيهما ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في جميع الحالات، فهو كفارة ذلك ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٤] .

[١٤] ونزل في قوم من المنافقين تولَّوا قوماً من اليهود، وهم المغضوب عليهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ ﴾ (١) أي: المنافقون ﴿ مِنْكُمْ ﴾ أيها المسلمون .

﴿ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ من اليهود، كما قال تعالى: ﴿ مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النساء: ١٤٣] .

﴿ وَيَحْلِفُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ عَلَى الْكُذِبِ ﴾ وهو قولهم: والله إنا مسلمون .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٤٩-٣٥٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٣٠٧) .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في حلفهم .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٥] .

[١٥] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ نوعاً من العذاب ﴿شَدِيدًا﴾ في غاية الشدة .

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [١٦] .

[١٦] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ ترساً يقيهم السيف ﴿فَصَدُّوا﴾

المسلمين بحلفهم ﴿عَنْ﴾ قتلهم ونهبهم ؛ فإنه جهاد في ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿وَعِيدٌ﴾ ثاب بوصف آخر لعذابهم .

﴿لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١٧] .

[١٧] ﴿لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ مقيمون ؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة .

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا

يَنْتَهُمُ هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ [١٨] .

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ العامل فيه (أَصْحَابُ) ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾ أي : لله

تعالى ثمَّ إنهم مسلمون .

﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ هنا ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ على فعل نافع من أيمانهم الكاذبة كما انتفعوا بها في الدنيا. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها^(١).

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ البالغون الغاية في الكذب؛ حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة، ويحلفون عليه.

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١٩).

[١٩] ﴿ اسْتَحْوَذَ ﴾ غلب واستولى ﴿ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ بطاعتهم إياه.

﴿ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ معناه: تملّكهم من كل جهة، وغلب على نفوسهم، وهذا الفعل مما استعمل على الأصل؛ فإن قياس التعليل يقتضي أن يقال: استحاذ، وحكي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ: (اسْتَحَاذَ)^(٢).

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ جنوده.

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لتفويتهم على أنفسهم النعيم، وعرضها للعذاب.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٧).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٣٨/٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٦/٧).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ (٢٠) .

[٢٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ ﴾ معناه: يكونون في حد غير الحد الذي شرع الله ﴿ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ المغلوبين .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ ۖ أَنَا وَمُرْسِيٌّ ۚ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢١) .

[٢١] ﴿ كَتَبَ اللَّهُ ۖ ﴾ أي: قضى ﴿ لَأَعْلَبَ ۖ أَنَا وَمُرْسِيٌّ ﴾ بالحجة كُلِّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَرُسُلِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ۖ ﴾ على نصر رسوله ﴿ عَزِيزٌ ﴾ غالب في مراده .

﴿ لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُمُونُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ونزل في قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وأبي بكر حيث أراد مبارزة ابنه يوم بدر، ومصعب بن عمير وقتله

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠٦) .

أخاه عبيد بن عمير بأحد، وعمر وقتله خاله العاص بن هشام ببدر، وعلي
وحمزة وقتلهما الوليد بن عتبة وشيبة وعتبة ابني ربيعة ببدر:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١)

عاداهما وخالفهما. تلخيصه: من صح إيمانه، لم يواد المشركين، بل
يقتلهم، ويقصدهم بالسوء ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح
﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ كأبي بكر ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾ كمصعب بن عمير.
﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ كعمر وعلي وحمزة.

﴿ أَوْلِيَاكَ ﴾ المذكورون.

﴿ كَتَبَ ﴾ ثَبَّتَ ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ ﴾ قواهم.

﴿ بِرُوحٍ ﴾ أي: بنصر ﴿ مِنْهُ ﴾ هو جبريل عليه السلام.

﴿ وَيَدْخُلُهُمْ حَنْتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

بطاعتهم.

﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بقضائه.

﴿ أَوْلِيَاكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ أنصار دينه، والحزب: الفريق الذي يجمعهم

مذهب واحد.

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون ببغيتهم، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣١٢).

مُحتوى المجلد السادس

٥	تفسير سورة ص
٥٠	تفسير سورة الزمر
٩٤	تفسير سورة غافر
١٤٢	تفسير سورة فصلت
١٦٩	تفسير سورة الشورى
٢٠٤	تفسير سورة الزخرف
٢٤٢	تفسير سورة الدخان
٢٦١	تفسير سورة الجاثية
٢٧٩	تفسير سورة الأحقاف
٣٠٨	تفسير سورة محمد ﷺ
٣٣٠	تفسير سورة الفتح
٣٥٨	تفسير سورة الحجرات
٣٧٧	تفسير سورة ق
٣٩٧	تفسير سورة الذاريات
٤١٥	تفسير سورة الطور
٤٣٢	تفسير سورة النجم

٤٥٧	تفسير سورة القمر
٤٧٥	تفسير سورة الرحمن
٥٠٠	تفسير سورة الواقعة
٥٢٨	تفسير سورة الحديد
٥٥٢	تفسير سورة المجادلة
٥٦٩	محتوى المجلد السادس

